في رياض التفسير

للقرآن الكريم

الجزء الخامس

تفسير مولانا الشيخ ابراهيم انياس الكولخي رضي الله عنه

مدينة كولخ عام 1383هـ

كتبه وخرج أحاديثه

محمد بن الشيخ عبد الله التجاني لطف الله به آمين

بمساعدة الولدين الاستاذين

أحمد بن الشيخ عبد الله

الشيخ باي بن أحمد

الدرس الأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يقبل على طاعته. عبد أسلم وجهه أشرف أعضائه معناه أسلم نفسه إلى الله تبارك وتعالى كما يسلم المرء المتاع إلى غيره ويفوض جميع أمره إليه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحِّد ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ من جمع هذه الأشياء فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، الإنسان إذا أراد أن يطلع على جبل شاهق يتمسك بحبل قوي يأمن من السقوط، من أراد أن يأمن من السقوط حيث استمسك بعروة وثقى لا انفصام لها، فليسلم وجهه إلى الله وليحسن، والإحسان كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم أن تعبد الله كأنك تراه، الإحسان أن تخلص النية لله في كل الحركات والسكنات لا تعمل شيئا إلا لله ولا يتأتى هذا إلا بما قال النبي صلى الله عليه وسلم (أن تعبد الله كأنك تراه)[1] لابد من المراقبة، المراقبة مراقبتان مراقبة قبل الفناء ومراقبة بعد الفناء. المراقبة قبل الفناء هي الإشراف على الوصول والمراقبة بعد الفناء هي المراقبة الحقيقية. والمراقبة أنفس مقام من

1 – حديث مقامات الدين الثلاث في الصحيحين: صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان (50) وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (10). وقد تقدم في الدروس: 5، 24، 33، 39.

مقامات الولاية أن يكون العبد مستغرقا في ذات الله تبارك وتعالى، هذه أعلى مرتبة، والمرتبة الدنيا أن يكون مستحضرا لشدة اطلاع الله على كلية العبد، إن لم تكن تراه فهو يراك، إما أن تكون تراه أو تكون تشاهد رؤيته لك ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ والمرجع في الدنيا والآخرة إلى الله تبارك وتعالى ﴿وَمَن كَفَرَ فَلاَ يُحْزِنكَ كُفْرُهُ﴾ يا محمد لا تهتم بكفر من كفر، فلا يضر إلا نفسه ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُم فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها كغيره فمجاز عليه ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلاً﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه مصرفا. في الآيات أمور أن من أسلم وجهه لله، واشتغل بالله عن كل ما سواه، وأفرد الوجهة إلى الله تبارك وتعالى، فقد سلم في الدنيا والآخرة لأنه تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. وفي الآية أن من أدبر عن الله تبارك وتعالى فلا يحمل أنبياء الله وأولياءه على الحزن فإن ذلك لا يضر إلا نفسه، وإن المعرضين عن الله تبارك وتعالى ما هم فيه شيء قليل لا يدوم وسيرجعون إلى الله تبارك وتعالى. إذن هذه الأيام القليلة الفانية لا تخترها على اليوم الطويل الدائم، فعلى كل حال فهذه الدنيا ممر لنا لا مقر، كلنا يفارقها إما إلى الجنة وإما إلى النار، فمن اشتغل بالله تبارك وتعالى نال السعادة الأبدية ومن أعرض عن الله فلم يضر إلا نفسه، اختار الدنيا وهي أيام قلائل يتمتع فيها ثم يرجع إلى الله تبارك وتعالى ويجد أمامه كل ما قدم. (...)[1]

1 – أجاب الشيخ أحد الحاضرين بقوله: البداية بذكر الله تبارك وتعالى، الذكر مفتاح الولاية، عليك بذكر الله فمن أعطي الذكر أعطي مفتاح الولاية.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ الكفار مجمعون على وجود الباري ومؤمنون بذلك ومقرون، وأنه خالق الخلائق ومالكها والمتصرف فيها ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ وجوبه عليهم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا، إذا فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الغني عن خلقه «الحميد» المحمود في صنعه. ونزل لما قالوا: كيف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" وقد أعطينا التوراة فيها علم كل شيء وأعطينا كذا وكذا يعددون الكتب المنزلة من السماء، فكيف يقول محمد إننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا؟ فذلك العلم الذي جاء في الفرقان وجاء في الزبور والتوراة والإنجيل علم كثير بالنسبة إلى الخلق ولكن بالنسبة إلى الحق قطرة ماء حول بحر لا ساحل له فنبههم على ذلك ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ كل ما في الأرض من الأشجار لو جعلت أقلاما ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ والبحر المحيط مداد ﴿مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ وإذا نفد هذا البحر المحيط يمد بسبعة أبحر ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ المعبر بها عن معلوماته. فلو صارت تلك الأقلام وتلك البحار مدادا وخلق الله من القراطيس ما يليق بتلك الأقلام والمداد والكتاب يكتبون ما نفدت كلمات الله تبارك وتعالى. كان عادة العرب إذا أكثروا في الأعداد يقولون سبعة، السبعة كأنه آخر الأعداد عند العرب والسبعون حتى يقول للرسول صلى الله عليه وسلم "إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم" ولله سر عظيم في هذا العدد حيث أن السماوات سبع، والأرضين سبع، وأيام الدنيا سبعة، وطبقات النار سبع، والجنان سبع، والفردوس فوقها هي الثامنة. والتطورات تقع دائما في سبعة كما سنبين في خلق البشر: نطفة وعلقة ومضغة ووليدا وطفلا وصبيا وشابا ورجلا وكهلا

وشيخا. في كل سبعة تطور هائل، فعلى هذا قال سبعة وليس المراد التحديد. والدنيا فيها سبعة أبحر تصب في البحر المحيط. البحر المحيط أكثر ماء من هذه السبعة، فلم ذكر السبعة ولم يذكر البحر؟ إنما هذه السبعة تصب دائما في البحر المحيط. فالمفسر الذي يقول: والأرضين قرطاسا، الصواب أن يخلق الله من القرطاس ما يليق بهذا العدد لأن هذا لو كان مدادا وهذا من الأقلام فالأرض لا تكفي أن تكون قرطاسا، ولكن يخلق الله من القراطيس ما يليق بهذا العدد ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ إذاً كلمات الله ليست القرآن فقط. إن الله تبارك وتعالى متكلم كلاما يليق بجلاله تبارك وتعالى، وهذا الكلام ليس بحرف ولا صوت وليس فيه كلمات ولا لغات وليس له جهة وليس له بداية ولا نِهاية إنما صفة هذا الكلام كصفة الذات المقدسة، وموسى سمع هذا الكلام بنفسه، وذلك الكلام يجري مع حياة الحق دائما، وحياة الحق هي الآنُ الدائم حضرة استمرار الحق ليس من الأزل إلى الأبد فحسب بل قبل الأزل وبعد الأبد. الآنُ الدائم حضرة استمرار الحق وهذا لم يزل قط ولن يزال أبدا. وهي الصفة المشتركة بين الحق والخلق فما كان في جهة الحق فهو حق وما كان في جهة الخلق فهو خلق. الآن الدائم هذه الساعة التي نحن فيها الآن نقول الآن، الآن هذا مستمر دائما نجلس هنا إلى المغرب ونقول الآن، وغدا نقول الآن. الآنُ الدائم هذا هو حضرة استمرار الحق. فما قابل حياة الحق من هذا ليس فيه زمان ولا مكان ولا حد ولا ليل ولا نَهار، وما كان في جهتنا نحن نعدد ساعات ونعدد أياما ونعدد أسابيع وشهورا وسنين. والآنُ واحد هذا الآن الدائم هو الدنيا وهو الآخرة، عاش فيه آدم حتى ذهب وبقي أولاده حتى نحن الآن فيه إذاً "إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون" لما كان حياته هكذا وكلامه هكذا ليس فيه حدٍ ولا نهاية، إنما القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ومائة وأربعة

كتب أنزلها الله كلها جزء قليل من كلام الله. إذاً كلام الله ليس هذا المصحف فقط. من أنكر على ولي قال هذا من كلام الله وقال إن هذا يدل على أنه قرآن نزل بعد النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم أن كلام الله لا نهاية له. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لا يعجزه شيء ولا يخرج شيء عن علمه وحكمته ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ قالوا كيف نحن من الكثرة حيث بلغنا، الأطوار كثيرة والله تبارك وتعالى خلقنا من نطفة أربعين يوما، ومن علقة أربعين يوما، ومن مضغة أربعين يوما، فأجرى الروح بعد ذلك وبقينا في الرحم تسعة أشهر ونشأنا صغارا حتى صرنا شيوخا كبارا ومتنا بعد ذلك، كيف يحيينا في مرة واحدة ونحن بهذه الدرجة من الكثرة والشخص الواحد فقط أقام في خلفه هذا من الزمان؟ أخبر تبارك وتعالى أن هذا كلا بمنزلة نفس واحدة لأنه "كن" إذا قال لشيء كن يكن، ويكون كما أراد، إن أراد به التأني أو السرعة وقع كما أراد، وليس معنى قوله "إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" أنه يقول لكل شيء كن كن كن، دائما يقول كن، ليس هكذا، هو قال كن وفرغ من هذا، فكل شيء يجري على مراده يتكون كما أراده قبل قوله كن. فإذاً إيجاد شخص واحد في أطوار وإيجاد جميع الخلائق في لحظة سواء عنده تبارك وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء. توحيد أهل الظاهر مبني على المخالفة، الله مخالف لكل ما سواه، ليس عنده بصر كما عندنا، وليس عنده سمع كما عندنا، وهو سميع بصير. سمعه تبارك وتعالى هو تجليه الذي أحاط بجميع المسموعات، وبصره تبارك وتعالى هو تجليه الذي أحاط بجميع المبصرات، فعلى هذا ما يشغله شيء عن شيء ﴿ أَلَمْ تَرَ﴾ يا مخاطَب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزداد كل منهما بما نقص من الآخر، الليل اثنتا عشرة ساعة والنهار

كذلك المجموع أربع وعشرون ساعة وربما أخذ ثلاث ساعات من الليل فيزاد على النهار، يصير النهار خمس عشرة ساعة فيها ثلاث ساعات من الليل ويكون نهارا، لا نميز هذا الجزء الذي خرج من الليل إلى النهار، وتارة يأخذ من النهار إلى الليل كذلك، القادر على هذا قادر على إحياء الموتى ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ خبير ببواطن الأشياء كما بظواهرها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ معنى هذا الذي تقدم كلا أن الله هو الثابت وما سواه لم يكن ﴿وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ كل ما تدعون معناه كل ما تعبدون أو كل ما تسمون غير الله فليس بشيء ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ «العلي» على خلقه بالقهر، «الكبير» العظيم بحيث ما ثم شيء عظيم غيره. "علي" على أي شيء؟ العلو ما ارتفع حتى فات غيره في الطول، هو ليس معه شيء فلهذا علوّ الكبير ليس معه شيء ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ﴾ يا مخاطبين قال المفسر[1] ﴿مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ عبرا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمته. إن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق هذه الفلك تجري في البحر وتحمل كل ما يحتاج إليه الناس من الأمتعة والآلات والمعايش، هذه عبر لكل عبد صبار شكور. الشاكر فوق الصابر، الصبار من ابتلاه الله فصبر ورضي بقضاء الله، والشكور زاد أنه رضي بقضاء الله وشكره على كل حال. سأل ولي من أهل بلخ سأل الآخر: ما هو الزهد عندكم؟ قال: إذا فقدنا صبرنا وإذا وجدنا شكرنا. قال: هكذا الكلاب عندنا في بلخ إذا وجدوا شيئا

---

1 – هو جلال الدين المحلي. حاشية الصاوي على الجلالين ج260/3.

شكروا وإذا فقدوا شيئا صبروا، ليس هذا زهدا. قال كيف هو وما هي الطريق التي يليق أن نسلكها؟ قال: إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا غيرنا، إن وجدنا شيئا نعطيه لغيرنا وفي حال الفقر نشكر الله تبارك وتعالى لأن الله مشكور على كل حال[1]. جاء فقير إلى ولي وقال له: سل الله لي فإني فقير لا أملك شيئا. قال له: اشكر الله، ما أقل شكرك. قال: ليس عندي شيء ولا أملك فلسا واحدا، قال: اشكر الله ما أقل شكرك. قال له: والله قلت لك الحقيقة ما عندي شيء. قال له: تعال أقطع يدك اليمنى وأعطيك عشرة آلاف دينار. قال: لا. قال: اليسرى وأعطيك عشرة آلاف دينار. قال: لا. قال له: الرجْل اليمنى كذلك. قال: لا. قال: اليسرى كذلك. قال: لا. قال له: هذه قيمة أربعين ألف دينار وأنت تقول ليس عندي شيء.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ علا الكفار ﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ كالجبال التي تظل من تحتها ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاءَ بأن ينجيهم لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ قال المفسر متوسط بين الكفر والإيمان، والصواب مقتصد أي موف بعهده[2]، نزلت هذه الآية في جماعة منهم عكرمة بن أبي جهل، ركبوا في سفينة فهاج البحر فكادوا أن يغرقوا فتضرعوا إلى الله تبارك وتعالى أن ينجيهم، فقال عكرمة: لئن أنجاني الله من هذه الكربة لأذهبن إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأضع يدي في يده وأبايعه على الإسلام، فسكن البحر وسلم، فلما رجع أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه[3]. في تلك الليلة رأى النبي صلى الله

---

1 – ذكره في روح البيان ج365/4.

2 – نقل القرطبي عن ابن عباس قوله: "فمنهم مقتصد" موف بما عاهد عليه الله في البحر. ج80/14.

3 – انظره في حاشية الصاوي ذكره في سبب نزولها. ج260/3.

عليه وسلم أنه دخل الجنة ورأى عقارا وسأل لمن هذا؟ قالوا لأبي جهل. فاستيقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم متغيرا ما لأبي جهل وللجنة والله لا يدخلها أبدا، ما لأبي جهل وللجنة؟ فلما أسلم عكرمة علم أن هذا تأويل رؤياه صلى الله عليه وسلم[1]. إذاً عكرمة لما نجا صحح إسلامه فعلى هذا التفسير القيم «فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد» أي مهتد ليس متوسطا بين الكفر والإيمان ومنهم باق على كفره ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ بعد الإنجاء من الموج ﴿إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار ﴿كَفُورٍ﴾ بنعم الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَاخْشَوْاْ يَوْمًا لاَّ يَجْزِي﴾ يغني ﴿وَالِدٌ عَنْ وَّلَدِهِ﴾ شيئا ﴿وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَّالِدِهِ شَيْئًا﴾ اتقوا يوم القيامة. إذا كان يوم القيامة تأتي الأم إلى الولد: يا بني قد علمت مكانتي منك، كنتَ في بطني وتنام في رعايتي وتتوسد كبدي تسعة أشهر، ووُلدتَ فكان ثديي يجري عليك النفقات، وفعلتُ لك وفعلتُ لك. فيقول لها: كل هذا أعلمه يا أماه. تقول: اليوم تنقصني حسنة واحدة إذا وجدتها أدخل الجنة، أعطني واحدة فقط. يقول: لا يا أماه أنا إذا أعطيتك هذا فمن يكمل لي أنا؟ ويطلب الأبوان الولد إن كان عليه حق لهما فيأتيانه يطالبانه بحقهما ويودان لو أن الحق كان أكبر مما كان "لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه". دعانا الحق إلى التقوى وأن لا ننسى ذلك اليوم الذي «لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا» وهذا في

---

1 – جاء في بهجة المجالس قوله: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه أنه دخل الجنة وأنه رأى فيها عذقا مدلى فأعجبه وقال لمن هذا؟ فقيل لأبي جهل، فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وقال: ما لأبي جهل والجنة والله لا يدخلها أبدا فإنها لا يدخلها إلا نفس مؤمنة، فلما أتاه عكرمة بن أبي جهل مسلما فرح به وقام إليه وتأول ذلك العذق عكرمة ابنه. ج143/2.

حق الكفار[1]، أما في حق المسلمين فينفع بعضهم بعضا، الوالد يجد درجات يقول: هذه ليست لي. فيقال له: نعم هذه بدعاء ولدك لك بعد موتك[2]. والولد يدخل أبوه الجنة فيقول: أين ولدي؟ يقال له: هو دخل الجنة ولكن ما وصل إلى محلك لأنه ما عمل كعملك. يقول: كنت أعمل لنفسي ولأولادي. يقول الحق أدخلوا عليه ولده[3]. أما ما سبق فهو في حق الكفار والمنافقين ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ وقت نزول الغيث أيضا لا يعلمه إلا الله ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ من خير أو شر ويعلمه الله ﴿غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ هذه مفاتيح الغيب التي قال النبي صلى الله عليه وسلم: (خمسة لا يعلمها إلا الله: إن الله عنده علم الساعة إلى

---

1 – قاله الصاوي في حاشيته على الجلالين ج260/3.

2 – أخرج ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى هذا؟ فيقال باستغفار ولدك لك. سنن ابن ماجه: كتاب الأدب/ بر الوالدين (3650). وفي مسند أحمد: مسند المكثرين/ (10202). وفي الجامع الصغير رقم الحديث (1992).

3 – روى الطبري بسند عن سعيد قال: يدخل الرجل الجنة فيقول: أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي؟ فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة ثم قرأ "جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم". تفسير الطبري: سورة غافر/ "ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم". تقدم في الدرس 28.

آخر السورة)[1] نعم بعض الأنبياء أخبروا بالمغيبات فكان الأمر كما أخبروا، وبعض الأولياء كذلك، ولكن هذا كلا من علم الله، من تعليم الله لهم فلا ينافي هذا. وأما من طلب علم المغيبات عن طريق المنجمين والكهنة والعرافين فهؤلاء من سألهم لا تقبل صلاته مدة أربعين يوما[2]، لأن هذه كفر وصاحبها مكذب للقرآن، لأن الكهنة كانوا يأخذون العلم من الجن والشياطين، والشياطين كانوا يسترقون السمع من السماء، فإذا سمعوا بكلمة نازلة أضافوا إليها عشر كذبات ويخبرون الكهنة، فما كان من الكذب فهو الذي يوافق الكذبات التي اخترعوها وما صادف من الحق فهو الحق الذي وجدوا[3]. وبعد رفع عيسى حجب الله عنهم السماوات الأربع

---

1 – عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله. صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا (7379). وقد تقدم في الدرس 16.

2 – جاء في صحيح مسلم: عن صفية عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة). صحيح مسلم: كتاب السلام/ باب تحريم الكهانة وإتيان الكاهن (4137).

3 – أخرج البخاري عن أبي هريرة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة، فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب: "حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير" (4800)

وعندما وُلد محمد صلى الله عليه وسلم حجبوا عن السماء تماما لا يدخلون أي سماء حتى السماء الدنيا[1]، وقبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كان الشيطان يقف ويطول ما شاء الله ويقف فوقه شيطان ويصل إلى قريب من السماء فيسترقون السمع هنالك، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم طردوا بالنجوم والشهب تحرقهم فصاروا لا يقربون من السماء، إذاً انقطع علمهم، فمن صدقهم بعد هذا فقد كذب بالوحي. متى تقوم الساعة علم لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى. مر النبي صلى الله عليه وسلم بالبقيع فوجدهم يحفرون قبرا، قال: لمن القبر؟ قالوا: لرجل حبشي جاء هنا ومات. قال: سبحان الله ساقه الله تبارك وتعالى إلى محل دفنه. كل إنسان قدر الله له تربة لا يموت إلا فيها، وإذا كان يعيش في بلد غير بلده غير تربة موته إذا دنا أجله جعل الله له حاجة في محل قبره فيتوفاه الله فيدفن في محله[2].

كان رجل في معسكر سليمان عليه الصلاة والسلام، وكان في مجلسه فظهر ملك الموت وصار ينظر إلى الرجل لا ينظر إلى غيره، فسأل الرجل سليمان عن هذا الرجل من هو؟ قال له: ملك الموت، قال له: مر الريح تحملني إلى أرض الهند لأنه ينظر إلي نظرا أخاف أن يأخذ روحي أريد أن أفر إلى أرض الهند، فأمر سليمان

---

1 – قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث (4921) من كتاب تفسير القرآن/ بعد أن ذكر الخلاف في متى حجبت السماء عن الشياطين قال: ثم وجدت عن وهب بن منبه ما يرفع الإشكال ويجمع بين مختلف الأخبار قال: كان إبليس يصعد إلى السماوات كلهن يتقلب فيهن كيف شاء لا يمنع منذ أن أخرج آدم إلى أن رفع عيسى فحجب حينئذ من أربع سماوات فلما بعث نبينا حجب من الثلاث فصار يسترق السمع هو وجنوده ويقذفون بالكواكب.

2 – أخرج الترمذي وابن ماجه عن مطر بن عكامس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة. سنن الترمذي: كتاب القدر/ باب ما جاء أن النفس تموت حيثما كتب لها (2072) سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر الموت والاستعداد له (4253).

الريح تحمله إلى أرض الهند، فقال الملك: تعجبت يا نبي الله إن الله أمرني أن أقبض روحه في هذه الساعة في أرض الهند، وكنت أنظر إليه تعجبا من هذا، هو في مجلسك هنا في الشام وأنا أمرت بقبض روحه في هذا الوقت وفي أرض الهند، فلما أنزل بأرض الهند قبض ملك الموت روحه هنالك. وكان في الزمن الأول ملك الموت لا يحتجب عن الناس، يأتي في صورة إنسان فيشاهدونه، واحتجب بعدما ضربه موسى حتى قلع عينه. لما جاء موسى يريد أن يقبض روحه ضربه موسى حتى قلع عينه فرجع إلى الله قال له: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، بعد ذلك جعل الله له سترا عن أعين الناس[1].

---

[1] – أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر. صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب من فضائل موسى (4374)، صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب وفاة موسى وذكره بعد (3407). وقال ابن حجر في شرحه: وزاد عمار في روايته: "فشمه شمة فقبض روحه وكان يأتي الناس خفية" يعني بعد ذلك. وقد تقدم في الدرس 14.

سورة السجدة

مكية ثلاثون آية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ﴾ ألف إعلام لام لزوم ميم ملك[1]، أو الله أعلم بمراده ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا القرآن لا شك أنه تنزيل من رب العالمين ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ محمد، لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة. هذه سورة السجدة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها في كل ليلة، كان لا ينام ليلة إلا وقرأ الـــم السجدة، وسورة يس، وسورة الواقعة وسورة الملك، وسورة المزمل وسورة والليل والكافرون والإخلاص والمعوذتين[2] ويسميها المنجيات[3] «الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام» ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة سرير الملك استواء يليق به ﴿مَا لَكُمْ﴾ يا كفار

---

1 – نسبه البروسوي في روح البيان إلى البقلي. ج106/7.

2 – عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به. صحيح البخاري: كتاب الطب/ النفث في الرقية (5748).

3 – أخرج الترمذي والنسائي والدارمي والحاكم وصححه عن جابر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك. سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ ما جاء في فضل سورة الملك (2817) وفي سنن الدارمي (3277) وكذلك أورده الصاوي في فضائل سورة السجدة: وقال إن سورة الملك تسمى أيضا المنجية لأنها إحدى المنجيات السبع وهن هذه السورة ويس والدخان والواقعة وهل أتى والبروج. الصاوي ج261/3.

مكة ﴿مِن دُونِهِ﴾ غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ من ناصر ﴿وَلاَ شَفِيعٍ﴾ يدفع عنكم عذابه ﴿أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا، ومدة الدنيا سبعة أيام أي سبعة آلاف سنة على المشهور[1]. بين آدم ونوح ألف سنة، وبين نوح وإبراهيم ألف سنة، وبين إبراهيم وموسى ألفا سنة، وبين موسى وعيسى ألف سنة، وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة وخمسون سنة. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الألف السابعة، وهو من هجرته إلى يومنا هذا ألف وثلاثمائة وثلاث وثمانون سنة[2]. الدنيا سبعة آلاف وهذه سبعة آلاف كأنَّها انقضت. لا يعلم منتهى الدنيا إلا الله، ولكن الزيادة بعد السبعة آلاف ما يظنونَها كثيرة. على أن قيام الساعة له أمارات ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تروا دخانا وذلك الدخان ظهر، ويخرج الدجال، وينزل عيسى بن مريم، ويقع خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وتخرج الدابة التي تكلم الناس، وتطلع الشمس من مغربها، ويغلق باب التوبة[3]. في بعض الأحاديث أن شروق الشمس من المغرب تبقى الدنيا بعده مائة

---

1 – الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة. رواه الديلمي عن أنس. الجامع الصغير للسيوطي (4277) وروى البيهقي والطبراني (الدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفا). الجامع الصغير (4278).

2 – تاريخ النصف الثاني من التفسير (1383 هـ) الموافق 1962م.

3 – عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات) فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم . صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة / باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (5162). وقد تقدم في الدرسين: 17 و20.

وعشرين سنة. وقد اختلفوا في الصدر الأول هل أمة محمد يبلغون الألف أم لا يبلغون الألف حتى ألف السيوطي وهو في القرن التاسع كتابا سماه «الكشف في مجاوزة الأمة الألف»، جلب في هذا الكتاب أحاديث تدل على أن الأمة تتجاوز هذا الألف، وقد جاوزت الألف الآن وزادت تقريبا أربعمائة سنة لابد من التزود لعل الأمر قرب «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» مدة الدنيا وهي سبعة أيام ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ "إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون" وفي سورة المعارج خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة من شدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا[1]. يوم القيامة ليس كما يؤلف من الأيام، هذه الأيام التي نعرفها مخالفة لأيام الآخرة " إن يوما عند ربك كألف سنة" أما يوم القيامة فخمسون ألف سنة يشتغل فيه بحساب هذا الخلق لا يفرغون من اليوم إلا بعد خمسين ألف سنة، ولا يفرغ اليوم منهم إلا بعد خمسين ألف سنة. بيد أن الناس متفاوتون منهم من يُنجَّى من هذا الموقف، (إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانتهم من الله تبارك وتعالى، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون، مكنونون تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله)[2] يؤمر بإدخالهم الجنة

---

1 – عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يوما كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا). مسند أحمد: مسند أبي سعيد الخدري (11292).

2 – روى شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي مالك الأشعري حديثا مطولا وفيه: (..ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى صلاته أقبل إلى الناس بوجهه فقال يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من

جعلنا الله وإياكم منهم، ومنهم قوم يحاسبون يسيرا ثم يطلقون إلى الجنة[1] ومنهم من يؤمر بإدخال الجنة في أول وهلة بدون حساب[2]، ومنهم من يؤمر به إلى النار في أول وهلة بدون سؤال ومنهم من يستمر يوما كأيامنا ومنهم من يستمر إلى سنة من سنينا، وآخرهم من يمكث في الموقف خمسين ألف سنة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ من علقة ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف

الله، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله انعتهم لنا، يعني صفهم لنا، فسر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسؤال الأعرابي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. مسند أحمد:/ باب حديث أبي مالك الأشعري (21832). وقد تقدم في الدرس 21.

1 – عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس أحد يحاسب إلا هلك قالت: قلت يا رسول الله جعلني الله فداءك أليس يقول الله عز وجل فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا؟ قال: ذاك العرض يعرضون ومن نوقش الحساب هلك. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب فسوف يحاسب حسابا يسيرا (4939). وفي صحيح مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب إثبات الحساب(5123). وقد تقدم في الدرس 27.

2 – وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" (6472). وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (317-323). وقد تقدم في الدرس 9.

هو النطفة المني ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ لذريته ﴿السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ إن الله تبارك وتعالى أوجد الوجود بنور النبي صلى الله عليه وسلم، فأول البشر آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله من تراب ولكن نفخ فيه من روحه وذلك الروح روح محمد صلى الله عليه وسلم، وخلق البشر من نطفة من ماء مهين ونفخ فيه الروح ذلك الروح روح محمد صلى الله عليه وسلم، وخلق عيسى بلا أب نفخ في مريم الروح ذلك الروح محمد صلى الله عليه وسلم، إذاً الحديث يقول: (أول ما خلق الله الروح) يقولون ما هذا الروح يا رسول الله؟ قال: (هو منزلته من الملائكة منزلة الملائكة منكم) هذا الروح الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وسلم ملَك كبير أو عقل أو درة بيضاء أو نور، كل هذا عبارات عن نور محمد صلى الله عليه وسلم[1] ﴿وَقَالُواْ أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ إن غِبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابِها

1 – جاء في تفسير روح البيان ما نصه: وأما قوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله جوهرة، وأول ما خلق الله روحي، وأول ما خلق الله العقل، وأول ما خلق الله القلم، وقول بعض الكبراء من الأئمة إن أول المخلوقات على الإطلاق ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلم، وتسميته قلما كتسمية صاحب السيف سيفا كما قيل لخالد بن الوليد رضي الله عنه سيف الله وهو أول لقب في الإسلام وقول الله تعالى "يوم يقوم الروح والملائكة صفا" وقد جاء في الخبر أن الروح ملك يقوم صفا فلا يبعد أن يكون هذا الملك العظيم الذي هو أول المخلوقات هو الروح النبوي فإن المخلوق الأول مسمى واحد وله أسماء مختلفة فبحسب كل صفة فيه سمي باسم آخر ولا ريب أن أصل الكون كان النبي عليه السلام لقوله (لولاك ما خلقت الكون) ... إلى أن قال بعد كلام: فيلزم من ذلك أن يكون روحه صلى الله عليه وسلم أول شيء تعلقت به القدرة وأن يكون المسمى بالأسماء المختلفة، فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما جاء في الخبر أول ما خلق الله جوهرة وفي رواية درة فنظر إليها فذابت فخلق منها كذا وكذا، وباعتبار نورانيته سمي نورا وباعتبار وفور عقله سمي عقلا وباعتبار غلبة الصفات الملكية عليه سمي

﴿إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ استفهام إنكار ﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ كفروا بالبعث ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ حتما أن ملك الموت يقبض أرواح بني آدم ثم يرجعون إلى الله فيجازيهم بأعمالهم. الله أوجد الإنسان في بدايته بلا واسطة، نفخ فيه الروح بلا واسطة الملك، ولكن هذا الحق الذي أوجدك بلا واسطة أنت لما صرت موجودا جعلت الوسائطَ بينك وبينه، فلهذا آخر الأمر هو عاملك بما عاملته به، جعل ملك الموت وكيلا على قبض روحك وهو كان قادرا على أن يقبض روحك بنفسه الكريمة، ولكن لما جعلت حجابا بينك وبينه جعل حجابا بينه وبينك، فوكل ملك الموت بقبض روحك. ومن عباد الله من يتولى الله قبض أرواحهم إكراما لهم – جعلنا الله وإياكم منهم – شهداء المحبة. ملك الموت هو الوكيل على قبض الأرواح، جعل الله العالم كلا في كفه بمنزلة طست صغير، وينظر إلى جميع أرواح بني آدم كل يوم يختبر كل واحد منا خمس مرات هل حان أجله أم لا، فإذا حضر أجل أحد عنده خمسمائة أعوان على يمينه وخمسمائة أعوان على شماله، إذا كان المتوفى سعيدا يأمر أهل اليمين يأتون لقبض روحه وينشطونه ولا يروعونه فيأتون يقبضون روحه شيئا فشيئا لا يحس بألم، وإذا كان غير ذلك يأمر أهل الشمال فيأخذون عكازة فيها عدد سلامى بني آدم، مفاصل بني آدم ثلاثمائة وستة وستون عضوا فيطعنون في رأس الكافر حتى يصل الطعن إلى قدميه فيجذب هذا معنى "والنازعات غرقا" يصيح صيحة كل خلائق الله يسمعون صوته إلا الثقلين حجبتهم

ملكا وباعتبار أنه صاحب القلم سمي قلما... من تفسير روح البيان ج5/ 199. وقد تقدم في الدرس 13 و30.

ذنوبُهم عن سماع هذا الصوت حتى يموت ويذهب إلى النار. لابد من الرجوع إلى الله، إما رجوع لطف كما تقدم أو رجوع قهر كما يقع للكفار ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطئوها حياء يقولون ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى الدنيا الآن تبين لنا أن الأمر حق ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن آمنا ولكن الإيمان هناك لا ينفع، لو رأيت هذا لرأيت أمرا فظيعا قال تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ فتهدى بالإيمان والطاعة ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ قالوا سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة، الذين آمنوا بالقرآن هم الذين يسجدون عندما يأمرهم الله تبارك وتعالى بالسجود ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الإضجاع ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ صفة عباد الله الصالحين. وكان خُلقه القرآن صلى الله عليه وسلم[1]. كل ما رأيت القرآن يستحسنه فهو خلق للنبي صلى الله عليه وسلم، فتخلق به إذا كنت تحب خلق النبي صلى الله عليه وسلم، وكل ما ذم القرآن فالنبي

---

1 – روى أحمد في مسنده حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن. مسند أحمد:/ مسند الأنصار (24139) وقد تقدم في الدرس 20 في رواية لمسلم بغير هذا اللفظ ضمن حديث مطول.

صلى الله عليه وسلم يتباعد عنه، إذا أردت التخلق بالقرآن فافعل كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم (كان خلقه القرآن). كان إذا جن الليل يتجافى عن مضاجعه ويناجي ربه. إذا كان يوم القيامة ينادي مناد: سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم، أين الذين «تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يدعون ربَّهم خوفا وطمعا» فيقوم نفر قليل فيؤمر بِهم إلى الجنة، سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم أين "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله"، يقوم نفر قليل فيؤمر بِهم إلى الجنة. (اليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم قلت "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" وأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان بن فلان، رفعتم نسبكم ووضعتم نسبي، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي)[1] رجال "تتجافى جنوبُهم عن المضاجع" "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله" فيؤمر بِهم إلى الجنة. إذا جن الليل وحان النوم قام رجل عن فراشه، فينادي الملَك: انظروا إلى فلان، يباهي الرب بِه الملائكة يناديهم كيف رأيتم عبدي يتجافى عن مضاجعه وعن أهله ويناديني يتقرب إلي يعبدني أشهدكم أني قد غفرت

1 - أخرج الحاكم في مستدركه: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه، ورفعتم أنسابكم، فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون أين المتقون "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"» . قال الحاكم: هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه. وله شاهد من حديث طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة: رضي الله عنه أنه تلا قول الله عز وجل: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، فقال: إن الله يقول يوم القيامة: يا أيها الناس إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا، فجعلت أكرمكم أتقاكم، وأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان أكرم من فلان ابن فلان، وإني اليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون أين المتقون؟. الحاكم في المستدرك : كتاب التفسير/ باب تفسير سورة الحجرات (3771 و3772).

له وسوف أعطيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بشر قط[1]. قال الرسول فاقرأوا إن شئتم ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً﴾ لَمَّا أخفوا عملهم في جوف الليل أخفى الله جزاءهم، أكرمَهم فأعطاهم شيئا لا تعلم نفس ما هو "جزاء" ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ قال معاذ بن جبل: يا رسول الله أخبرني بعمل مَن عمِله دخل الجنة أو أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: (لقد سألت عن عظيم يا معاذ وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتصوم رمضان وتخرج الزكاة وتحج البيت، ألا أدلك على رأس الأمر وعماده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر الإيمان بالله وعماده الصلاة وذروة سنامه الجهاد. ألا أدلك على ملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه وقال: كفّ عليك هذا. قلت: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)[2] دخل عمر على أبي بكر فإذا أبو بكر

---

1 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما أطلعتم عليه ثم قرأ "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين (4780) وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ ــ (5050). وقد تقدم في الدروس 11، 13، 22.

2 – عن معاذ بن جبل قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل قال ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال: ألا أخبرك برأس

يضرب خده يمينا وشمالا أخرج لسانه وصار يضربه، فقال عمر: مهلا يا أبا بكر غفر الله لك، قال: هذا أوردني الموارد، هذا يريد أن يدخلني النار[1]. سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ (ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم) «جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ نزل هذا في جدال بين علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب قبل إسلامه، عيره عليٌّ بكونه مع أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال أنتم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا، قال علي: وهل عندكم محاسن؟ ما عندكم محاسن أبدا. قال تعالى «أفمن كان مؤمنا» مثل علي بن أبي طالب «كمن كان فاسقا» ﴿لاَ يَسْتَوُونَ﴾ الفرق ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً﴾ هو ما يعد للضيف ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُواْ أَنْ يَّخْرُجُواْ مِنْهَا أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ عذاب الدنيا بالقتل والأسر وبالجدب سنين والأمراض ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ﴾ من بقي منهم

الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله فأخذ بلسانه قال: كف عليك هذا فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟. سنن الترمذي: كتاب الإيمان/ باب ما جاء في حرمة الصلاة (2541). تقدم ذكره مختصرا في الدرس 10.

1 – جاء في موطأ مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب دخل على أبي بكر الصديق وهو يجبذ لسانه فقال له عمر: مه غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد. موطأ مالك: كتاب الجامع/ باب ما جاء فيما يخاف من اللسان (1567). وقد تقدم في الدرس 10.

﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإيمان ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِن لِّقَائِهِ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ موسى والكتاب ﴿هُدًى﴾ هاديا ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ﴾ استحقوا الإمامة ليس بالعلم فقط، ولكن بالصبر. الصبر مفتاح الخيرات، كل صبر عاقبته خير، الصبر مر ولكن عاقبته محمودة. لو لم يكن للصبر من الفضائل إلا قوله تعالى "إن الله مع الصابرين" لكفى هذا، من أراد أن يكون قويا فليصبر يكن الله تبارك وتعالى معه. وبنو إسرائيل كانوا ضعفاء عبيدا مسترقين، ولما صبروا جعلهم الله أئمة قادة للناس ﴿وَكَانُواْ بِئَايَاتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ يتبين لكفار مكة إهلاكنا ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ تبين لهم لأنهم دائما يمرون بقرى المهلكين في أسفارهم إلى الشام ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلاَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ﴾ هذا فيعلمون أننا نقدر على إعادتهم بعد الموت ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ الحكم بيننا وبينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِيمَانُهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ﴾ إنزال العذاب ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك. هذا قبل الأمر بقتالهم.

سورة الأحزاب

مدنية ثلاث وسبعون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سورة الأحزاب كانت طويلة كالسبع الطوال فنقصت حتى بقيت هكذا[1]. نزلت هذه الآيات في النبي صلى الله عليه وسلم لما حاول المنافقون أن يخدعوه بشيء من الحيل ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ دم على تقواه ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلقه. الأمر يأتي على معان: الإنسان يعمل شيئا فيؤمر به معنى ذلك أن يدوم على عمله وهذا معنى «يا أيها النبيء اتق الله» أي دم على التقوى فهو متق فعلا ولكن أمر بالمداومة، وأمر للتحصيل "يا أيها المدثر قم فأنذر" قبل هذا الأمر ما كان هذا، وأمر معناه الزيادة كقولك لمن يأكل معك: كل أي زد في الأكل «يا أيها النبيء اتق الله» أي دم على تقوى الله «وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» لم يزل ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ حافظا لك ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ نزل ردا على جميل بن معمر الفهري كان عاقلا لبيبا يحفظ كل ما سمع، وكان يقول إن عنده قلبين يحفظ بكل قلب أكثر مما يحفظ محمد صلى الله عليه وسلم، فلما كان يوم بدر

---

1 – روى أحمد في مسنده عن زر قال: قال لي أبي بن كعب كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها قال قلت له ثلاثا وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عليم حكيم. مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث زر بن حبيش عن أبي بن كعب (20261).

وانْهزم المشركون جعل إحدى نعليه في قدم والأخرى في يد وصار يفر حتى لقي أبا سفيان فصار يقول: أين نعلي، أين نعلي الأخرى؟ قال له أبو سفيان نعلك الأخرى في يدك، قال له: والله ما كنت أرى، فعلموا أنه ليس عنده قلبان كما كان يقول[1]. إن قيل إن فلانا عنده قلبان معناه أنه قوي الحفظ فقط «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تَظَّهَّرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ كان الظهار في أول الإسلام هو الطلاق، من أراد أن يطلق امرأته يقول أنت عندي كظهر أمي فيكون طلاقا، حتى نزلت سورة قد سمع في قضية خولة. الإنسان إذا ظاهر من امرأته لا يحملها ذلك أن تكون كأمه ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ نزلت في حق النبي صلى الله عليه وسلم، النبي تركت له أمه أمَّ أيمن بركة الحبشية[2] وزيد بن حارثة، وكان هذا عبدا لزوج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وسمع أبوه أن ولده عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو عبد فجاء وقال: هذا ليس بعبد فهو من أولاد الملوك والأمراء الأعزاء، وأراد الذهاب به. قال لهم: أختار الرق مع النبي صلى الله عليه وسلم على السيادة معكم، لا أرجع عن النبي صلى الله عليه وسلم أبدا. فخاطب

---

1 – ذكره القرطبي ضمن أقوال. ج116/14.

2 – أخرج الحاكم في المستدرك حدثنا محمد بن عمر قال: ومنهن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته، واسمها بركة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها وخمسة أجمال وقطعة غنم، فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أيمن حين تزوج خديجة، فتزوجها عبيد بن يزيد من بني الحارث بن الخزرج فولدت له أيمن، فقتل يوم خيبر شهيدا، وكان زيد بن حارثة لخديجة، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه أم أيمن بعد النبوة، فولدت له أسامة بن زيد. المستدرك: ذكر أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (6989)

أبوه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن اختارك يمشي معك وإن اختارنا فنحن نختار من يختارنا[1]. قال: أختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحرية مع الكفار، فغضب أبوه ورجع عنه وأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه جعله ابنا، كان في الجاهلية الإنسان يأخذ من شاء ويتبناه فيصير ولدا له كأولاد صلبه، يرثه إذا مات وتكون زوجته محرما للأب، فلما تبنى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا وقوى ذلك التبني بأن زوجه بزينب بنت جحش أمها صفية بنت عبد المطلب صاروا يقولون زيد بن محمد. فلما أمر الله نبيه أن يتزوج بزينب، بل زوجه بها "زوجناكها" هذا التزويج جاء من عند الله تبارك وتعالى فهو الولي الكبير، كان النبي صلى الله عليه وسلم بعدما انقضت عدتُها أرسل رسولا يخطبها فقالت: سأستخير الله وأشاور، بعد ذلك جاء النبي صلى الله عليه وسلم وجلس على فراشها معها لأنه نزلت عليه "فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها" أتى التزويج مع الوحي فلم يحتج لعقد بعد هذا فدخل عليها فقط صلى الله عليه وسلم، فتطاول ألسنة المنافقين في ذلك صاروا يقولون: محمد تزوج زوجة ابنه، قال الله تبارك وتعالى «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» إذا ادعى رجل أن فلانا ابنه لا يكون ابنه حقيقة ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أنتم اليهود والمنافقون ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ لا تقولوا زيد بن محمد، انسبوه إلى أبيه الذي ولده ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ فقال: أنا زيد بن حارثة، قبل هذا، بعد هذا جاء حارثة وأسلم فصار

---

1 – اختيار زيد بن حارثة البقاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم عن الذهاب مع أهله مطرد في كتب التفسير.

من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم. بيتان كلهما توالد أربعة رجال كلهم صحابي: حارثة ولد زيدا، زيد ولد أسامة، أسامة ولد محمد بن أسامة كل الأربعة صاحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كذلك أبو قحافة عثمان ولد أبا بكر، أبو بكر ولد عبد الرحمن، عبد الرحمن ولد محمد بن عبد الرحمن كلهم صحابي «فَإِن لَّمْ تَعْلَمُواْ آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ» ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ كانوا تعودوا أن يقولوا زيد بن محمد حتى ربما جرى على لسان أحد بعد النهي، هذا ليس فيه جناح ﴿وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ولكن من تعمد أن يقول زيد بن محمد بعد هذا فهذا منهي عنه ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك ﴿النَّبِيءُ﴾ صلى الله عليه وسلم ﴿أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه. إذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ودعت النفس إلى شيء آخر فعليك بما قال النبي صلى الله عليه وسلم. النبي أولى بكل مؤمن من نفسه. كان يقول (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم من مات وترك مالا فماله لورثته ومن ترك دينا فعلي دينه)[1] ﴿وَأَزْوَاجُهُ

---

1 – عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرءوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فإن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (4781) وفي لفظ مسلم: عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة، ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي. صحيح مسلم: كتاب الجمعة / باب تخفيف الصلاة والخطبة (1435).

﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم، كذلك أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات للأمة جميعا، كل زوجة للنبي صلى الله عليه وسلم أم للمؤمنين، فعلى هذا حرم التزويج بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، وليس المسلمون أولادا للرسول صلى الله عليه وسلم "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم" أزواجه أمهاتنا وهو ليس أبانا لأن أزواجه لما كن أمهاتنا حرم علينا نكاحهن، ولو كنا أولاد النبي صلى الله عليه وسلم لحرم عليه التزويج من الأمة. الإنسان لا يتزوج ابنته، هذه هي الحكمة في كون أزواجه أمهاتنا وهو ليس أبانا ﴿وَأُولُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ الإرث الذي كان يقع بالتبني منسوخ، الإنسان إذا مات يرثه أولوا أرحامه. كان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار، وكل واحد يرث أخاه إذا مات بهذه المؤاخاة، ونسخت أيضا بآية الأنفال "وَأُولُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" ﴿إِلاَّ﴾ لكن ﴿أَن تَفْعَلُواْ إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ النسخ ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أي اللوح المحفوظ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالذر ﴿وَمِنكَ﴾ بدأ بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخرهم لهذا تعلم أنه سيدهم ﴿وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله تبارك وتعالى ويدعوا إلى عبادته ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ شديدا بالوفاء. قال عمر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن الله جعلك خاتم الأنبياء وذكرك قبلهم[1]، قدمك في الذكر حيث قال «ومنك

---

1 – ورد عند القرطبي وابن كثير وغيرهما ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى: "وإذ أخذنا من النبيئين ميثاقهم ومنك ومن نوح" قال: "كنت أولهم في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم". ابن كثير ج470/3 القرطبي ج127/14

ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم» صار النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أو تعرف من أنا يا عمر؟ أنا كذا أنا كذا قال له كثيرا[1] ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ

---

1 – أخبر أبو الفتح المظفر بن علي المعروف بالهمداني في كتابه "عرائس الأفكار" قال: حدثني أبو محمد أحمد بن عبد الكريم بن مروان الجرجاني المغير قال حدثنا عمار بن رجاء قال حدثنا عبد الله بن موسى العبسي قال حدثنا سفيان الثوري عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس وابن عمر وأبي سعيد الخدري قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم صلاة الفجر فلما فرغ من صلاته أقبل بوجهه الكريم على الله إلى الناس وأسند ظهره إلى المحراب يتلألأ وجهه نورا شعشعا، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ما أحسن وجهك وأحلى منطقك وأصدق حديثك وأرق مودتك وأعقلك وألين عريكتك وأحسن بشاشتك وأزين مخالطتك عند الله تعالى عز وجل وعند الناس! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا عمر بن الخطاب أتدري من أنا؟ أنا الذي اشتق الله تعالى اسمي من اسمه فالله تعالى محمود وأنا محمد ولا فخر، يا عمر بن الخطاب أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله عز وجل أول كل شيء نوري فسجد فبقي في سجوده سبعمائة عام فأول كل شيء سجد لله عز وجل نوري ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله العرش من نوري والكرسي من نوري واللوح من نوري والقلم من نوري والشمس والقمر من نوري ونور الأبصار من نوري والعقل الذي في رؤوس الخلق من نوري ونور المعرفة في قلوب المؤمنين من نوري ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله تعالى العرش فلم يسكن اضطرابه حتى كتب اسمي مع اسمه على ساق العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش وذلك قبل أن يخلق الخلق بسبعين ألف عام ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي عرف ملائكته فصلى قبل أن سمعوا بذكر آدم باثني عشر ألف عام ولذلك سمي يوم عرفة لأنه كان في يوم شاهدا فيه، أشهد الله ملائكته علي وسماه يوم عرفة تغفر الخطايا وذلك لأجلي ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق الله آدم وذريته على حروف هجاء اسمي محمد، فالرأس والوجه بمنزلة الميم، واليدان منزلتهما بمنزلة الحاء، والبطن بمنزلة الميم والرجلان بمنزلة الدال فهي مني ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي قال الروح القدس جبريل عليه السلام أتدري يا محمد لأي شيء أمرنا الله بالسجود لآدم فسجدنا، إنما أراد بذلك تعظيمه إذ كنت في صلبه ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي قبل الله توبة آدم من أجلي وغفر له وتاب عليه لما توسل بي إلى الله عز وجل فقال اللهم إني أسألك بما جاء به محمد وآله ولا فخر وكان رسم كتاب الفرقان معه نبي القلم الأسمى، وبي سأل الله التوبة وبي نطق بالحكمة وعلم أسماء الملائكة ولا فخر. يا عمر أتدري من

عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتا للكافرين ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ منهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هذه الآية نزلت في غزوة الخندق هي الأحزاب، لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وجد اليهود بني قريظة وبني النضير يسكنون المدينة، وسبب سكناهم أنّهم كانوا ينتظرون خروج النبي لأنّهم قرأوا في الكتب القديمة أن هذه البلدة مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابا عهدا بينه وبين اليهود أنه لا يحاربُهم ولا يحاربونه ولا يعين عليهم ولا يعينون عليه، فختموا هذا الكتاب وسجلوه عند المسلمين وعند اليهود. فلما مضت غزوة أحد ركب حيي بن أخطب وسار إلى مكة وتعاهد مع أبي سفيان على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم، نقض العهد، بعد ذلك ركب إلى غطفان، وركب إلى هوازن، حتى ركب إلى الحبشة، فجمعوا جيشا أتى للمدينة المنورة اثنا عشر ألفا حتى قربوا من

أنا؟ أنا الذي بادرت بالجواب حين أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم فقال عز وجل "ألست بربكم" فبادرت بالجواب فقلت بلى أنت ربنا، فاستحسن الله ذلك مني فأمرهم وأمر أرواح البهائم فسجدوا كلهم إذ رأوني، ولذلك كانت البهائم إذا رأوا نوري في أصلاب آبائي وأجدادي يتشعشع في جباههم يسجدون لنوري ولا فخر. يا عمر أتدري من أنا؟ أنا الذي من أجلي أخذ الله ميثاق الأنبياء والرسل والأمم بإنذارهم بنبوتي وفضلي وآتيت صوابه قرنا بعد قرن قال الله عز وجل "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق" ثم جاءكم رسول في آخر الزمان اسمه محمد بن عبد الله مصدق لما معكم من نعته وصفته لتؤمنن به ولتنصرنه، قال فأقروا بذلك قال الله عز وجل: أأقررتم بأنه خيرتي من خلقي وصفيي وقيل وصفوتي خاتم النبيين وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين وحجة الله على الخلق أجمعين وأخذ على كل ذلك أمره وعهده وميثاقه، قالوا: أقررنا قال الله عز وجل: "فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين" أن خير خلقي وصفيي أحمد، من تبعه أنجيته "فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون" ولا فخر... إلى آخر الحديث. وقد ورد بالكامل في هامش حل الأقفال لقراء جوهرة الكمال صفحات 165 – 168.

المدينة فعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاستشار سلمان الفارسي الذي عاش في الجاهلية ستين سنة، قال له: ما الرأي في هذا؟ فقال: كنا إذا وقع لنا مثل هذا نحفر خندقا حول المدينة حتى لا يدخلها عدو، فخط النبي صلى الله عليه وسلم الخندق وقسمه بين المهاجرين والأنصار وأهل البيت، فتنازعوا في سلمان الذي جاء بهذا الرأي، قال المهاجرون: سلمان منا، وقال الأنصار: سلمان منا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سلمان منا أهل البيت)[1] فلحق بأهل البيت، فصاروا يحفرون الخندق حتى وصلوا إلى حجر لا يؤثر فيه معول، فخرج سلمان وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم، فتوضأ وصب الوضوء على الحجر وهو في ذلك الوقت صام ثلاثة أيام متوالية لا يجد ما يفطر به فيواصل صومه حتى أنه وقت دخوله للخندق ربط بحجر على بطنه الشريف صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع كما يقول العلماء[2]، فدخل وأخذ المعول وضرب الصخرة فانكسر ثلثها فخرج نور عظيم كأن مصباحا أوقد في بيت مظلم فقال: الله أكبر، وضرب ثانيا فخرج نور عظيم فقال: الله أكبر وضرب ثالثا فأزال الصخرة فصارت كأنها كثيب فدخل سلمان وقال: يا رسول

---

1 – (سلمان منا أهل البيت). الحديث رقم 4696 من الجامع الصغير. وقال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سلمان منا أهل البيت) سيرة ابن هشام ج235/3. وقد تقدم الحديث (سلمان منا أهل البيت) في الدرس 9.

2 – أخرجه البخاري طرفا من حديث عن جابر رضي الله عنه قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم.. الحديث. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (4101). وقد تقدم في الدرس 8.

الله رأينا عجبا لما ضربت أولا رأينا نورا عظيما كأن مصباحا أوقد في بيت مظلم. قال: أوَ رأيتم ما رأى سلمان؟ قالوا: نعم. قال: لما ضربت الضربة الأولى فتح لي أراضي اليمن حتى رأيت صنعاء اليمن ورأيت الحيرة وبشرت أن أمتي ستملك هذا، وثانيا رأيت بلاد فارس، وثالثا رأيت بلاد الروم وأقطار الدنيا كلا زويت لي وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي. قال المنافقون يخبركم بالكذب، هذا الذي يخاف من أعدائه حتى صار يحفر خندقا يقول إنه يملك البلاد شتان ما بين هذا وبين ما يقع، لهذا نزلت "قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير"[1]. فلما كان ذلك

---

1 - جاء في تفسير روح المعاني: روى أبو الحسن الثعالبي عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف قال حدثني أبي عن أبيه قال خط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان الفارسي وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعا، فحفرنا فأخرج الله تعالى من بطن الخندق صخرة مدورة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان إرق إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن نعدل عنها أو يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه. قال فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مدورة من بطن الخندق وكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحتك فيها قليل ولا كثير فمرنا بأمر فإنا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع سلمان الخندق والتسعة على شفير الخندق فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر رسول الله تكبير فتح فكبر المسلمون ثم ضربها الثانية فبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها عليه الصلاة السلام الثالثة فكسرها وبرق منها برق كذلك فكبر تكبير فتح وكبر المسلمون وأخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم فقال: رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: ضربت ضربتي الأولى فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب

مكث أعداء الرسول صلى الله عليه وسلم الأحزاب قائدهم أبو سفيان بن حرب، مكثوا عشرين يوما خلف الخندق ما دخلوا المدينة، فالقتال بينهم رمي بالسهام فقط، إلا فارس واحد من شجعانهم الذين يحاربون ألفا[1] هو عمرو بن عبد ود أقحم فرسه في الخندق حتى جاء لمحل الرسول صلى الله عليه وسلم وقال أنت تقول: مؤمن واحد بكافرين ومن مات منكم دخل الجنة ومن مات منا دخل النار؟ أنا وحدي أطلب البراز من أراد منكم أن يذهب إلى الجنة الآن فليأتني أدخله الجنة. فقام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو ابن سبع عشرة سنة فقال: يا رسول الله أنا أذهب إلى عمرو أقاتله. قال: (يا علي ذلك عمرو بن عبد ود) فجلس علي فتكلم ثانيا وثالثا فقام علي فقال: يا رسول الله أنا أذهب أقاتله. قال: (ذلك عمرو بن عبد ود يا علي) قال: ولو كان عمرو بن عبد ود لابد أقاتله. فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ عمامته ووضعها على رأس علي ودفع له سيفه ذا الفقار، وتوجه إلى القبلة وقال (يا رب إنك يوم بدر قد أخذت عبيدة بن الحارث بن المطلب ويوم أحد حمزة بن عبد المطلب واليوم لم يبق عندي إلا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين) وأطلقه وذهب وضرب

الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فابشروا، فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله وعد صدق وعدنا النصر بعد الحفر فقال المنافقون ألا تعجبون ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا للقتال فأنزل الله تعالى القرآن "وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا" الألوسي في روح المعاني ج 3 / 113

1 - ذكره في روح المعاني ج21/ 155.

صدره فخرج علي فقال لعمرو: أدعوك للبراز، قال: من هذا؟ قال: هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب. قال له: أنت والدك صديق لي لا أقاتلك أبدا أستحيي أن آتي الآخرة فيقول أبوك قتلت ابني، هذا لا أفعله. يتحقق أنه يقتل كل من يقاتله. قال له علي: ولكن أنا أقتلك إما أن تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وإما أن أقتلك، فغضب وسل سيفه وأراد أن يضرب عليا فضرب علي سيفه وضربه هو فشقه فلقتين وكبر وهو في محل بعيد من النبي صلى الله عليه وسلم، ثلاثة أميال، فلما كبر قال النبي: قتله والله لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار، فكبر وكبر المسلمون[1] فأنزل الله ريحا وجنودا لم تروها وأنزل بردا ما سبق له مثل، وحرك خيام المشركين وألقى الله الرعب في قلوبِهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من يذهب إلى القوم ويأتيني بخبرهم ولا يحدث أمرا؟ قال حذيفة بن اليمان: أنا يا رسول الله، فخطا خطوتين ورجع قال: لا يقدر أحد أن يمشي في هذا البرد. فقال: يا رب اكف حذيفة البرد، قال فصرت كأن تنورا بين يدي وآخر عن يميني وآخر عن شمالي وآخر خلفي. لم يحس بالبرد حتى وصل إلى محل القوم، قال لولا قول الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يحدث أمرا لقتلت أبا سفيان من بين ظهرانيهم تمكنت منه، فوقف أبو سفيان وقال: اجتمعوا فاجتمعوا عليه وقال: كلكم يمسك بيد من على يمينه ومن على شماله حتى نتأكد أن ليس معنا أحد غيرنا، فأمسك حذيفة بيد رجل عن يمينه ويد رجل عن شماله وقال له: من أنت؟ فقال أبو سفيان: أنا سأكلمكم كلاما وإذا أتممت كلامي سأرجع إلى مكة سواء قبلتم

---

1 – اقتحام عمرو بن عبد ود الخندق ودعوته للبراز وخروج علي بن أبي طالب إليه وقتله إياه انظره في سيرة ابن هشام ج235/3. وفي تفسير القرطبي ج134/14 وغيره من كتب التفسير.

أو لم تقبلوا: إننا ما تَهيأنا للحرب جئنا غير مستعدين وقد خدعنا وخاننا بنو قريظة وبنو النضير وغطفان وهوازن، ومحمد لا يحب محاربة أحد قبلنا إذا رجع الناس عن محاربته هو يستعد لمحاربتنا وقد رأيتم هذه الحيلة التي فعلها محمد وما كانت العرب تعرف هذا، وهذا الذي أصابنا من الريح والزلزال والبرد لا يمكن البقاء معه، فأنا أرجع الآن إلى مكة. فلما فرغ من كلامه ركب ناقته فقط وتوجه إلى مكة هاربا، فرجع حذيفة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وبعد ذلك أحس بالبرد فغطاه النبي صلى الله عليه وسلم بطرف ثوبه فنام حتى أصبح قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: قم يا نومان[1]. ولما فر أبو سفيان حتى توسط الطريق كتب كتابا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من صخر بن حرب أبي سفيان إلى محمد بن

---

1 – جاء في صحيح مسلم: عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال كنا عند حذيفة فقال رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت فقال حذيفة أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال: ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة، فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا أحد فقال: قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم، فلم أجد بدا إذ دعاني باسمي أن أقوم قال: اذهب فأتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تذعرهم علي ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشي في مثل الحمام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فألبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة الأحزاب (3343). وورد عند أحمد من حديث محمد بن كعب القرظي أكثر تفصيلا إلا أنه لم يذكر فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة بعدما أصبحوا: قم يا نومان. مسند أحمد:/ باب حديث حذيفة بن اليمان (22244).

عبد الله إني خرجت إليك بجمع كنت أنوي أن لا أرجع إلا بعد أن أستأصلك أنت ومن معك، وقمتَ بِهذه المكيدة التي ما كانت العرب تعرفها، وما فعلت هذه المكيدة إلا فرارا من سِيفي، ولكن أقسم باللات والعزى ومناة وإساف ونائلة وهبل أني لا أزال أحتال حتى آتيك بيوم أمر عليك من يوم أحد. فكتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من محمد بن عبد الله رسول الله إلى صخر بن حرب أما قولك تخرج تريد استئصالنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه لا تراه أبدا، وإني أقسم لك بالله الذي أنزل علي الكتاب أني سآتيك بيوم أمر عليك من يوم بدر، يوم أكسر فيه اللات والعزى ومناة وإساف ونائلة وهبل وأذكرك يا أحمق بني غالب فتتذكر رغما[1]. هذا فعل ما قال. فلما نصر الله نبيه حتى رد الجيوش دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء بين صلاة الظهر والعصر فاستجاب الله دعاءه ورد أعداءه فوقف النبي صلى الله عليه وسلم يقول شكرا شكرا شكرا يا رب[2]. هذه القضية هي التي قص القرآن «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ لم يزل ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب أشد بلاء على المسلمين مطلقا هو الأحزاب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة كلهم اشتد خوفه حتى بلغ قلبه محل حلقه من شدة الخوف

---

1 – ذكره في روح البيان ج150/7.

2 – انظر تفسير القرطبي ج157/14.

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة، المؤمنون يتيقنون بالنصر والمنافقون يئسوا ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ حركوا ﴿زِلْزَالاً شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إِلاَّ غُرُورًا﴾ باطلا ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ المنافقين ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي أرض المدينة، كان اسم المدينة في الجاهلية يثرب فسماها النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وطيبة وطابة، ومن قال يثرب الآن فليستغفر الله[1] ﴿لاَ مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُواْ﴾ صار المنافقون يقولون هذا ارجعوا إلى منازلكم في المدينة ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ أي غير حصينة. شدة الخوف في الأحزاب ليست مواجهة العدو فقط ولكن وراءهم بنو قريظة وبنو النضير أعداء لهم، وعيالهم باقون في المدينة، لم يعرفوا ماذا يفعل الأعداء بالعيال، فلهذا اشتد الخوف عليهم. بعضهم يستأذن أن دوره غير حصينة يخشى عليها ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ ليست غير حصينة ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُواْ﴾ سألهم الداخلون ﴿الْفِتْنَةَ﴾ الكفر ﴿لَأَتَوْهَا﴾ أولئك المنافقون لو جاءهم الكفار من ورائهم وطلبوا منهم الكفر لارتدوا حينا ﴿وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَا إِلاَّ يَسِيرًا﴾ ولا يمكثون طويلا ﴿وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ اللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ وكانوا عاهدوا الله وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم أنّهم لا يولون الأدبار أبدا ﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ عن الوفاء ﴿قُل لَّنْ يَّنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ

---

1 – عن البراء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عز وجل هي طابة هي طابة. مسند أحمد: / باب حديث البراء بن عازب (17788).

أَوِ الْقَتْلِ﴾ الفر لا يفيد في هذا، من حضر موته أو قتله لابد أن يموت ﴿وَإِذًا﴾ إن فررتم ﴿لاَ تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ بقية آجالكم ﴿قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ يجيركم ﴿مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ هلاكا أو هزيمة ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ تقدرون على الفرار ولكن من فر منكم من يحول بينه وبين الله إذا أراد الله موته؟ ﴿وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين ﴿مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالوا ﴿إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾ رياء وسمعة ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي﴾ كنظر أو كدوران الذي ﴿يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كأنّهم في سكرات الموت ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ النفاق يقارنه الخوف دائما، إذا جاءت وقعة ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كأنّهم في سكرات الموت من شدة الخوف، وإذا ذهب الخوف وقسمت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ على الغنيمة يطلبونها ﴿أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة لخوفهم منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرة أخرى ﴿يَوَدُّوا﴾ يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ كائنون في البادية ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ يتمنون أن لا يحضروا هذا ولكن يكونون في القرى البعيدة يسألون عن الأخبار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكرة ﴿مَا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ رياء وخوفا ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه صلى الله عليه وسلم ﴿لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ بخلاف من ليس

كذلك، هذه حالة المنافقين ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ أما المؤمنون لما رأوا الأحزاب ﴿قَالُواْ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلاَّ إِيمَانًا﴾ تصديقا بوعد الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً﴾ في العهد وهم بخلاف حال المنافقين ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ يهديهم إلى الإسلام والإيمان الصحيح ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ لم يزل ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ بهم ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾ رجع المشركون منهزمين ظفر بهم المسلمون ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ ولم يقع قتال بل كفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ لم يزل ﴿قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريد ﴿عَزِيزًا﴾ غالبا على أمره، فانصرفوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يقاتلوكم بعد هذا إلا إذا جئتموهم أما هم فلا يأتون بعد[1]، ما أتوا بعد هذا. فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بيت زوجته أم سلمة واشتغل بالغسل حتى غسل شق رأسه الأيمن مر جبريل فقال: أنتم المسلمون وضعتم السلاح أما نحن الملائكة فما وضعنا السلاح بعد، قال النبي صلى

---

[1] – عن سليمان بن صرد يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الأحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة الخندق وهي الأحزاب (4110)

الله عليه وسلم: إلى أين؟ قال: إلى بني قريظة[1]. أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا ينادي في الناس: خيل الله اركبي لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة[2]. فخرج القوم وذهبوا ما صلوا العصر إلا بعد العشاء امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من رأى أن المهم سرعة الخروج فقط فصلوا وذهبوا بعد الصلاة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: كل أداء. لهذا تمسك الصوفية بأن امتثال أمر الشيوخ خير من النوافل إن كانت ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم جمع صيصة وهو ما يتحصن به ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم الذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ خرج النبي صلى الله عليه وسلم فلما توسط الطريق قال: هل ذهب أحد قبلي؟ قالوا: دحية الكلبي مر هنا، قال: ذاك جبريل. جبريل كان

---

1 – جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل عليه السلام فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: ها هنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب مرجع النبي من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة (4117) وفي صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن (3315).

2 – عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب مرجع النبي من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة (4119). صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير / باب المبادرة بالغزو وتقديم أهم الأمرين المتعارضين (3317) لكن في لفظه: الظهر" غير "العصر"

يأتي على صورة دحية الكلبي. فلما وصلوا إلى قريظة سبق علي إلى قريب من الحصن فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لا تدن من هؤلاء يؤذونك بألسنتهم، قال: يقولون في كلاما قبيحا؟ قال علي: نعم. دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبناء الخنازير وأبناء القرود أنتم آباؤكم مسخوا فصاروا خنازير وقرودا أنتم ما تقولون أولاد الخنازير والقردة فقط؟ قالوا: يا أبا القاسم ما ألفنا منك هذا[1]. فحاصرهم في الحصن عشرين يوما، وبعد عشرين يوما نزلوا على حكم سعد. قال لهم الرسول ينزلون على حكمه قالوا لا، أنت حكمك غليظ ولكن إن خيرتنا نختار واحدا من أصحابك ننزل على حكمه. فقال اختاروا. قالوا: ننزل على حكم سعد، وكان سعد بن معاذ قد جرح أيام الخندق وكان الجرح يبرأ تارة وينكأ تارة أخرى فلما رجع من الخندق وقد سمع ما قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رب إن كان بقي شيء من حروب نبيك فاحفظني حتى أبلغه وأبلي فيه وإن كان قد انقضت حروب النبي صلى الله عليه وسلم فأنكئ هذا الجرح حتى أموت شهيدا فنكأ الجرح فمرض وورمت قدمه ورما شديدا فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي يحكم في بني قريظة فحملوه على حمار، فلما جاء قال النبي صلى الله عليه وسلم (قوموا إلى سيدكم) فوقفوا وقال لسعد: احكم في هؤلاء. فقال: يقتل جميع رجالهم ويسبى جميع نسائهم وولدانِهم. قال (والذي نفسي بيده لقد حكمت بالحكم الذي رضي الله به فوق سبع سماوات) فأمضى فيهم حكم سعد[2]. أخذ

---

1 – راجع سيرة ابن هشام ج245/3

2 – أخرجه أحمد في مسنده طرفا من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه: قالت فجاءه جبريل عليه السلام وإن على ثناياه لنقع الغبار فقال أقد وضعت السلاح والله ما وضعت الملائكة بعد السلاح اخرج إلى بني قريظة فقاتلهم قالت فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن في الناس بالرحيل أن يخرجوا فخرج

المقاتلين فإذا هم ستمائة رجل فقتلوا عن آخرهم قتلهم علي بن أبي طالب[1]، وسبى الذراري كلا وباعهم النبي صلى الله عليه وسلم في السلاح[2]. أما بنو النضير فطردهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم اخرجوا من المدينة لما نكثتم العهد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على بني غنم وهم جيران المسجد حوله فقال: من مر بكم؟ فقالوا مر بنا دحية الكلبي، وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام. فقالت فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروا أبا لبابة بن عبد المنذر فأشار إليهم أنه الذبح قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلوا على حكم سعد بن معاذ فنزلوا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ فأتي به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه فقالوا يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت قالت وَأَنَّى لا يرجع إليهم شيئا ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم قال قال أبو سعيد: فلما طلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا إلى سيدكم فأنزلوه فقال عمر سيدنا الله عز وجل قال أنزلوه فأنزلوه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم قال سعد فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وتقسم أموالهم وقال يزيد ببغداد ويقسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وحكم رسوله.. الحديث. مسند أحمد: مسند الأنصار / (23945). وقد ورد حكم سعد في الصحيحين مختصرا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد فأتى على حمار فلما دنا من المسجد قال للأنصار قوموا إلى سيدكم أو خيركم، فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك، فقال: تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم قال قضيت بحكم الله وربما قال بحكم الملك. صحيح البخاري: كتاب المغازي / باب مرجع النبي من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة (4121). صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن (3314). قال ابن حجر في شرحه للحديث : وفي رواية محمد بن صالح: لقد حكمت فيهم اليوم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سماوات.

1 – سيرة ابن هشام ج252/3. وفي حاشية الصاوي قال: فأمر عليا والزبير بضرب أعناقهم. ج257/3

2 – قال ابن هشام في سيرته: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنِي قريظة إلى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا. سيرة ابن هشام: ج256/3.

فأخرجهم وانتقلوا بعضهم إلى أذرعات وبعضهم إلى خيبر وبعد ذلك طردهم عمر من خيبر[1] فرجعوا إلى الشام ومن الشام ستسوقهم نار إلى النار. ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهن تسع في ذلك الوقت عائشة وميمونة وصفية وسودة وحفصة وهند وزينب وجويرية ورملة. هذه تسع نسوة هن اللاتي مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن. وهو صلى الله عليه وسلم خطب اثنتين وثلاثين امرأة عقد على بعض ولم يعقد على بعض، واللاتي عقد عليهن منهن من طلق قبل الدخول ومنهن من طلق بعد الدخول[2]، واللاتي تزوجهن ودخل بِهن اثنتا عشرة امرأة: خديجة وهي وحدها مدة حياتِها

---

1 - جاء في صحيح البخاري من طريق أبي غسان الكناني أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما فدع أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبا فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم وقال نقركم ما أقركم الله وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدي عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا وقد رأيت إجلاءهم فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا فقال عمر أظننتَ أني نسيتُ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف بك إذا أُخرِجْتَ من خيبر تعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة؟ فقال: كانت هذه هُزَيْلة من أبي القاسم، قال: كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإبلا وعروضا من أقتاب وحبال وغير ذلك. صحيح البخاري: كتاب الشروط/ باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئتُ أخرجتك (2730). وجاء في الموطأ: عن مالك عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يجتمع دينان في جزيرة العرب، قال مالك: قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب فأجلى يهودَ خيبر. الموطأ: كتاب الجامع/ باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة (1388).

2 - ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بالتفصيل أورده القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ج14/ 164-168.

وإحدى عشرة بعدها مات ثنتان منهن[1] وبقيت تسع في عصمته حتى توفاه الله. وتلك التسع هن اللاتي كن يكلفن النبي صلى الله عليه وسلم بالنفقات والحلي وزينة الدنيا حتى غضب صلى الله عليه وسلم وخرج من بيته وآلى أنه لا يدخل البيت شهرا، فمكث في المسجد هو وجاريته مارية القبطية تسعا وعشرين ليلة، وبعد ذلك دخل على عائشة، قالت: إنك آليت شهرا، قال: إن الشهر يكون تسعة وعشرين، فرئي الهلال مساء ذلك اليوم فنزلت هذه الآية. أمره الله أن يخيرهن إما أن يخترن الدنيا فيطلقهن النبي صلى الله عليه وسلم ويسرحهن، أو يخترن الله ورسوله والدار الآخرة فلا يكلفن المصطفى صلى الله عليه وسلم بشيء من هذه التكاليف. ولما آلى شهرا وبقي في مشربة في المسجد أذاع الناس أن محمدا طلق نساءه جميعا فتحركت القرية بِهذا حتى سمع عمر فقال: كنت أخشى على حفصة من هذا، دخل على حفصة وقال: ألم أقل لك إن عندك ضرة لا تنظري إليها هي أجمل منك وأفضل منك وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، وأبوها أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك، إياك أن تجعلي نفسك في جنب عائشة، أما نصحتك بِهذا؟ الآن طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: لا أدري هو هنالك في المشربة. فأتى عمر فقال: السلام عليكم يستأذن عمر، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فذهب فقال: لم أملك نفسي على ما بي من الوجل فرجع فقال: السلام عليكم يستأذن عمر، فلم يتكلم رسول الله صلى

---

[1] – وهما أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث كانت تسمى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ومكثت عنده ثمانية أشهر وتوفيت في حياته؛ وأم المؤمنين ريحانة بنت زيد بن عمرو من بني النضير سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقها وتزوجها في سنة ست وماتت مرجعه من حجة الوداع. القرطبي: نفس المصدر السابق.

الله عليه وسلم، فذهب عمر، وثالثا جاء: يستأذن عمر فلم يؤذن له، ففر قال: أخشى أن ينزل في آية أني منافق. وبعد ذلك دعاه الغلام يا عمر تعال أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فدخلت فوجدت النبي صلى الله عليه وسلم، على حصير أثر في جسده الكريم صلى الله عليه وسلم، وما رأيت في بيته شيئا يتعلق إليه البصر، فقلت يا رسول الله أستأنس أنبسط؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم لا باس. قال أطلقت نساءك؟ قال: لا، قال: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم نحن رجال قريش عادتنا أنا نقهر نساءنا، فلما أتينا للمدينة ووجدنا نساء الأنصار يقهرن رجالهن اقتدت نساؤنا بنساء الأنصار، لو رأيت بنت فلان اليوم معي تطالبني بكذا وكذا وكذا، فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أنبسطُ؟ قال: انبسط، قال: تطالبني بكذا وكذا وكذا حتى هممت بأن أطلقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: هن هؤلاء هكذا شُغلهن، فنزلت هذه الآية، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم بيت عائشة وقال لها: أنا أذكر لك أمرا لا تجيبيني فيه إلا بعد استشارة والديك، إن الله تبارك وتعالى خيركن إما أن تخترن الله ورسوله أو تخترن الدنيا فأطلقكن. قالت: أفي هذا أشاور أبوي؟ أنا أختار الله ورسوله والدار الآخرة، ولكن إذا دخلت على نسائك تشاورهن لا تقل لهن ما قلت. تتمنى أن تقع واحدة في العكس. قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تسألني واحدة منهن جوابك إلا وقلته لها. فدخل عليهن جميعا كلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة[1]. ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

---

[1] – جاء في صحيح مسلم: عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال: فقال لأقولن شيئا أضحك

فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ أطلقكن من غير ضرار ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ الجنة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ إذا تبينت ﴿يُضَاعَفْ﴾ يشدد ﴿لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ مثليْ حد الإنسان، لأنّهن أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشاهدن من نعم الله ما لا تشاهد غيرهن من النساء، فعلى هذا لو خالفن لكان جرمهن أعظم من جرم غيرهن فيضاعف لهن العقاب في الدنيا والآخرة ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ مضاعفة الحد في الدنيا ومضاعفة العذاب في الآخرة يسير على الله تبارك وتعالى لمن ارتكب ذلك منكن، ولكن الله لم يبتل نبيا قط بامرأة تعمل الفاحشة كما تقدم[1].

صدق الله العظيم. اللهم صلّ على سيدنا محمد وسلم.

النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت عليه هذه الآية يا أيها النبي قل لأزواجك حتى بلغ للمحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا. صحيح مسلم: كتاب الطلاق / باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية (2703).

1 – في الدرس 35. وفيه للطبري عن ابن عباس قوله: ما بغت امرأة نبي قط.

الدرس الحادي والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

﴿وَمَنْ يَّقْنُتْ﴾ يدم على الطاعة ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بإضافتهن إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشرفن وشرفن على غيرهن من النساء ومن سائر الناس بحيث أن عذابَهن مضاعف ولكن طاعتهن كذلك، يضاعف لهن الأجر مرتين: مرة لاختيارهن الله ورسوله وترك الدنيا للآخرة والآخرة مع العبادة لله تبارك وتعالى. قنت: إذا دام على الطاعة، من دام منكن على طاعة الله ورسوله ولا تقصد بذلك إلا وجه الله تبارك وتعالى وذلك هو العمل الصالح «نؤتِها أجرها مرتين» ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادة على ذلك تجد الثواب مرتين وتجد رزقا كريما في الجنة.
العذاب عذابان: عذاب الخواص مضاعف، الجزء الأول بُعده عن الله تبارك وتعالى وغفلته عنه، والثاني القطيعة، الدخول في نار القطيعة، كما أن العذاب إقامة الحد ودخول النار الحسية للعوام كذلك الطاعة، الخواص يجدون ثمرة الطاعة عاجلا وتلك حلاوة العبادة، الحضور مع الله تبارك وتعالى والتلذذ بمناجاته وذكره، ورزقا كريما في الجنة. في الدنيا جنة حاضرة من دخلها الآن لم يشتق إلى الجنة الآخرة

وتلك الجنة هي معرفة الله تبارك وتعالى ومراقبته مع الأنفاس. ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيءِ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ كجماعة ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ أحد لا يستعمل إلا بعد النفي وسواء فيه الفرد والتثنية والجماعة، فعلى هذا جماعة نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليست كأحد من الجماعات من النساء ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ لكن بشرط تقوى الله تبارك وتعالى ﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ للرجال ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ نفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ من غير خضوع ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار. هذا خطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم، ونساء النبي صلى الله عليه وسلم زوجاته. وكذلك المريدون الذين سلموا أرحام قلوبهم للمشائخ يدخلون في هذا الخطاب ليسوا كغيرهم يضاعف لهم العذاب ويضاعف لهم الثواب ولا يخضعون بالقول لأبناء الدنيا، فكما أن النساء إن خضعن بالقول لرجال السوء يطمعون فيهن بنيل الفاحشة، كذلك المريدون إن خضعوا بالقول لأبناء الدنيا يطمعون فيهم بجذبهم إلى الغفلة ثم إلى الشهوة ثم إلى المعصية ثم إلى القطيعة والإنكار، إذاً «قلن قولا معروفا» لا تخضعن لهم بالقول «وقرن في بيوتكن» لما نزلت هذه الآية بقيت سودة في بيتها حتى خرجت جنازتُها ما تجاوزت عتبة باب بيتها لا إلى صلاة ولا إلى حج، وكان الخلفاء كلما حجوا حجوا بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وسودة تقول إن القرآن يقول لنا «وقرن في بيوتكن» والله لا تحركني دابة أبدا حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمهات المومنين الباقيات كن يحججن مع الخلفاء كل عام إلا سودة ما خرجت حتى للصلاة قالت يقول الله «وقرن في بيوتكن»[1] ﴿وَلاَ

---

1 – أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنسائه عام حجة الوداع هذه ثم ظهورَ الحُصْر قال فكن كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة وكانتا تقولان والله لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم. قال إسحاق بن سليمان في حديثه: قالتا

تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أصل التبرج الطلوع على الجبل على البرج، والمعنى إظهار الزينة بالظهور والمظاهرة للرجال، أصل هذا كان أولاد آدم في الزمن الأول جزءين: جزء سكنوا الجبال وجزء سكنوا السهل، فأما الذين سكنوا السهل فقد خلقهم الله في صور بارعة في الجمال، عكس الذين سكنوا الجبال فلما أراد إبليس اللعين أن يوقعهم في الفواحش صنع مزمارة وأتى للذين سكنوا الجبال فصار يصوت لهم فحلقوا وراءه يستمعون، فسار فتبعوه حتى أتى بهم إلى أهل السهل فرأوا نساء باهرات في الجمال، فتنادوا وانتقلوا إليهم واجتمعوا وتبرجت نساؤهم للرجال، فوقعوا في الفواحش، هذا أصل التبرج[1]، ويطلق على كل امرأة تكشفت وأظهرت محاسنها للرجال ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ الإثم ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ يا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ لما نزلت أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كساء خيبريا وأدخل عليا وفاطمة والحسن والحسين وقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي فطهرهم

والله لا تحركنا دابة بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذه ثم ظهورَ الحُصْر) مسند أحمد/ حديث زينب بنت جحش زوج النبي (25526).

1 – أخرج الحاكم في المستدرك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تلا هذه الآية "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" قال: كانت فيما بين نوح وإدريس ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صِباحا وفي النساء دمامة وكانت نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام الرعاة فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله فاتخذوا عيدا يجتمعون إليه في السنة وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهن ونزلوا معهن فظهرت الفاحشة فيهن فذلك قول الله عز وجل "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" المستدرك: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين/ ذكر إدريس: شرح ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى (4061).

تطهيرا) فأمّنت أُسكُفّة الباب قالت آمين بصوت يسمعه الناس كلا. قالت أم سلمة يا رسول الله نحن لسنا من أهل بيتك؟ قال: (أنتن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء أهل بيتي)[1] ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ ذكّرهن الحق تبارك وتعالى أن يذكرن القرآن بكثرة التلاوة والاستماع للقرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ سُنة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ لم يزل لطيفا بأوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه. دائما يدعو إلى كثرة ذكر الله كما يدعو إلى كثرة تلاوة القرآن، لأن القرآن حبل الله طرفه بيد الله تبارك وتعالى والطرف الآخر بأيدينا[2]. وبالقرآن نعلم الحلال والحرام والأمر والنهي، فلولا القرآن ما عرفنا مراد الله تبارك وتعالى فينا، فعلماء الصحابة هم الذين قرأوا القرآن إذا حفظ أحدهم سورة أو سورتين أو ثلث القرآن، والحفاظ في ذلك الزمن قليلون جدا، تسعة نفر وقيل ستة[3]، ولكن كلما

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله قال أنت على مكانك وأنت على خير. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الأحزاب (3129) ولمسلم في صحيحه من كتاب الفضائل دون ذكر قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم هؤلاء أهل بيتي).

2 – روى الطبراني في الكبير عن جابر: (أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا). كنز العمال: الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة (888)

3 – جاء في نور الأبصار نقلا عن الدميري في حياة الحيوان : وأما من جمع القرآن حفظا على عهده صلى الله عليه وسلم فأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد الأنصاري وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وتميم الداري وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري. نور الأبصار ص55. تقدم في الدرس 36. وقد أورد ابن حجر في فتح الباري تعليقا مطولا على جمع القرآن رجح فيه أن الحصر الوارد في حديث

قرأوا آية يتفهمونَها ويعلمون ما فيها من العلم ويعملون به هذا هو الذي سبقونا به. حتى أن في زمن عمر سرق رجل فأخِذ وأتي به إلى أمير المؤمنين فأمر عمر بقطع يده، فقال الرجل: لِمَ تقطع يدي؟ قال له: هكذا أمر الله تبارك وتعالى، قال: الله أمر بِهذا؟ قال: نعم. قال له: من أين؟ قال عمر: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله". قال: والله ما سمعت هذا قط ولو سمعت هذا ما سرقت[1]، ولكن عمر ما أعذره بالجهل قطع يده، ولذلك - وذلك في وقت رمضان - أمر عمر قارئا وهو أُبي أن يقرأ القرآن جهرا للناس ليسمعوا القرآن. فصاروا يقرأون القرآن، كل مسلم يسمع القرآن من أوله إلى آخره لا يجد حجة بعد هذا يقول ما علمت أن السرقة حرام أو نحو ذلك. مر برجل يصلي وحده وبرجل يصلي معه اثنان ورجل يصلي معه نفر، فقال لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد، فجمعهم على أبي. ليلة أخرى مر بِهم وكلهم ينصتون لقراءة الإمام، فقال نعم البدعة هذه[2]، تواضعا منه رضي الله عنه لأنه كل ما فعل فهو سنة قال النبي صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من

أنس لا مفهوم له. انظر فتح الباري: شرح الحديث رقم 5003 من صحيح البخاري (كتاب فضائل القرآن/ باب القراء من أصحاب النبي)

1 - روح البيان ج6/473

2 - عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله. صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح / باب فضل من قام رمضان (2010).

بعدي)[1] (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)[2] فكل ما فعل عمر فقد أقره الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن تواضعا منه قال نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها خير من التي يقومون، يعني آخر الليل.(..)[3] «واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة» وكما يطلب تلاوة القرآن يطلب استماع القرآن حتى الرسول صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يسمع القرآن من أُبي فأتى لأبي فقال إن الله أمرني أن أسمع منك القرآن يا أُبي، قال أوَ سماني الله باسمي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، فبكى أبي وقرأ للنبي صلى الله عليه وسلم؛ واستمع القرآن من ابن مسعود[4]، وكان عمر إذا اجتمعوا ينادي أبا موسى الأشعري - وكان حسن

---

1 - عن العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم يرى اختلافا كثيرا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها. سنن الترمذي: كتاب العلم/ باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (2600) وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه، المستدرك: كتاب العلم/ باب عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين (333).

2 - عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر). سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في مناقب أبي بكر وعمر كليهما (3595). وفي سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة/ باب فضل أبي بكر الصديق (94).

3 - هنا سئل مولانا الشيخ رضي الله عنه فأجاب بقوله: [في جميع النساء؛ أفضل مساجد النساء قعر بيوتهن، حديث.] وهو ما روى أحمد عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خير مساجد النساء قعر بيوتهن). مسند أحمد/ حديث أم سلمة زوج النبي (25331).

4 - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لأُبي إن الله أمرني أن أقرأ عليك "لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب" قال وسماني قال نعم فبكى. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب

الصوت - يقول ذكّرنا ربنا فيقرأ عليهم القرآن[1]. هؤلاء أهل البيت طهرهم الله تطهيرا وأمر بمودتِهم، فعلى هذا ينبغي المحبة والتقدير والتعظيم والإجلال لآل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم محبة فيه. يحكى أن امرأة من آل البيت وقع غزو لبلدها وتفرق الناس فخرجت هاربة بأولادها حتى نزلت بقرية من قرى المسملين وأتت لأمير تلك البلدة، قالت له أنا علوية أود أن تعطيني شيئا أنفق به على نفسي وعلى أولادي، قال لها أمير البلدة: من يشهد لك أنك علوية من أهل البيت؟ قالت: ليس عندي من يشهد لي أنا هاربة من بلاد بعيدة لا يعرفني في هذه البلدة أحد، فطردها[2]، وذهبت إلى دار مجوسي فاجر فأطعمها وكساها وكسا أولادها وأكرم مثواها، وفي الليل رأى أمير البلدة أن القيامة قد قامت وأن المصطفى صلى الله عليه وسلم وقف يشفع في الناس وجاء الأمير ونظر إلى قصر في الجنة، قال: لمن

مناقب أبي بن كعب (3809). وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل أبي بن كعب وصحابة من الأنصار (4510).

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي، قلت آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا" قال: أمسك، فإذا عيناه تذرفان. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد (4582) وفي صحيح مسلم من كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه (1333). تقدم في الدرس 11. وفي رواية عن أنس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب إن الله أمرني أن أقرئك القرآن.. الحديث. صحيح البخاري: كتاب التفسير/ (4961).

1 - أخرجه الدارمي في سننه عن ابن شهاب قال حدثني أبو سلمة أيضا أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده. سنن الدارمي: فضائل القرآن/ باب التغني بالقرآن (3357). تقدم في الدرس 13

2 - حكاية العلوية في روح البيان ج174/7.

هذا القصر يا رسول الله؟ قال لكل مؤمن موحد من أمتي، قال: أنا مؤمن موحد من أمتك، قال: آتني بمن يشهد لك على ذلك. فاستيقظ فزعا فتطلب المرأة فوجدها عند ذلك المجوسي، فطلب من المجوسي أن يدفعها له. قال المجوسي: للرؤيا التي رأيتَ؟ أنا رأيت كما رأيتَ وأسلمتُ على يدها ولا أسلمها لك أبدا. بعكس شريف علوي آخر صلوا في مسجد ووقف وقال: عندي بنت أريد تجهيزها إلى زوجها وليس عندي شيء، من يعطيني ما أجهز به هذه البنت وأنا واحد من أهل البيت؟ وكان هناك تاجر أخذ رأس مال تجارة من شخص خمسمائة دينار فأخذ الخمسمائة دينار ودفعها للرجل، ونام تلك الليلة فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وقال له: نِعم ما فعلت، امش إلى البلد الفلاني واسأل عن عبد الله بن طاهر وقل له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويأمرك أن تعطيني خمسمائة دينار. فأصبح الرجل وتَهيأ للسفر قالت له زوجته: ما نأكل حتى ترجع إلينا؟ ما عندنا غداء اليوم. ذهب إلى خباز بجواره وقال له: أرجوك أن تدفع لعيالي مؤونتهم حتى أرجع ولك مني بدل كل درهم دينار. قال له الخباز: الذي أرسلك أوصاني على عيالك أنا سأنفق عليهم حتى ترجع إليهم ولا شيء عليك، رأيتُ المصطفى كما رأيتَه وقال لي عليك بعيال فلان، امش لا تخف. فمشى إلى البلد واستقبله الرجل عبد الله بن طاهر قبل دخول البلدة، وقال له مرحبا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزله وأضافه ثلاثة أيام أكرم مثواه ودفع له خمسمائة دينار كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: وهذه خمسمائة دينار أخرى لمجيئك بالبشارة من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

---

1 – روح البيان ج174/7.

«إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله» مع ذلك هم أولى الناس برعاية أوامر الله، الحسنة حسنة وفي الشريف أحسن والسيئة سيئة وفي الشريف أسوأ، نساء النبي صلى الله عليه وسلم لسن كغيرهن من النساء والرجال لإضافتهن إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فكل ما أضيف إلى شريف يكون شريفا وإلى رفيع يكون رفيعا وهن أضفن إلى أعلى البرية قدرا عند الله تبارك وتعالى. «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ» لما ذكر القرآن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت النساء ليس فينا خير الله ذكر الرجال وذكر نساء النبي وما ذكرنا نحن في شيء[1] فنزل ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ من أقر بالشهادة موقنا بقلبه فهو مسلم والأنثى كذلك ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ من آمن بما جاء به القرآن من غير نفاق فهذا مؤمن ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ من حافظ على خمس صلوات في اليوم والليلة وصام رمضان كل عام فهو قانت ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ من صدق بالقرآن والرسول فهو صادق، من عمل لله لا يقصد غير الله فهو صادق ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ من صبر على المصيبة وصبر على الطاعة

---

1 – عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الآية "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات" الآية. سنن الترمذي: تفسير القرآن/ باب ومن سورة الأحزاب (3135) .

وروى أحمد عن عبد الرحمن بن شيبة قال سمعت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ما لنا لا نذكر في القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعني منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر قالت وأنا أسرح شعري فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي فجعلت سمعي عند الجريد فإذا هو يقول عند المنبر يا أيها الناس إن الله يقول في كتابه إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات إلى آخر الآية أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما. مسند أحمد: مسند الأنصار/ باب حديث أم سلمة زوج النبي (25389).

وصبر عن المعصية فهو صابر ﴿وَالْخَاشِعِينَ﴾ المتواضعين ﴿وَالْخَاشِعَاتِ﴾ من صلى لا يعرف من على يمينه ومن على شماله فهو خاشع ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ من دفع الصدقات، من تصدق في كل شهر ولو كسرة فهو متصدق ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾ من صام رمضان وصام ثلاثة أيام من كل شهر فهو صائم ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ من حفظ فرجه إلا عن زوجه فهو حافظ، قال ابن المبارك: والله ما جامعت امرأة قط غير أم أولادي في يقظة ولا في نوم، حتى الاحتلام لا يقع منه إلا من حلال. قال بعض الصالحين: ليتنا في يقظتنا كابن المبارك في نومه. قال إنه يرى المرأة في النوم فيعلم أنّها ليست حلالا فيفر منها وهو نائم ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ من حافظ على خمس صلوات في اليوم والليلة فقد ذكر الله كثيرا. هذه عشر مراتب اشترك فيها الرجال والنساء. بيّن في هذه الآية أن النساء يزاحمن الرجال في كل المقامات من البداية إلى النهاية. البداية الإسلام أول قدم في الإسلام التوبة، والنهاية المعرفة بالله وذكر الله منشور الولاية. يزاحمن الرجال في كل المقامات إلا في ثلاث مراتب فقط الرسالة والنبوة والقطبانية العظمى، ما سوى هذا من التوبة إلى الصديقية يمكن أن يكون الرجال والنساء فيه سواء. ختم بالذكر فإنه آخر المقامات لأنه معرفة الله تبارك وتعالى وقال «والذاكرين الله كثيرا والذاكرات» والإكثار على حسب مراتب الناس. الناس عامة ومريدون وواصلون عارفون؛ فالإكثار في حق العامة ثلاثمائة في كل يوم، وفي حق المريدين اثنا عشر ألفا في كل يوم، وفي حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم ولو سهوا، فذكر الله بداية الولاية أوله الذكر باللسان من غير فكر أو تفكر، ثم ذكر القلب ثم ذكر مع تفكر، ثم ذكر مع حضور، ثم ذكر مع غيبة عما سوى الله تبارك وتعالى، يفنى ثم يفنى ثم يفنى، فناء في الأفعال وفناء في الصفات وفناء في

الذات. الفناء في الأفعال كثير من المؤمنين وصلوا إليه، من عرف يقينا أن لا فاعل في الوجود إلا الله فقد فني في الأفعال، كلنا يعرف هذا؛ ومن عرف يقينا أن المتصف بالصفات هو الله هذا فني في الصفات، أين صفات الله تبارك وتعالى؟ صفات المعاني كما نتعلم في علم الكلام: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، في بداية التوحيد نتعلم أن هذه صفات الله تبارك وتعالى ولكن نشاركه فيها مع ذلك هذا هو الذي حجبنا، إذا تركنا له صفاته لا قادر إلا الله، لا عالم إلا الله، لا مريد إلا الله، لا سميع إلا الله، لا متكلم إلا الله، ولا بصير إلا الله، من علم هذا وصل إلى الفناء في الصفات، هذا قريب من الوصول، ومن علم يقينا أن لا موجود سوى الله هذا قد فني في الذات هذا هو الذي وصل. أتم حجاب عن وجود شيء سوى وجود الحق تبارك وتعالى صاحب هذا المقام، وكل هذا مفتاحه ذكر الله تبارك وتعالى، "اذكروا الله كثيرا". وكل العبادات لها أوقات وحدود، الصلاة وهي أحب العبادات إلى الله تبارك وتعالى يوجد وقت تمنع فيه الصلاة، لا يجوز التنفل الآن نحن الآن بعد العصر، والصوم كذلك، كل العبادات يؤمر العبد بها في وقت ويمنع عنها في وقت آخر إلا ذكر الله تبارك وتعالى قال: "كثيرا" فقط "اذكروا الله ذكرا كثيرا" كما سيأتي في الآية الآتية يعني في كل مكان وفي كل زمان وفي كل حال. اذكر الله حاضرا أو غائبا، مسافرا أو مقيما، قائما أو قاعدا وعلى جنبك في صحة وسقم، في يسر وعسر، في كل حال من الأحوال عليك بذكر الله تبارك وتعالى. العبد ليس له إلا الله، نحن ما عندنا إلا يا رب، إذا وجدنا قوة فلا نعتمد عليها نقول يا رب، وإن رأينا ضعفا فلا ننظر إلى ضعفنا نقول يا رب، إن وجدنا يسرا يا رب، عسرا يا رب، صحة يا رب، سقما يا رب، مجتمعين يا رب، متفرقين يا رب، وهذا ليس إلا لنا، الأمم قبلنا ليس لهم أن يدعوا الله تبارك

وتعالى، إذا عرضت لهم حاجة يأتون لنبيهم يطلبون منه أن يدعو الله لهم، ونحن أعطينا الإذن المطلق في ذكر الله والدعاء والطلب منه في كل حال من الأحوال الحمد لله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على الطاعات ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ﴾ سبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بيضاء جليلة أجمل امرأة في ذلك اليوم في قريش وأرفعهن قدرا خطبها لزيد بن حارثة عبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسود أفطس[1]، قالت له: يا رسول الله أنا زينب بنت جحش بنت أميمة عمتك أنت، وأنا اليوم أعلى قدرا في قريش، أجمل النساء وأعلاهن قدرا كيف تزوجني لمولى؟ ما يمكن هذا، إذا أردت أن تخطبني تخطبني لنفسك أو لكفُئي، وقال عبد الله بن جحش أخوها مثل ذلك فنزلت «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ» كعبد الله «وَلاَ مُؤْمِنَةٍ» كزينب ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ليس لهم أن يختاروا بعد اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم فتابا ورضيا بما اختار الرسول صلى الله عليه وسلم فكافأها الله بأن زوجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ﴿وَمَنْ يَّعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ بيّنا؛ زلّت قدم المفسر في هذه الآية أيضا زللا كبيرا، هذه أكبر من أختها قال: فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها وفي نفس زيد كراهتها ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك هذا قول المفسر، وهذا ليس هو الواقع، ولا يليق بمرتبة أصفياء الله تبارك وتعالى ولاسيما بأعلى المرسلين قدرا،

1 – انظر ترجمة زيد في سير أعلام النبلاء ج1/161 رقم 41.

ولا يمكن. زينب تربت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة واحدة بيتهم واحد كيف يخفى حسنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يطلع عليها بعد تزويج زيد ثم يحبها؟ هي من نشأتِها بمرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى زوجها لزيد كيف تأخر وقوع بصره عليها؟ لا ليس هذا هو الواقع كل هذا لا أصل له، إنما الواقع أن النبي صلى الله عليه وسلم زوجها لزيد فأوحى الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زيدا سيطلق زينب وليست زينب بزوجة له، وإنما زينب زوجة لك يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، علم هذا بالوحي وهو يخفيه لأنه ليس متعلقا بالتبليغ، إعلام الله له أنه سيزوجه زينب ليس فيه حق لأحد، وأسرار الربوبية التي يطلع عليها الأنبياء والأصفياء ولا حق للخلق فيها ليس عليهم أن يبلغوها، فأخفى هذا في نفسه، وأتاه زيد وما ضاجعها قط عندما دخل عليها وقعت له هيبة لم يبنِ بها حتى فارقها، فأتى للرسول صلى الله عليه وسلم يقول له أنا أريد فراق زينب، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ما نقمتَ منها؟ تتكبر علي وتتعظم لابد أن أطلقها، يقول له الرسول صلى الله عليه وسلم: اتق الله وأمسك عليك زوجك، وهو يعلم أن الأمر واقع ولكن كتم هذا الأمر[1]. هذا هو

---

1 - قال ابن حجر في شرحه للحديث رقم (4787) من كتاب تفسير القرآن / باب "وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه": وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي فساقها سياقا واضحا حسنا ولفظه "بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها إياه، ثم أعلم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بعدُ أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك عليه زوجه وأن يتقي الله، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه، وكان قد

ما وقع لا غير كما قال القرآن لم يترك من هذا شيئا ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق وهو زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره «تخفي في نفسك ما الله مبديه» هذه الكلمات تكفي دليلا على كذب ما يقول بعض المفسرين أن النبي صلى الله عليه وسلم أحبها وتمنى أن لو فارقها زيد لتزوجها، لأن الله قال «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ» الذي كتم النبي إن الله سيبديه، أي شيء أبداه الله؟ تزويجها إياه فقط. إذاً الذي كان يخفيه النبي في نفسه هو علمه أنه سيزوجها الله من رسوله لا غير[1] ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ لما أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه سيزوجه بزينب بنت جحش وقد كان تبنى زيدا خشي من جهة البشرية لا من الجهة الشرعية خشي أن يتقول المنافقون فيهلكون أن محمدا تزوج زوجة ابنه، وهذا وقع فعلا؛ وهذه المخافة

تبنى زيدا " . وعنده من طريق علي بن زيد عن علي بن الحسين بن علي قال : أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد يشكوها إليه وقال له: اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله: قد أخبرتك أني مزوجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه .. ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والذي أوردته منها هو المعتمد . والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي صلى الله عليه وسلم هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه.

1 – قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألني علي بن الحسين رضي الله عنهما ما يقول الحسن في قوله تعالى "وتخفي في نفسك ما الله مبديه" فذكرت له فقال لا ولكن الله تعالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها فلما أتاه زيد رضي الله عنه ليشكوها إليه قال "اتق الله وأمسك عليك زوجك" قال قد أخبرتك أني مزوجكها "وتخفي في نفسك ما الله مبديه". وهكذا روي عن السدي أنه قال نحو ذلك. تفسير ابن كثير ج492/3.

لامه الحق تبارك وتعالى عليها أنه كان ينبغي للمصطفى صلى الله عليه وسلم أن لا يلتفت إلى ما سيقوله الناس بعدما أمر الله تبارك وتعالى بأمره. فذهب زيد ما قدر على إمساكها فطلقها. فلما طلقها وانقضت عدتُها أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى زيد قال له: اذهب إلى زينب اخطبها لي. قال زيد لما دخلت البيت ما تجرأت على الدخول عليها هيبة لما خطبها الرسول صلى الله عليه وسلم علمت أنّها صارت من أمهات المومنين فقال: أبشري يا زينب فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك، قالت حتى أؤامر ربي، حتى تصلي الاستخارة وتعطي الجواب[1] ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ وقع التزويج من الحضرة، فلما نزلت «زوجناكها» مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فورا على إثر زيد فأتى وجلس معها هي زوجته الآن وأشبع المسلمين خبزا ولحما، أولَم لزينب ما لم يولم قط لنسائه حتى أنه ذبح شاة[2] ﴿لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ مقضيه ﴿مَفْعُولاً﴾ إن الحكمة في

---

1 – أخرج مسلم عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد (فاذكرها علي) قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن الحديث.. صحيح مسلم: كتاب النكاح/ باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس (2567).

2 – عن ثابت قال ذكِرَ تزويجُ زينب بنت جحش عند أنس فقال ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أولم على أحد من نسائه ما أولم عليها أولم بشاة. صحيح البخاري: كتاب النكاح / باب من أولم على بعض نسائه أكثر من بعض (5171) صحيح مسلم: كتاب النكاح / باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس (2568).

تزويج زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلم المؤمنون أن لا حرج في التزويج بزوجات الأبناء الأدعياء، من ادعى أن فلانا ولده وليس ولدا حقيقة فيجوز أن يتزوج بزوجته إذا طلقها ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيءِ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ الله أحل زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الأمر صالح بينه وبين الله في هذا إذاً ما كان ينبغي أن يتحرج من تطاول ألسنة المنافقين ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ كسنة الله ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء لا حرج عليهم في ذلك، وكان الأنبياء يتزوجون بالأبكار ومطلقات الغير وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يجوز له أن يتزوج النساء سواء أبكارا أو مطلقات الغير ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فعله ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ أي مقضيا. فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب؛ هذا جزاؤها لما رضيت باختيار الله ورسوله تزويجها من مولى. وزيد لا تجد اسم صحابي مطلقا في القرآن نصا إلا اسم زيد هذا تأنيسا له وجزاء لرضاه بقضاء الله تبارك وتعالى، لما فارق زينب وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح به أشد الفرح، سرّ به أكثر من غيره فأنسه الله لما كان قرينته بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقدها ورضي بذلك أنسه الله بأن صار اسمه وحيا يتلى إلى آخر الدهر. هذا أرفع قدرا من زيد زوج زينب، والمدار على قدر الله تبارك وتعالى، لا يكون إلا ما قدّر الله تبارك وتعالى. سئل الجنيد: أوَ يزني العارف؟ قال: وكان أمر الله قدرا مقدورا، قال ابن عطاء الله: لو سئل هل يتعلق قلب العارف بغير الله؟ لقال: لا. أما الأفعال فتجري وفق المشيئة فكل كمال في حق الله يقابله نقص في حق العبد، عند العبد من النقائص قدر ما عند الله من الكمالات ما معنى هذا؟ معنى هذا أن الكمالات كلا لله، إذا اتصف بجميع كمالاته لم يبق للعبد إلا النقصان، وكل نقص في حق العبد كمال في حق الله تبارك وتعالى. قدّر الله على عبد صالح أنه يشرب الخمر

الآن فشرب الخمر هذا نقص في حقه هو كمال في حق الله. إن النقص في حق الله أن يكون غير ما يريد، وإذا وقع ما أراد الله فهو الكمال في حق الله، والكمال في حق الله أولى من الكمال في حق العبد، وهذا الفرق بين الولي والفاسق كما يقول الجيلي. إبليس اللعين لما امتنع من السجود لآدم، بعد ذلك طلب من الله تبارك وتعالى أن يتوب عليه ويعفو عنه وقال إن هذا شيء قد قضاه الله عليه، أمر الله الملائكة أن يسألوه: حقيقة عند امتناعك من السجود نظرت أولا أن هذا ما أراد الله تبارك وتعالى وذهبت مع مراد الله أم امتنعت بطبعك وبعد ذلك علمت أن هذا مراد الله؟ قال: حقا أنا امتنعت طبعا وبعد ذلك علمت أن هذا مراد الله؛ من هنا هلك لو كان يرى مراد الله أولا فانقاد مع مراد الله لا يكون الأمر معصية في حقه ولكن من ارتكب ما ارتكب طبعا وبعد ذلك يتعلل بالقضاء والقدر فهذا لا يجدي شيئا «وكان أمر الله قدرا مقدورا» ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ لا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ حافظا لأعمال خلقه فكذبهم البتة ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ كذبتم أن محمدا تزوج زوجة ابنه، إن محمدا لم يكن أبا لأحد من رجالكم ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ فلا يكون له ابن رجل أبدا. محمد هذا اسمه والله يجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخاطبه كما يخاطب بعض أنبيائه الذين يناديهم ويخبر عنهم بمجرد أسمائهم: يا آدم يا نوح يا إبراهيم يا موسى، يا داود، يا عيسى، هكذا قرأنا في القرآن، وما قرأنا في القرآن يا محمد ولا يا أحمد وإنما نقرأ يا أيها الرسول، يا أيها النبي؛ نعم ذكر اسمه صريحا لأنه لو لم يذكر اسمه صريحا ما عرفنا هذا الرسول وهذا النبي الذي يعني القرآن فقال "محمد رسول الله" «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله» ذكر اسمه لنعلم

هذا الرسول ما اسمه، ولكن كلما ذكر اسمه لابد أن يقرن اسمه برسالة وصفات تميزه من غيره من الأنبياء. محمدٌ اسمه محمدٌ بالرفع والتنوين هذا اسمه «ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم» "محمدٌ رسول الله" "وما محمدٌ إلا رسول... الآية"، هو اسمه محمدٌ بالرفع والتنوين معرفة اسمه من شرط الإيمان: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، لابد للمسلم أن يعلم اسم محمد صلى الله عليه وسلم، أما اسم أبيه أو جده فلا، لا يشترط أن يعرف الإنسان أنه محمد بن عبد الله ولاسيما بن عبد المطلب، بل يكفي مجرد معرفة اسم محمد؛ ومحمد ومحمود ليسا واحدا: محمود من عمل ما يحمد عليه ومحمد من استمر في هذا، كل محمد محمود وليس كل محمود محمدا إلا إذا كان محمد محمود. محمد هذا سماه به جده عبد المطلب وقيل له تسميه محمدا وليس في أسماء آبائك وأجدادك؟ قال تفاؤلا أن يحمده الأولون والآخرون[1]. ووقع ما كان متفائلا به، حمده الناس جميعا لاسيما إذا جلس في مقامه المحمود "عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" فيقف يشفع للخلائق فيحمده الأولون والآخرون (..)[2].

محمد صلى الله عليه وسلم يقول: ما على أحدكم أن يكون في بيته محمدان أو ثلاثة[3] فمن سمى ولده محمدا محبة في النبي صلى الله عليه وسلم فالوالد والولد

---

[1] – عن ابن عباس قال: لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم عق عنه بكبش عبد المطلب وسماه محمدا فقيل له: يا أبا الحارث ما حملك على أن سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه؟ قال: أردت أن يحمده الله في السماء ويحمده الناس في الأرض. كنز العمال: كتاب الفضائل/ باب فضائل النبي صلى الله عليه وسلم (35520).

[2] – [جواب لمولانا الشيخ ونصه: فاتحة الكتاب أعطي فاتحة الكتاب، نعم بسم الله الرحمن الرحيم وجدها في الكتب بسم الله الرحمن الرحيم لكن فاتحة الكتاب خاصة به]

[3] – (ما ضر أحدكم لو كان في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) رواه ابن سعيد مرسلا عن عثمان العمري. الحديث رقم 7932 من الجامع الصغير. وقد تقدم في الدرس 9.

يدخلان الجنة بشفاعته صلى الله عليه وسلم. أقسم الجليل أن لا يدخل النار من اسمه محمد أو أحمد[1] فلهذا سئل عن أفضل الأسماء فقال ما عُبد أو حُمد[2]. عبد الله، عبد الرحمن؛ أو محمد وأحمد وحامد أو محمود. كان واحد من بني إسرائيل لا يقرأ التوراة ويرى اسم الرسول إلا وقبّله، وما عمل خيرا قط، فلما مات امتنع الناس من الصلاة عليه فنزل جبريل وقال لموسى اخرجوا إلى الصلاة على ولي الله تبارك وتعالى، قال: ولي الله؟ من أين وجد هذه المرتبة ما عمل خيرا قط؟ قال: ما نظر إلى اسم محمد في التوراة إلا وقبّله هذا هو الذي ألحقه بالأولياء[3]. وله أسماء كثيرة ألف اسم[4] كلها تدل على صفاته قال: أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على أقدامه[5] وهو أول من تنشق عنه الأرض

---

1 – قال القاضي عياض في كتابه الشفا: وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه: إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم. وروى القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت أهل مكة يقولون: ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا ورزق جيرانهم. الشفا ج176/1 تقدم في الدرس 9.

2 – ورد في كشف الخفاء: أحب الأسماء إلى الله ما عبد وحمد. كشف الخفاء: حرف الهمزة مع الحاء (118).

3 - روح البيان ج185/7.

4 – قال النووي: ذكر أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه عارضة الأحوذي في شرح الترمذي عن بعضهم أن لله تعالى ألف اسم، وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم أيضا. شرح صحيح مسلم: كتاب الفضائل / باب في أسمائه (شرح ترجمة الباب).

5 – جاء في الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب). صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب ما جاء في أسماء رسول الله (3532) وفي صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب في أسمائه (4342)

كما سيأتي وأنا العاقب الذي أتى عقب الرسل. هذه الأسماء صفات له صلى الله عليه وسلم ما كان أبا أحد من رجالكم، لهذا ما وجد ولدا ذكرا بلغ مبلغ الرجال. هو ولد له سبعة أولاد: أربع بنات وثلاثة بنين، البنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، زينب أكبر البنات وقيل أكبر الأولاد مطلقا؛ والذكور أكبرهم القاسم وعبد الله وإبراهيم من الجارية. أكبر الذكور القاسم وأكبر البنات زينب والخلاف في أيهما أكبر. القاسم مات عن سبعة عشر شهرا وعبد الله كذلك وإبراهيم كذلك كلهم ما جاوز ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، والحكمة في ذلك أنه خاتم النبيئين ولو عاش أولاده الذكور لكانوا أنبياء أو بعضهم على الأقل فإذا لا يكون هو آخر الأنبياء، فلهذا أخذ الله أولاده كلهم مات صغيرا[1] فخرج نسله من بناته، تبنى الحسن والحسين أولاد فاطمة وألحقهما بنسبه الشريف وهما أبوا الشرفاء[2].

---

1 - روى البخاري في صحيحه حدثنا ابن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل قلت لابن أبي أوفى رأيت إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضي أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي عاش ابنه ولكن لا نبي بعده. صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب من سمى بأسماء الأنبياء (6194). ولابن ماجه عن ابن عباس قال لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لعتقت أخواله القبط وما استرق قبطي. سنن ابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز/ باب الصلاة على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم (1500) وعند أحمد عن أنس: لو عاش إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم لكان صديقا نبيا. مسند أحمد: مسند أنس بن مالك (11908).

2 - أخرج السيوطي في الجامع الصغير (إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب) رواه الطبراني في الكبير عن جابر والخطيب في التاريخ عن ابن عباس. الجامع الصغير ج1/ رقم الحديث 1717.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ منه أن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته فلا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينافي أن عيسى سينزل في آخر الزمان، فهو إذا نزل في آخر الزمان ينزل بصفته واحدا من هذه الأمة يحكم بالشريعة المحمدية خليفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط فعيسى هو الخاتم الأكبر للولاية. نعم في الحديث أن عيسى إذا نزل يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية ويزيد في الحلال[1] وكل هذا يأخذه من الشريعة المحمدية، فإذاً ليس بشيء جديد أتى به فهو ولي بالحكم وإن كان من الأنبياء ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أكد الأمر بذكر الله كثيرا، رجع الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصحابة من الجهاد فمر بجبل فقال: هذا جُمدان جبل كان متفردا على الجبال، اذكروا الله ذكرا كثيرا، سبق المفردون، سبق المفردون قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات[2]،

---

1 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا. صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء / باب نزول عيسى بن مريم (3448) صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (220). وقد قال النووي في شرحه لهذا الحديث "حكما": أي حاكما بهذه الشريعة لا ينزل برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة، وقد تابعه ابن حجر بألفاظ مقاربة.

2 – أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال: سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات. صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب الحث على ذكر الله تعالى (4834).

من هم؟ المهترون بذكر الله[1]، قولوا لا إله إلا الله حتى يقولوا مجنون، الذين يهترون في ذكر الله في كل حال من الأحوال، وخير الذكر لا إله إلا الله، قولوا لا إله إلا الله حتى يقولوا مجنون[2]؛ هكذا كنا ثم قست القلوب كما يقول أبو بكر، جاء أهل اليمن يذكرون الله والدموع تفيض وهم يتحركون فنظر إليهم أبو بكر قال هكذا كنا ثم قست القلوب[3]، تواضع رضي الله عنه فعبر عن الكمال بقسوة القلوب، هذا ما وقع لنا ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ يرحمكم ﴿وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾ بلسان الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ على من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرا من كذبك بالنار ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ دعا الناس إلى الله بإذنه وهذا هو الحكمة في استعمال الإذن، الحكمة في استعمال الإذن تسهيل الأمر، إن كل ماذون فيه يتيسر، وما دخل فيه الإنسان بغير إذن ربما يتعسر عليه حتى الرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى الله بإذن الله «وسراجا منيرا» مثل السراج في الاهتداء به. سأل موسى لِم سمي النبي صلى الله عليه وسلم سراجا؟ قال له أوقد نارا بباب دارك، فأوقد نارا بباب داره فقال كل أهل السرُج يقتبسون

---

1 – عن ابن يعقوب قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا: يا رسول الله ومن المفردون؟ قال: الذين يهترون في ذكر الله. مسند أحمد: مسند المكثرين/ (7940).

2 – روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون). مسند أحمد: مسند أبي سعيد الخدري (11246).

3 – نقل الغزالي في الإحياء قول أبي بكر الصديق: كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا. الإحياء ج2/413.

منها فكل أهل السرُج قبسوا من النار وأوقدوا سُرُجهم وما نقص شيء من النار[1]، قال له هكذا محمد صلى الله عليه وسلم يمد جميع الأنبياء والمرسلين والعارفين والأولياء والمؤمنين وحتى المسلمين بل يمد جميع الخلائق وما عنده لا ينتقص ومثله في ذلك شريعته الغراء، من حمل الشريعة يعلم الناس كلا مدة حياته ولا ينتقص من علمه شيء، بل العلم يزداد بالتعليم. هذا سراج النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾ هو الجنة ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ في ما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ﴾ اترك ﴿أَذَاهُمْ﴾ لا تبال بهم ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ مفوضا إليه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ تماسوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ تحصونها بالأقراء ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ اعطوهن ما يستمتعن به ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن، عقد بالمهر ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ الجواري ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاَتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ بخلاف من لم تهاجر فليس للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَّهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ كذلك كل امرأة مؤمنة وهبت نفسها أعطت نفسها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم يتقبلها إن شاء ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيءُ أَنْ يَّسْتَنكِحَهَا﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التزويج بدون ولي وشهود وصداق خاص بالمصطفى صلى الله عليه وسلم لأنه أولى

---

1 - روح البيان ج7/ 197.

بالمؤمنين من أنفسهم فعلى هذا إن وهبت له المرأة نفسها حلت له حينا من غير أن يحتاج لعقد أو مهر أو ولي، قالت عائشة: كان أصعب شيء علي الواهبات أنفسهن لرسول الله- صلى الله عليه وسلم فأقول: أو تَهب المرأة نفسها؟ قبح الله امرأة تَهب نفسها، فقالت فجاءت هذه الآية: «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيء إن أراد النبيء أن يستنكحها» قالت: ما أرى الله إلا يسارع لك في هواك[1].

كل ما يحبه النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحبه الله، وقد خطب اثنتين وثلاثين امرأة بعضهن دخل بهن وبعضهن لم يدخل بهن. وعقد على أربع عشرة دخل باثنتي عشرة امرأة، خديجة في زمنها وحدها وإحدى عشرة بعدها: عائشة وسودة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وجويرية وميمونة وصفية وزينب بنت خزيمة بن الحارث وماتت في حياته كان عنده ثلاث زوانب، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وريحانة بنت زيد. وزينب بنت جحش أول من مات من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده وكان يقول: أسرعكن لحوقا بي أطولكن يدا [2] وكانت زينب بنت جحش تعمل بيدها وتتصدق؛ فكن يأخذن خيطا يقسن أذرعهن، والمراد أطولكن يدا أكثركن صدقة. فلما ماتت زينب علموا أن ذلك هو المراد.

---

[1] – عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أتهب المرأة نفسها فلما أنزل الله تعالى ترجئ من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله ترجئ من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك (4788). وفي صحيح مسلم: كتاب الرضاع / باب جواز هبتها نوبتها لضرتها (2658).

[2] – عن عائشة أم المؤمنين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا قالت فكن يتطاولن أيتهن أطول يدا قالت فكانت أطولنا يدا زينب لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل زينب أم المؤمنين (4490).

وعقد على بعض النساء ولم يدخل بِهن. من الواهبات أنفسهن ميمونة بنت الحارث الهلالية هذه أرسل النبي صلى الله عليه وسلم يخطبها فقالت البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك هو العقد[1]. هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم وتزوج بشراف بنت خليفة أخت دحية الكلبي فلما أخبرت بأن النبي تزوجها ماتت فرحا. وتزوج بالكندية فخدعتها ضراتُها حتى استعاذت لما أدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قالت له: أعوذ بالله منك قال: عذت بمعاذ ألحقي بأهلك[2]، فذهبت تقول أنا المغرورة أنا المخدوعة وكانت حفصة وعائشة هما اللتان لقنتاها تلك الكلمة. وخطب أم هانئ أخت علي فقالت له إنّها امرأة غيور

---

1 - قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: وقد اختلف في اسم الواهبة نفسها فقيل هي أم شريك الأنصارية.. وقيل: هي ميمونة بنت الحارث حين خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فجاءها الخاطب وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم. القرطبي ج209/14.

2 - جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنا منها قالت أعوذ بالله منك فقال لها: (لقد عذت بعظيم الحقي بأهلك). صحيح البخاري: كتاب الطلاق/ باب من طلق وهل يواجه الرجل امرأته بالطلاق (5254). وقد جزم ابن حجر في شرحه للحديث أن ابنة الجون: هي بنت النعمان بن شرحيل الكندية، فقال: وروى ابن سعد من طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي قال: لم تستعذ منه امرأة غيرها، قلت: وهو الذى يغلب على الظن لأن ذلك إنما وقع للمستعيذة بالخديعة المذكورة فيبعد أن تخدع أخرى بعدها بمثل ما خدعت بعد شيوع الخبر بذلك. انتهى كلام ابن حجر. وورد عند الحاكم في المستدرك عن أبي أسيد الساعدي قال: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها فقالت حفصة لعائشة أخضبيها أنت وأنا أمشطها ففعلتا، ثم قالت لها إحداهما إن النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول أعوذ بالله منك، فلما دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مد يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بكمه على وجهه فاستتر به وقال: (عذت بمعاذ) ثلاث مرات.. الحديث. المستدرك: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين /ذكر نكاح الكلابية وطلاقها (6893)

وتخاف أن تفعل شيئا يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل عذرها[1]، وخطب امرأة عند أبيها فقال أبوها: نعم حق لك أن تخطبها يا رسول الله لأنّها ما مرضت قط ما أصابَها حتى وجع رأس فتركها الرسول صلى الله عليه وسلم أنّها لا خير فيها، المومن مصاب، وخطب امرأة تعللت بكثرة أولادها فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم عذرها[2] «خالصة لك من دون المومنين» النكاح بالهبة من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم وبدون ولي أو صداق أو شهود، أما المومنون فتزويجهم بولي وصداق وشاهدين، لا أقل من ذلك، وأن لا يجاوزوا أربعا في آن واحد ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام بأن لا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء بشراء أو غيره ﴿لِكَيْلاَ يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ لئلا يكون على الرسول ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ فيما يعسر ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة ﴿تُرْجِي﴾ تؤخر

---

1 - أخرج الترمذي عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله تعالى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي الآية قالت فلم أكن أحل له لأني لم أهاجر كنت من الطلقاء. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن / باب ومن سورة الأحزاب(3138).

2 - أخرج أحمد في مسنده حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد الله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب امرأة من قومه يقال لها سودة وكانت مصبية كان لها خمسة صبية أو ستة من بعل لها مات فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما يمنعك مني)؟ قالت: والله يا نبي الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحب البرية إلي ولكني أكرمك أن يضغوا هؤلاء الصبية عند رأسك بكرة وعشية. قال: (فهل منعك مني شيء غير ذلك)؟ قالت: لا والله، قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يرحمك الله إن خير نساء ركبن أعجاز الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغر وأرعاه على بعل بذات يد). مسند أحمد/ من مسند بني هاشم (2774).

﴿مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ يجوز في حق النبي صلى الله عليه وسلم أن يمنع المرأة عن نوبتها يؤخرها إلى يوم آخر ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ منهن فتأتيها ﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ من القسمة ﴿فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضمها إليك، خُيِّر في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ إذاً كان النبي صلى الله عليه وسلم في سعة من أمره كل ما فعل لِامرأة رضيت بذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا﴾ ــ مات النبي صلى الله عليه وسلم عن تسع نسوة وكان يقسم لأربع منهن؛ هناك دقيقة وهي أن نقول من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم اجتماع تسع نسوة عنده هن اللاتي مات عنهن. وهذه حجة الشيعة على تزويج تسع حرائر لظاهر الآية "مثنى" اثنتين "وثلاث" خمس "ورباع" هذه المجموعة تسع، فأيدوه بكون النبي صلى الله عليه وسلم مات عن تسع نسوة. ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم عنده تسع نسوة يقسم لأربع منهن فقط: عائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة. أرجى خمسا بقين بلا نوبة[1]، أما سودة فوهبت ليلتها

---

1 – جاء في تفسير القرطبي قال أبو رزين: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم بطلاق بعض نسائه فقلن له: أقسم لنا ما شئت. فكان ممن آوى عائشة وحفصة، وأم سلمة، وزينب، فكان قسمتهن من نفسه وماله سواء بينهن. وكان ممن أرجى سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفية، فكان يقسم لهن ما شاء. القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج215/14. وقد نقل ابن حجر في الفتح عن القاضي عياض مثله عند شرح الحديث رقم (5067).

لعائشة فكانت لعائشة ليلتان دون غيرها[1]، والباقيات كن في مدرسة فقط، أول مدرسة للبنات حجرات النبي صلى الله عليه وسلم، اللاتي أرجأهن فبقين بلا تزويج بقين يتعلمن القرآن فقط "واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله" فعلى هذا هو لم يتجاوز الحد الذي حد لنا ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ﴾ هذه الآية نزلت إثر التخيير. التخيير الذي مضى "يا أيها النبيء قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها" لما خيرهن واخترن الله ورسوله أنزل الله هذه الآية على إثر ذلك ونسخت الآية التي قبلها، إرضاء لتلك التسع اللاتي اخترنك «لا يحل لك النساء من بعد» أي بعد تلك التسع ﴿وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ بأن تطلقهن ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء فتحل لك وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ حفيظا. المرأة التي أعجبه حسنها هي أسماء بنت عميس كانت زوجة لجعفر ولما مات جعفر أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها فنهاه الله تبارك وتعالى عن تزويجها[2] فتركها ما تزوجها قال: سألت الله أن لا أتزوج إلا امرأة تكون معي في منزلتي في الجنة[3] فمن لم تستحق تلك المرتبة لا يقبل الله أن يتزوجها

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة. صحيح البخاري: كتاب النكاح/ باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها وكيف يقسم ذلك (5212).

2 – القرطبي ج14/ 221.

3 – عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سألت ربي عز وجل أن لا أزوج أحدا من أمتي ولا أتزوج إلا كان معي في الجنة فأعطاني) أخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم / باب اشتاقت الجنة إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان (4718)

النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُّؤْذَنَ لَكُمْ﴾ نزلت في وليمة زينب بنت جحش، ذبح النبي صلى الله عليه وسلم شاة وصنع طعاما وجمع الصحابة يأكلون، وبعض الصحابة ليس عندهم طعام فأتوا وجلسوا حتى جاء الطعام فأكلوا، فلما أكلوا بقوا في البيت يتحدثون يتأنسون – وحق لهم – برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبون الخروج حتى أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضطجع خرج من البيت وتبعه أناس حتى بلغ حجرة عائشة ورجع فإذا القوم جلوس فذهب أيضا ورجع وهم جلوس فخرج ثالثا ورجع فخرجوا فلما خرجوا أرخى الستر بينه وبينهم فنزلت هذه الآية[1] «لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُّؤْذَنَ لَكُمْ» ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ فتدخلوا ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَيٰهُ﴾ لا تجلسوا تنتظرون نضج الطعام بل انتظروا حتى تدعون للطعام ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُواْ وَلاَ﴾ تمكثوا ﴿مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيءَ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ﴾ الرسول صلى الله عليه

---

1 – روى الشيخان عن ابن شهاب أن أنسا قال أنا أعلم الناس بالحجاب كان أبي بن كعب يسألني عنه أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب بنت جحش وكان تزوجها بالمدينة فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس معه رجال بعد ما قام القوم حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى ومشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم خرجوا فرجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فرجع ورجعت معه الثانية حتى بلغ باب حجرة عائشة فرجع ورجعت معه فإذا هم قد قاموا فضرب بيني وبينه سترا وأنزل الحجاب. صحيح البخاري: كتاب الأطعمة/ باب قوله تعالى: " فإذا طعمتم فانتشروا (5466) صحيح مسلم: كتاب النكاح/ زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب وإثبات وليمة العرس (2571).

وسلم أشد حياء من العذراء[1] ﴿وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِـي مِنَ الْحَقِّ﴾ والله لا يبالي يقول الحق ولا يبالي اخرجوا فقط فخرجوا، الحياء مستحيل في حق الله تبارك وتعالى. هو انقباض يعتري الإنسان عندما يقع في شيء يعير به، وهذا يوجب له ترك ذلك الشيء. وكل صفة مستحيلة في حق الله تبارك وتعالى لها بداية ونهاية، البداية مستحيلة في حق الله هي الانقباض خوفا من أن يعير، هذا لا يقع في الله تبارك وتعالى؛ والنهاية الترك وهذا جائز في حق الله تبارك وتعالى. ولما كان عادة الكبراء والعظماء لا يتركون شيئا خوفا بل حياء فقط عبر عن الاستحياء الموجب للترك. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن لا يؤم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل فقد خانهم، ولا يسلم على أهل بيت فينظر إلى قعر البيت قبل أن يوذن، ولا يصلي إماما وهو حاقن يدافع الأخبثين)[2] ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كان حجرات النبي صلى الله عليه وسلم مطروقة للناس يدخل من شاء ويخرج وعمر يقول يا رسول الله احجب نساءك، يدخل على نسائك البر والفاجر هذا لا ينبغي، احجب نساءك لا ينبغي لأحد أن يرى نساءك، والوحي لم ينزل والنبي صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي

---

1 – رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب صفة النبي (3562). صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب كثرة حيائه (4284).

2 – أخرج أبو داود في سننه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن لا يؤم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل فقد خانهم ولا ينظر في قعر بيت قبل أن يستأذن فإن فعل فقد دخل ولا يصلي وهو حقن حتى يتخفف). سنن أبي داود: كتاب الطهارة / باب أيصلي الرجل وهو حاقن (83). وللترمذي مثله بدون ذكر "ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن" سنن الترمذي: كتاب الصلاة / باب ما جاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء (325).

حتى نزلت هذه الآية. يقول عمر وافقني ربي في ثلاث وفي رواية في أربع: قلت يا رسول الله لو اتخذنا مصلى من مقام إبراهيم فنزل "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" وفي أسارى بدر وفي حجاب النساء[1] نزلت «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَّاءِ حِجَابٍ» ستر ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ نزلت في طلحة بن عبيد الله التيمي، هذا اسم غريب طلحة بن عبيد الله التيمي أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهذا طلحة بن عبيد الله التيمي أيضا وليس هو، توافقا اسما واسم أب واسم قبيلة، جلس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى عائشة فقال في قلبه إذا مات الرسول سوف أتزوج بعائشة[2] «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ» بشيء ﴿وَلاَ أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِن

---

1 – أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن قلت إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا منكن حتى أتيت إحدى نسائه قالت يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت فأنزل الله عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات الآية. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى (4483) وفي لفظ مسلم عن ابن عمر قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث في مقام إبراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ من فضائل عمر (4412). وورد في كنز العمال رواية "وافقت ربي في أربع"، وقد تقدم ذكرهن في الدرس 35.

2 – ذكره ابن حجر في الإصابة فقال هو طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم التيمي يقال هو الذي نزل فيه "وما كان لكم أن توذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا" ذلك أنه قال لئن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتزوجن عائشة. الإصابة في تمييز الصحابة:/ باب الطاء واللام رقم 4271. وقد جاء ذكره بعد ذكر طلحة الخير طلحة الفياض طلحة الجود طلحة بن عبيد الله التيمي الصحابي الجليل وأحد العشرة المبشرين بالجنة فقال: طلحة بن عبيد الله بن

بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ ذنبا عظيما، الله جعل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات لنا فحرم علينا تزويج واحدة منهن وما جعل الله رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا للأمة، فلو كان أبا للأمة لما جاز له التزويج هو لأن النساء كلا بناته، ولا يجوز للأمة أن يتزوجوا ببناته هو لأن بنات النبي صرن أخوات لنا، فلهذا أثبت أن أزواجه أمهاتنا و "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم" ليس أبا لنا فيحرم عليه التزويج ويحرم على بناته أيضا التزويج، "ولكن رسول الله" يكفي ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ من نكاحهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ هذا خاطر فقط جرى على قلب طلحة بن عبيد الله فنزلت هذه الآية وبعد ذلك أعتق ستين رقبة كفارة لهذا الخاطر ومشى إلى الحج عشر مرات وحمل على الجهاد عشرة أفراس تكفيرا لهذا الخاطر[1] ﴿لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ﴾ نساء النبي يجوز لهن أن يكشفن الحجاب عن آبائهن ﴿وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ﴾ المؤمنات ﴿وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء، فلهذا لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ودفن في بيت عائشة، ومات أبو بكر ودفن في بيت عائشة، ومات عمر ودفن في بيت عائشة، قالت عائشة: كنت في سعة من أمري أتكشف متى شئت ليلا أو نهارا ما معي في البيت إلا زوجي وأبي حتى دخل عمر، فصارت تستتر في

عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي أبو محمد أحد العشرة وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وأحد الستة أصحاب الشورى..الخ. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: باب الطاء واللام رقم 4270.

1 – نقل القرطبي قول ابن عباس: وندم هذا الرجل على ما حدث به نفسه، فمشى إلى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله، وأعتق رقيقا فكفر الله عنه. الجامع لأحكام القرآن ج14/228

بيتها لأنّهم أحياء في قبورهم، هم أموات ولكنّهم أحياء؛ بعدما دفن عمر في البيت صارت عائشة لا تكشف شيئا في بيتها خوفا من نظر عمر[1] «إن الله كان على كل شيء شهيدا» ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيءِ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم، صلاة الله على النبي رفع درجاته وإظهار فضيلته وتشريفه، وصلاة الملائكة على النبي صلى الله عليه وسلم إظهار درجته العظمى عند الله وإظهار شرفه، وصلاة الله على عباده غفرانه لهم ومغفرته ورحمته، وصلاة الملائكة على عباد الله الاستغفار لهم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ الله وملائكته يصلون على النبي محمد صلى الله عليه وسلم «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا» قالوا يا رسول الله السلام عليك نعرفه فكيف الصلاة عليك؟ قال: (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد)[2] شبه الصلاة على النبي بالصلاة على إبراهيم وإن تباين المقامان، مقام النبي أعلى وأجل من مقام الخليل فكيف تكون الصلاة على النبي كالصلاة على إبراهيم والنبي أجل قدرا منه؟ صلينا على إبراهيم لأنه هو الذي بنى الكعبة ودعانا

---

[1] - روى أحمد بسند عن عائشة قالت كنت أدخل بيتي الذي دفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي فأضع ثوبي فأقول إنما هو زوجي وأبي فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر. مسند أحمد: مسند الأنصار / (24480).

[2] - حديث الصلاة الإبراهيمية متفق عليه: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال فقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. صحيح البخاري: كتاب الدعوات/ باب الصلاة على النبي (6357). صحيح مسلم: كتاب الصلاة/ باب الصلاة على النبي بعد التشهد (614).

إلى الحج وطلب لنا الرحمة من الله والمغفرة فكافأناه على هذا بالصلاة عليه كلما صلينا على النبي صلى الله عليه وسلم، وصلاتنا على النبي طلبنا من الله أن تكون كما صلى على إبراهيم أي بأن يتجلى الحق للنبي صلى الله عليه وسلم بالجمال كما تجلى لإبراهيم بالجمال وإن تباين المقامان، فكلهم في مظهر جمال وإن تفاوتت المقامات. تفاوت المقامات لا ينافي الاشتراك في مظهر التجلي. قال أبي بن كعب: يا رسول الله إني أحب أن أجعل لك ثلث أعمالي كلا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: إذا فعلت يكون خيرا ولو زدت لكان خيرا لك، فقال ثلثين، قال: إن زدت لكان خيرا لك، قال: أجعل كل أعمالي الصلاة عليك، قال: إذاً تُكفى همك ويغفر ذنبك[1]. أفضل العبادات إذاً الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرنا الله تبارك وتعالى بعدما أخبرنا أن الله وملائكته يصلون على النبي أن نقوم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم عليه. سأله أنس: من أحق العباد بك يا رسول الله؟ فقال: أكثرهم علي صلاة. أكثر الناس صلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم وهذه الرواية أحسن من أولى الناس بشفاعتي، أولى الناس بالنبي أسعد من أولى الناس بشفاعته صلى الله عليه

---

1 – عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه، قال أبي قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال ما شئت، قال قلت الربع؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت النصف؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك قال قلت فالثلثين، قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك. سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ ـــ (2381) وفي مستدرك الحاكم وصححه: كتاب التفسير/ سورة الأحزاب (3626).

وسلم. قال الرسول إن أكثر الناس صلاة عليه هو أولى الناس به[1]، فعلى هذا الصلاة على النبي طريقة توصل العبد إلى الله تبارك وتعالى حتى إن لم يجد شيخا مربيا، فإن الصحبة مشروطة في الوصول إلى الله تبارك وتعالى، فلو صلى الإنسان صلاة الثقلين وصام صيامهم وقرأ قراءتَهم ما وصل إلى الله بدون صحبة مرشد، بيد أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ربما تقوم مقام شيخ مرشد في حق من فقد مرشدا؛ كانوا إذا طال عليهم الطريق يستمرون على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يجدوه فيكون هو مربيهم. كان واحد يسافر من الحج مع أبيه فمات أبوه في الطريق فتورم جسده وانتفخ بطنه واسود وجهه وازرقّت عيناه أي ظهرت علامة الشقاوة على الميت، فجلس الولد وكان من الصالحين يبكي ويستغفر لأبويه حتى جن الليل نام فرأى شخصا جميل الصورة منور الوجه فأتى ومسح على وجه أبيه فابيض جسد أبيه ورجع انتفاخه وصار يعبر مسكا فتعلق به الولد: بالله عليك أنقذت أبي من أنت؟ قال: أنا محمد المصطفى، كان أبوك يكثر من الخطيئات ولكنه كان يصلي علي، فلما وقع في هذه الحالة جئته لأفرج عليه[2]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبا ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بينا. ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ﴾ كان عمر يأمر بأن تستتر النساء فيقول لا يميز بين الحرة والأمة، يجب على الحرائر أن يستترن لاسيما أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فخرجت سودة ليلا إلى قضاء الحاجة مع

---

1 - روى الترمذي بسند عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة). سنن الترمذي: كتاب الصلاة/ باب فضل الصلاة على النبي (446).

2 - روح البيان ج225/7.

نسوة متكشفة وهي كانت طويلة القامة فصار عمر يناديها يا سودة عرفناك أنت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رغبة في أن ينزل الله أمرا بسترهن[1] فنزل ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيءُ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ أولا ﴿وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عينا واحدة[2]. قال صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أهل النار ما رأيتهما بعد: رجال يضربون الناس بسياط مثل أذناب البقر ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يشممن ريحها وريح الجنة يشم من مسافة نصف يوم خمسمائة سنة)[3] قال إنه ما رأى تلك النساء أنا الذي رأيتهن ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا

---

1 – جاء في الصحيحين عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله آية الحجاب. صحيح البخاري: كتاب الوضوء/ باب خروج النساء إلى البراز (146). صحيح مسلم: كتاب السلام/ باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان (4035)

2 – نقله ابن كثير عن ابن عباس ج519/3.

3 – عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا). صحيح مسلم: كتاب اللباس والزينة / باب النساء الكاسيات العاريات المميلات (3971).

وأخرج مالك عن أبي هريرة أنه قال "نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وريحها يوجد من مسيرة خمس مائة عام". الموطأ: الكتاب الجامع/ باب ما يكره للنساء لبسه من الثياب (1421).

لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالزنا ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المومنين بقولهم قد أتاكم العدو ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ ثم يخرجون ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ﴾ وجدوا ﴿أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً سُنَّةَ اللَّهِ﴾ سن الله ذلك ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ كلما جاء في القرآن وما أدراك فقد علمه الله بعد ذلك، وكلما جاء في القرآن وما يدريك ما علمه[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نارا شديدة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم ﴿وَلاَ نَصِيرًا﴾ يدفع عنهم ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ وَقَالُواْ﴾ الأتباع منهم ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ أي ساداتنا ﴿وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾ طريق الهدى ﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ مثلي عذابنا ﴿وَالْعَنْهُمْ﴾ عذبهم ﴿لَعْنًا كَثِيرًا﴾ أي عظيما ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَكُونُواْ﴾ مع نبيكم ﴿كَالَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَى﴾ بقولهم مثلا ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، كانوا يوذون موسى بهذه الإذاية[2] ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُواْ

---

[1] – نقل البخاري في الصحيح في باب فضل ليلة القدر بعد ذكر سورة القدر: قال ابن عيينة ما كان في القرآن ما أدراك فقد أعلمه وما قال وما يدريك فإنه لم يعلمه. صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح/ باب فضل ليلة القدر (ترجمة الباب)

[2] – جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى،

وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ذا جاه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾ صوابا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يتقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾ الصلوات الخمس وغيرها لما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها فهما ونطقا ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ﴾ ذكر أنه عرض الأمانة على جميع خلقه فامتنعوا منها خوفا من تضييعها وحملها الإنسان، وهذه الأمانة هي كل ما أمر الله به أو نهى عنه أي الشريعة المحمدية[1]، الصلوات الخمس وصيام رمضان والحج والزكاة؛ والأمانة أعظم من ذلك «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ» هي الخلافة العظمى «عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ» على الملإ الأعلى والأسفل، عرض على الملإ الأعلى الملائكة والحور والولدان ما أطاقوا حمل الخلافة والملإ الأسفل كذلك ما أطاقوا «فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ» آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولاً﴾ به. الخلافة لا تكون إلا في بني آدم، لا يصلح للخلافة عن الله إلا

فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا، فذلك قوله: "يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها". صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء / باب حديث الخضر مع موسى (3404). صحيح مسلم: كتاب الفضائل / باب من فضائل موسى (4373). وقد تقدم في الدرس 4.

1 - قال القرطبي: الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور. القرطبي ج235/14.

البشر فيهم قوة روحانية وقوة جسمانية فبتجمع القوتين أطاق حمل الخلافة، فقال إنه عرض الأمانة وهي القطبانية العظمى الخلافة على الملإ الأعلى والأسفل «فَأَبَيْنَ أَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ» الخليفة «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا» في التأويل الأول صفتا ذم وفي التأويل الأخير صفتا مدح «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً» فلولا ظلمه ما عصى ولولا جهله ما نسي، «ظَلُومًا» لخروجه عن طوق البشرية إلى الاتصاف بصفات الربوبية؛ و«جَهُولاً» عارفا بالله حتى جهل كل ما سواه وجهل كنه الذات، الجهل بالله كما قال الشيخ التجاني جهلان: جهل عن مرتبة ألوهيته المستوجب لخلود صاحبه في النار، وجهل بكنه ذاته من حيث ما هي هي الموجب لخلود صاحبه في الجنة[1]، فمن جهل مرتبة الألوهية فهو كافر، ومن جهل كنه الذات بعدما وصل إلى هنالك وجعل عجزه عن إدراكه هو إدراكه وجهله بحقيقة كنه ذاته هو علمه به فهذا هو الخليفة، ظلوم جهول أي خارج عن طوق البشرية متصف بصفات الربوبية، جاهل بكنه الذات لأنَّها لا نِهاية لها، ولم يصل إليه إلا بعد أن فقد نفسه؛ يا رب كيف الوصول إليك؟ ألق نفسك وتعال. ألقيت نفسك قبل أن تاتي كيف تعلمه؟ ما هنالك من يعلمه، هذا هو الجهل الذي هو الغاية في الجهل وهو مقام مدح في هذا الوجه، فلولا ظلمه ما عصى آدم، لولا ظلم الخليفة

---

1 - قال الشيخ التجاني رضي الله عنه في جواهر المعاني ج98/2: الجهل بالله عين الكفر الصراح المجمع على خلود صاحبه في النار أبدا والجهل بالله تعالى هو عين المعرفة بالله تعالى وصريح الإيمان المجمع على خلود صاحبه في الجنة أبدا. فأما الجهل الذي هو عين الكفر فهو الجهل بمرتبة ألوهيته بما تستحقه من الكمالات واللوازم والمقتضيات وما تتنزه عنه من وجوه المستحيلات فهذا هو عين الكفر بالله؛ وأما الجهل الثاني فهو الجهل بالحقيقة الذي هو كنه الذات من حيث ما هي هي فإن هذا الجهل هو صريح الإيمان وكمال المعرفة بالله.

ما عصى آدم، ولولا جهله ما نسي آدم، ولكن لما كان ظلوما عصى آدم ونسي. كيف لا ينسى وهو عالم بالله؟ لابد أن ينسى الشجرة وينسى النهي وينسى الأمر وينسى كل ما هنالك. عرض الله هذه الأمانة لأي شيء؟ ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ المضيعين لحق الأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمومنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

سورة سبأ

مكية إلا "ويرى الذين أوتوا العلم"

وهي أربع أو خمس وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ال للاستغراق، الحمد كله لله تبارك وتعالى وهذه الجملة إذا أتى بها في أول سورة لابد أن تلك السورة تستوعب نعم الدنيا والآخرة. أتى بها في أول الفاتحة وفي أول الأنعام وفي أول الكهف وفي أول هذه السورة؛ والحمد لله في الأولى والآخرة كما سيقول الآن ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ لم تبق عبادة يتعبد بها من أول الخلق إلى آخرهم وفي الجنة إلى الأبد إلا النكاح والحمد لله: الحمد لله من زمن آدم وهي عبادة إلى يومنا هذا، والنكاح عبادة من زمن آدم إلى يومنا هذا ويستمران في الجنة[1].

---

1 – قال البروسوي في روح البيان: وليس لنا عبادة شرعت من عهد آدم إلى الآن ثم تستمر تلك العبادة في الجنة إلا الإيمان والنكاح. روح البيان ج183/7.

وأمة محمد الحمادون سماهم الله الحمادين[1] يحمدون الله على كل حال إذا أكلوا حمدوا، وإذا شربوا حمدوا، وإذا لبسوا حمدوا، وإذا دخلوا حمدوا، ويحمدون الله في الجنة في ستة مواضع كما ذكر القرآن عندما يقول الله تبارك وتعالى "وامتازوا اليوم أيها المجرمون" تميز الكفار عن المومنين قالوا: "الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين" وعندما ركبوا على الصراط ونجوا قالوا: "الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور" وعندما وقفوا بباب الجنة قالوا: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" وأدخلوا الجنة فتلقتهم الملائكة والولدان بالطعام والشراب والتكرمة فقالوا: "الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء" وعندما وصلوا إلى منازلهم قالوا "الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة من فضله" وكلما أكلوا وشربوا قالوا الحمد لله إلى الأبد "دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" هم يحمدون إلى الأبد والحمد لله «وَهْوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهْوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ وزن نملة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الْأَرْضِ وَلاَ

---

1 - أخرج الدارمي في سننه: عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ فقال كعب: نجده محمد بن عبد الله يولد بمكة ويهاجر إلى طابة، ويكون ملكه بالشام، وليس بفحاش ولا صخاب في الأسواق ولا يكافئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون، يحمدون الله في كل سراء وضراء، ويكبرون الله على كل نجد، يوضئون أطرافهم، ويأتزرون في أوساطهم، يصفون في صلواتهم كما يصفون في قتالهم، دويهم في مساجدهم كدوي النحل، يسمع مناديهم في جو السماء. سنن الدارمي: كتاب المقدمة/ باب صفة النبي في الكتب قبل مبعثه (8).

أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن في الجنة ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا﴾ في إبطال آياتنا ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ مقدرين عجزنا ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ سيئ العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ مولم ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ مومنوا أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال بعضهم لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ﴾ وهو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قطّعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ استفهام ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما فوقهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما تحتهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ قطعة ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلاً﴾ نبوة وكتابا وقلنا ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ بالتسبيح ﴿وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين وقلنا ﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ منه ﴿سَابِغَاتٍ﴾ دروعا كوامل ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ في نسج الدروع ﴿وَاعْمَلُواْ صَالِحًا﴾ وقلنا لآل داود اعملوا صالحا ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَلِسُلَيْمَانَ﴾ سخرنا لسليمان ﴿الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ النحاس ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَّعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَّزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ كل تمثال حسن وكان جائزا في شريعته ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ جمع جابية وهي حوض كبير ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ ثابتات كان لها قدور لا تتحرك يطبخون فيها للجيش وقلنا ﴿اعْمَلُواْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ شكرا لله

تبارك وتعالى ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم من شكر على نعمة قيدها بعقالها ومن لم يشكر فقد عرضها للزوال[1] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ لما دنا موت سليمان طلب من الله أن يخفي موته عن الجن حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فمات بعدما صنعوا له قصرا من زجاج يشف فإذا وقف داخل القصر أنت تنظره خارجا، فوقف متكئا على منساته عُكازته فمات وبقي واقفا والجن يعملون ليلا ونَهارا يظنون أنه حي حتى أكلت الأرضة تلك المنساة فخر فتفرقوا «مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ» ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتا ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ انكشف لهم ﴿أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بلدة في اليمن ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ دالة على قدرة الله تبارك وتعالى ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَّمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ﴾ سبأ بلدة ﴿طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت من طيب هوائها[2] ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ والله رب غفور ﴿فَأَعْرَضُواْ﴾ عن الشكر ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ هدم الله عرمهم عليهم فسار الماء فتفرقوا أيادي سبأ، ذهب بعضهم إلى مكة كقصي بن كلاب، وبعضهم إلى الكوفة، وبعضهم إلى مصر، وبعضهم إلى بغداد، وبعضهم إلى المدينة.. فتفرقوا عشر قرى[3]، فلهذا كل جماعة تفرقوا يقولون تفرقوا أيادي سبا كمثل

---

1 – جاء في الجامع الصغير (الحمد على النعمة أمان لزوالها) عن عمر بن الخطاب، وقال فيه للديلمي في مسند الفردوس (3836) وقد تقدم في الدرس 21.

2 – في الجلالين وفي الخازن عند تفسير قوله تعالى في الآية " بلدة طيبة ورب غفور".

3 – القول في تفرق قوم سبا في البلاد انظره في روح المعاني ج133/22.

جماعة سبإ ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مُر ﴿وَأَثْلٍ﴾ شجرة مُرة ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُواْ﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ يُجَازَى﴾ هذا الجزاء ﴿إِلاَّ الْكَفُورُ﴾ لا ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبا واليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ الشام ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ يقدر الإنسان أن يسير ليلا أو نهارا لأنك لا تخرج من بلد إلى بلد حتى تصل إلى غايتك ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام حتى نقدر من يطيق على وجدان المراكب والزاد ﴿وَظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقهم الله كل تفرق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ بإغوائه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ حتى غووا ﴿إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ما قبلوا إغواء الشيطان ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾ لم يتسلط عليهم ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب ﴿قُلُ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن ذرة من خير أو شر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ﴾ إذا فزعوا جميعا ﴿عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ﴾ المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النبات ﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا﴾ المسلمون ﴿أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ الكفار أي أحد الفريقين ﴿لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ إما أن نكون كلنا على هدى أو في ضلال مبين. والحق أنهم على ضلال ونحن على هدى ولكن أبهم هذا تلطفا لدعوتهم إلى الله تبارك وتعالى ما صرح لهم أنهم

الضالون ونحن المهتدون ولكن نحن بعضنا مهتد وبعضنا ضال، وهم الضالون لا محالة ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ في إدخال المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم ﴿قُلْ أَرُونِيَ﴾ أعلموني ﴿الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ﴾ في العبادة ﴿كَلاَّ﴾ لا شريك ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ لجميعهم ﴿بَشِيرًا﴾ مبشرا بالجنة لمن آمن ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْءَانِ وَلاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كفرنا بالقرآن وبالتوراة وبالإنجيل فافعل ما بدا لك يا محمد ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ تمكرون في الليل وفي النهار ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿وَأَسَرُّواْ﴾ الفريقان ﴿النَّدَامَةَ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ﴾ جزاء ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا﴾ ممن آمن ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَّشَاءُ﴾ امتحانا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق لمن يشاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ﴾ كفار مكة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾ المال والولد لا عبرة بهم. ورد (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[1] ﴿إِلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ جزاء العمل الحسنة مثلا بعشر أمثالها ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ﴾ في الجنة ﴿ءَامِنُونَ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا﴾ بإبطال القرآن ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ لنا مقدرين عجزنا ﴿أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهْوَ يُخْلِفُهُ وَهْوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ إذا أنفق العبد من ماله أخلف الله ما أنفق في الدنيا وفي الآخرة وهو خير الرازقين. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أحدثكم عن ثلاث وأقسم لكم والله ما نقص مال امرئ من صدقة، ولا ظلِم عبد مظلمة فقدر على إنفاذ غضبه فصبر إلا زاده الله عزا)[2] ويقول (ما طلعت شمس إلا

---

[1] – روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله (4651). وقد تقدم في الدروس: 18، 26، 29، 34.

[2] – روى الترمذي بسند عن أبي كبشة الأنماري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر أو كلمة نحوها وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما و لم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا و لم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو

وبجانبيها ملكان أحدهما يقول: اللهم أعط منفقا خلفا والآخر يقول: اللهم أعط ممسكا تلفا)[1] ومصداق ذلك «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين» ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ المشركين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ الشياطين ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ أكثرهم مؤمنون بهم ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا﴾ شفاعة ﴿وَلاَ ضَرًّا﴾ تعذيبا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ قَالُواْ مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَّصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُواْ مَا هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلاَّ إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ قال تعالى ﴿وَمَا ءَاتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ كيف عرفوا أن القرآن حق أم كذب وهم ما عرفوا كتابا قبله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ فمن أين يكذبونك، ما عندهم دليل ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ ولكن إن كذب هؤلاء فالكفار قبلهم كذبوا أيضا ووجدوا من القوة ما لم يجد هؤلاء عشر عشره ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ما فعلت معهم؟ أهلكتهم عن آخرهم وكذلك هؤلاء ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم

يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي: كتاب الزهد/ باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (2247).

1 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا. صحيح البخاري: كتاب الزكاة / باب قوله "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى (1442). صحيح مسلم: كتاب الزكاة / باب في المنفق والممسك (1678). تقدم في الدرس 2.

بِوَاحِدَةٍ﴾ خصلة واحدة هي ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ لأجله ﴿مَثْنَى﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَادَى﴾ واحدا واحدا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ اجتمعوا أو تفرقوا وانظروا بعقولكم حتى تعلموا أن ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ تعلمون أن محمدا هذا ليس بمجنون ليس على صفة من جن ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة إن عصيتموه ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ لا أسألكم عليه أجرا ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ من خلقه في السماوات والأرض ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ لم يتقدم ولم يتأخر، لم يبق له أثر ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُواْ﴾ عند البعث لرأيت أمرا عظيما ﴿فَلاَ فَوْتَ﴾ فقلنا لهم لا تفوتوننا ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ هي القبور ﴿وَقَالُواْ ءَامَنَّا بِهِ﴾ بمحمد أو القرآن، آمنوا عند ذلك بعد البعث ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ﴾ متى يتناولون الإيمان والإيمان محله الدنيا وأنتم الآن في الآخرة ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ بعد محل الإيمان وقد فاتكم وقت الإيمان ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ أعاذنا الله من ذلك. أشد عذاب وقع للكفار «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» كما أن أكبر نعمة "لهم فيها ما يشاءون" للمسلمين ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ أشباههم ﴿مِن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ موقع للريبة.

سورة فاطر

مكية وهي خمس أو ست وأربعون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك أو تعليما لنا ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ في خلق الملائكة ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل مكة ﴿اذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾ هل لكم خالق يرزقكم غير الله ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لا ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ من أين تصرفون عن توحيده بعد إقراركم بأنه الخالق الرازق ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ الشيطان ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُ﴾ أتباعه ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بيان لما لموافقي الشيطان ومخالفيه ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ نزل في أبي جهل[1]

1 – جاء في لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ما نصه: أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية "أفمن زين له سوء عمله" الآية حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أعز

وغيره بالتمويه ﴿فَرَءاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على المزين لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لا نبات فيه ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ العمل الصالح أو لا إله إلا الله يصعد إلى الله تبارك وتعالى ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يتقبله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ ومكرهم لا ياتي بشيء ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني، خلق الله آدم من تراب، كلكم من آدم وآدم من تراب[1] ليس عندكم ما تفتخرون به وأنتم خُلقتم من نطفة، الإنسان أوله نطفة وآخره جيفة، وهو في ما بينهما يحمل العذرة دائما ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ علم الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا

دينك بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل ابن هشام فهدى الله عمر وأضل أبا جهل ففيهما أنزلت. ج181/1.

1 – ورد عند الترمذي وأبي داود هذا المعنى، ولفظ الترمذي: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قد أذهب الله عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي وفاجر شقي والناس بنو آدم وآدم من تراب). سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في فضل الشام واليمن (3891). وفي سنن أبي داود: كتاب الأدب/ باب في التفاخر بالأحساب (4452).

مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منها ﴿مَوَاخِرَ﴾ تمخر الماء تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لِتَبْتَغُواْ﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ غيره هم الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ لفافة النواة ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ﴾ فرضا ﴿مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ ما أجابوكم لعجزهم فكيف يستحقون العبادة؟ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يوم القيامة يتبرأون من عبادتكم إياهم ﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ لا يخبرك أحد كمثل الله العليم الخبير. صدق الله العظيم.

الدرس الثاني والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ خاطبنا تبارك وتعالى أننا فقراء إلى الله جمع فقير، وكأننا وحدنا الفقراء إلى الله تبارك وتعالى. حصر الفقر على الناس كأنه لا فقير إلى الله تبارك وتعالى إلا الناس «ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله» كأنه لا فقراء إلى الله إلا الناس. وكل المخلوقات فقراء إلى الله، ولكن الإنسان هو أفقر المخلوقات إلى الله تبارك وتعالى حتى أن فقر الإنسان إلى الله تبارك وتعالى إذا قورن بفقر غيره يكون كأن غير الإنسان غير مفتقر إلى الله تبارك وتعالى. الإنسان يفتقر إلى كل شيء، وجوده والإحسان الذي استمر به وجوده، والعافية نفس في غير ذل، وقدم في غير زلة، ويحتاج إلى سائر النعم. فمُه مفتقر إلى الله، وبصره وسمعه ويده. الإنسان يحب أن يأكل طيبا، ويشرب حلوا باردا، ويشم رائحة طيبة، ويسمع صوتا جميلا، ويلبس لباسا حسنا، وينكح نكاحا طيبا. كل عضو من أعضاء الإنسان فقير في نفسه إلى الله تبارك وتعالى، وليس هذا مرة واحدة، بل كل يوم، وكل عام، وفي الدنيا وفي الآخرة. فهو فقير دائما إلى الله تبارك وتعالى. والإنسان أفعاله مفتقرة إلى أفعال الله تبارك وتعالى، وصفاته مفتقرة إلى صفات الله، وذاته مفتقرة إلى ذات الله تبارك وتعالى، ولا يوجد مخلوق مفتقر إلى الذات إلا

الإنسان. المخلوقات تكفيهم الأفعال، ولكن الإنسان لابد له من ذات الله تبارك وتعالى لسرٍّ "يحبهم ويحبونه"، تلك المحبة التي ربطت بينهم وبين الذات العلية هي السبب في كونِهم مفتقرين إليه دائما في سائر الأوقات. وخلق الإنسان ضعيفا فلا يصبر عن شهوته وعن محبوبه، فلهذا يترقى في الخير والشر، لا يسأم من الاشتغال بهما حتى يصير شر البرية أو خير البرية. الإنسان لما خلقه الله هكذا أنزله في الأرض خليفة عن الله تبارك وتعالى، وكل إنسان خليفة عن الله، "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض" كل إنسان رب صغير، لا يوجد شيء من الأشياء رب لشيء إلا الإنسان، لابد لكل إنسان من أن يكون ربا في جزء من أجزاء العالم، لابد أن يكون له أرض: أرض بيته على الأقل، وسماء: سقف بيته، وجنة: نعمه، ونار: غضبه وعقابه، وملائكة: قواه الروحانية. وكل إنسان ولو بلغ ما بلغ من الفقر ملك من الملوك لأنه خليفة عن الله. المِلك لابد له من مراكب الدولة: الإنسان له قدماه تصلحان لكل سير، والملك لابد له من خدام: والإنسان له يدان تصلحان لكل عمل، والملك له حرس: والعينان تحرسانك دائما، والملك له جواسيس يأتونه بالأخبار: عندك أذنان تتلقفان لك كل خبر، الملك له ترجمان يبلغ عنه: لسانك ترجمان، كأنك ملك صغير، رب صغير وليس هذا لغير الإنسان. وهذا مجرد إنسان، فإن كان مسلما احتاج إلى النعم المعنوية كالاستقامة والهداية والقيام بخدمة الله تبارك وتعالى، وطلب القرب منه تبارك وتعالى. نفسه وقلبه وعقله وروحه وسره، كل شيء من هذا مفتقر إلى مقابله من الحضرة العليا. وإذا كان عالما زائدا على ذلك لا يشبع من العلم، كلما ازداد علما ازداد افتقارا إلى زيادة العلم. منهومان لا

يشبعان: طالب دنيا وطالب علم[1]، وإذا كان وليا وإذا كان عارفا وإذا كان خليفة عن الله وإذا كان نبيا أو رسولا إلى آخر الدرجات فهو مفتقر إلى الله تبارك وتعالى دائما في كل الحالات، والافتقار إلى الذات مخصوص بالإنسان، فبهذا بينت الآية أن لا فقير إلى الله غير الإنسان مع أن الكل مفتقر إليه، كما أنه هو مستغن عن كل ما سواه. «ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله» بكل حال ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ وهذا كأنه وعد منه تبارك وتعالى، لما رآنا فقراء انتصب هو غنيا حميدا. فالله عنده كل شيء ولا يفتقر لشيء، لا يحتاج لشيء، غني بذاته عن ذاته وعن صفاته، فكل ما عنده للإنسان، فالناس يحتاجون لكل شيء كما بينا طرفا من ذلك وليس عندهم شيء، الإنسان يحتاج إلى كل شيء وليس عنده أي شيء. والله يملك كل شيء ولا يحتاج لشيء من ذلك، فكل ما عنده لنا "خلق لكم ما في الأرض جميعا" فإذا اتصف العبد بصفات عبوديته أمده بصفات ربوبيته هذا معنى (من عرف نفسه فقد عرف ربه)[2] من عرف نفسه بالفقر والذل والافتقار عرف ربه بالغنى والكرم والحمد ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم، لو شاء

---

1 – أخرجه الحاكم في مستدركه عن أنس بلفظ: (منهومان لا يشبعان: منهوم في علم لا يشبع ومنهوم في مال لا يشبع) وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم أجد له علة. المستدرك: كتاب العلم/ باب منهومان لا يشبعان (318) وأخرجه الدارمي عن ابن عباس موقوفا قال: منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا. سنن الدارمي: كتاب المقدمة/ باب فى فضل العلم والعالم (338).

2 – "من عرف نفسه فقد عرف ربه" أخرجه السيوطي في زيادة الجامع الصغير/ حرف الميم. وفي كشف الخفاء رقم 2532 وقال ضمن تعليقه عليه: وللحافظ السيوطي فيه تأليف لطيف سماه «القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه» وقال النجم: قلت وقع في أدب الدنيا والدين للماوردي عن عائشة سئل النبي صلى الله عليه وسلم من أعرف الناس بربه؟ قال: (أعرفهم بنفسه). وقد تقدم في الدرس 24.

الله لأذهب الناس جميعا ويأتي بناس آخرين، هذا دأبه دائما كل يوم نشاهد هذا ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ليس بصعب عليه، هذا لا ينكره المنكرون ولا يكذبه المكذبون لأنّهم يشاهدون هذا دائما. قبل أربعين سنة كل من كنت تعرف من الرجال الأكابر الأقوياء الأعزاء جلهم ذهبوا، ومن هنا إلى أربعين سنة لا يبقى منا إلا القليل ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾ آثمة ﴿وِزْرَ أُخْرَى﴾ وزر نفس أخرى. من عمل سوء فلا يجزى إلا عليه، ليس للإنسان إلا ما سعى، لا يكتب ذنب على غير عامله إلا من دعا للضلالة أو العصيان فعليه إثمه وإثم من عمل بعمله إلى يوم القيامة لأنه تسبب في ذلك. لا معارضة بين الآيتين. ﴿وَإِن تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ إذا ادعى إنسان أنه يتحمل إثم إنسان آخر فذلك كذب، كل إنسان عليه وزره وله عمله ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ولو كان المدعو ذا قربى كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين حكم من الله تبارك وتعالى. تأتي المرأة الحظية لزوجها يوم القيامة تقول أنا زوجتك فلانة ما قصرت في طلب مرضاتك، اليوم تحمَّل عني ذنبا واحدا هو الذي منعني من دخول الجنة، أو أعطني حسنة واحدة من حسناتك أستكمل بها حسناتي، يقول لها: والله لأنت أعز الناس إلي، ولكن أنا إذا دفعت لك هذا من يدفع لي أنا؟ نفسي نفسي، والولد لوالده والوالد لولده والأخ لأخيه، "لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه" ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ يخافونه وما رأوه لأنَّهم المنتفعون بالإنذار، هذه موعظة بليغة ولكن ما ينتفع بها إلا أهل الخشية وأهل الإيمان بالغيب ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾ أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّى﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع فيجزي بالعمل في الآخرة ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن لا يستويان الكافر لا يسمع والمؤمن يسمع ﴿وَلاَ

الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ﴾ الكفر والإيمان لا يستويان أيضا، جمَعَ الظلمات وأفرد النور لأن الكفر وأنواع المعاصي كثيرة فلهذا جُمعت الظلمات، والنور الإيمان طريق واحد ﴿وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ﴾ كما لم يستو الإيمان والكفر فالجنة والنار كذلك متباينان، الجنة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، والنار نار كما تعلمون ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلاَ الْأَمْوَاتُ﴾ المؤمنون والكفار كرره تأكيدا وجمع وجعل "ال" ليستغرق كل الكفار وكل المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَّشَاءُ﴾ هدايته ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ الكفار موتى في القبور شبههم بالموتى، كما أن الميت في قبره لا يسمع الكلام ولا يقدر أن يجيب فكذلك الكافر مفقود وإن كان يعد من الأحياء فهو ميت، مدفون في قبر جسده، لا يسمع الحق ولا يقبله، وهذا لا ينافي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما مع بعض من أصحابه وأتى إلى قليب بدر بعد أيام من وقعة بدر فنادى أهل القليب (يا أبا جهل بن هشام، يا عتبة، يا شيبة، يا وليد: إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قال عمر: يا رسول الله تخاطبهم وهم أموات؟ قال: ما أنتم بأسمع منهم بيد أنَّهم لا يجيبون)[1] لا يستطيعون الجواب. الميت يقدر الله أن يرد إليه روحه فيسمع ولكنه لا

---

1 – أخرج البخاري عن أبي طلحة ومسلم عن أنس واللفظ للبخاري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ قال فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم). صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب قتل أبي جهل (3976). صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها

يجيب ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ كل أمة بعث الله لها نبيا ينذرها ﴿وَإِنْ يُّكَذِّبُوكَ﴾ أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات، هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، يعني واقع موقعه لا محالة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ الله تبارك وتعالى أنزل مطرا من السماء فأنبت كل نبات فاختلفت ألوان النباتات، فيها أخضر وفيها أحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ طرق ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وخلق الجبال، وتجد بعض الجبال بيضا والبعض حمرا والبعض سودا ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ في الشدة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ وسود غرابيب، تأكيد سبق مؤكده، العربي إذا بالغ في وصف السواد يقول غربيب، كما يقول أحمر قان وأبيض يقق وأصفر فاقع، يقول أسود غربيب ومنه الحديث (إن الله يبغض الشيخ الغربيب)[1] أي إنسان بلغ سن الشيب ولم يشب، هذا دليل على بغض الله له أو أحد شاب وصبغ شيبه بالسواد حتى صار غربيبا طلبا للتشبه بالشباب. الله تبارك وتعالى خلق بعض النباتات مختلفا ألوانها وبعض الثمار وبعض الجبال ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ

وأهلها/ عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه (5121) وفي لفظه: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا)

1 – (إن الله تعالى يبغض الشيخ الغربيب) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير لابن عدي في الكامل عن أبي هريرة (1851)

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ فخلق الناس أيضا مختلفا ألوانها كسائر المخلوقات، منها بيض وصفر وحمر وسود كغيرها مما خلق الله هذا هو الحق في الألوان؛ أما ما تقول اليهود إن السواد جاء بسبب لعنة نوح لحام فهذا كذب من مختلقات اليهود. إن الله أظهر قدرته بأن خلق النباتات فجعل منها أسود وأحمر وأخضر وأصفر وخلق الحيوانات كذلك وخلق الجبال كذلك وخلق بني آدم كذلك والدواب كذلك والأنعام كذلك، إن كان ما اسودّ من البشر سبب ذلك لعنة نوح فما اسود من الحيوانات بأي شيء؟ وما اسود من الصخور والنباتات والجبال ومن الثمار، كذلك كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال. سألني سائل عالم يعلم التوراة هل حقا أن الله أنزل في التوراة أن السواد سببه لعنة الله أم هذا كذب؟ قلت له: هذا كذب لا أصل له إنما الحق ما قال الله تبارك وتعالى "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" أما إذا نظرنا إلى الوقائع نجد أن اليهود بني إسرائيل ما وجدوا شرفا ورفعة وعزا إلا بموسى بعدما أنزل الله التوراة وتمسكوا بالدين السماوي رفعهم الله، قبل ذلك كانوا عبيدا لفرعون مدة أربعمائة عام[1]، وفرعون رجل أسود والقبط سود. والعرب هم أفضل المخلوقات الآن في اعتقادنا نحن وهو الحق، قبل وجود محمد صلى الله عليه وسلم كانوا تحت الحبشة والحبشة سود، إنما رفعهم هذا الكتاب الذي جاء من السماء وهذا الرسول، لا اللون فالتفرقة العنصرية شيء باطل تنفيها دعوة النبي العربي صلى الله عليه وسلم. «إنما يخشى الله من عباده العلماء» العلم حيث أطلق في كتاب الله وفي كلام نبيه صلى الله عليه وسلم فالمراد به العلم النافع وهو ما أورث خشية الله تبارك وتعالى، فلهذا

---

1 - القرطبي ج13/94

قال «إنما يخشى الله من عباده العلماء» وفي قراءة "إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ" يعني إنما يعظم الله من عباده العلماء[1]، فالعلم ما أورث خشية الله تبارك وتعالى. فمن أورثه علمه خشية الله فهو عالم ومن لم يورثه علمه خشية الله – نعوذ بالله – فلا يصْدق عليه اسم العلم. العلم أكبر الدرجات "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"، "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم"، «إنما يخشى الله من عباده العلماء»، قال علي كرم الله وجهه: عليك بالعلم فإن العلم خير من المال لأن المال تحفظه والعلم يحفظك، المال أنت تحرسه وعلمك يحرسك، والمال ينتقص بالإنفاق والعلم يزداد بالإنفاق[2] والمال يفارقك عند الموت والعلم يدخل معك القبر ويتجاوز معك الصراط. إذاً العلم أفضل من المال. الله تبارك وتعالى أنزل كتابه على نبيه محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم، وأول ما خاطبه به "اقرأ" وقال له "وقل رب زدني علما" والرسول صلى الله عليه وسلم نفى الوراثة بمجرد النسب فقال: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث)[3] وأثبت الوراثة بالعلم

---

1 – قال الصاوي: وقرئ شذوذا برفع الجلالة ونصب العلماء والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء. حاشية الصاوي ج3/312.

2 – في إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج1/ ص7: ...وأما الآثار فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل: يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالإنفاق.

3 – عن عائشة أن فاطمة والعباس عليهما السلام أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما حينئذ يطلبان أرضيهما من فدك وسهمهما من خيبر فقال لهما أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال. قال أبو بكر: والله لا أدع أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيه إلا صنعته.. صحيح البخاري: كتاب الفرائض /باب قول النبي لا نورث ما تركنا صدقة(6725) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب

فقال: (العلماء ورثة الأنبياء)[1] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يقرأونه، كثيرا ما يدعونا لتلاوة القرآن، الذين يتتبعون القرآن ويتلونه ويتدارسونه ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ لن تهلك ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الذين قرأوا القرآن كتاب الله وعدهم الله هذا الوعد الحسن أن الله يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «يوفيهم أجورهم» يدخلهم الجنة «ويزيدهم من فضله» يعطيهم الشفاعة[2] يأمرهم أن يقفوا وكل من مر بهم

قول النبي لا نورث ما تركنا فهو صدقة(3303). وهو عند أحمد بلفظ: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركت بعد مئونة عاملي ونفقة نسائي صدقة" مسند أحمد: مسند المكثرين/ (9593). تقدم في الدرس10 والدرس32.

1 – حديث أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر) . سنن الترمذي: كتاب العلم /باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2606) وفي سنن أبي داود: كتاب العلم /باب الحث على طلب العلم (3157). وأورده البخاري ترجمة باب: العلم قبل القول والعمل دون أن يصرح بأنه حديث. صحيح البخاري: كتاب العلم / باب العلم قبل القول والعمل. وقد تقدم في الدروس10، 13، 19، 23، 24، 32 و36 تاما في بعض ومختصرا في بعض.

2 – جاء في مجمع الزوائد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله "ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله" قال (أجورهم: يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله : الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا). رواه الطبراني في الأوسط والكبير مجمع الزوائد للهيثمي (10960)

ممن عمل لهم خيرا قط شفعوا فيه، يمر عبد إلى النار ويقول لك يا عبد الله استسقيتني يوما فسقيتك، فتقول نعم فيغفر الله له، ويمر عبد آخر فيقول: استكسوتني فكسوتك، فتقول نعم فيشفّع فيه؛ استطعمتني فأطعمتك، استعنت بي في حاجة كذا وسعيت معك، يقول العبد الصالح: نعم فيغفر الله له ويدخله الجنة[1]، هذه هي الزيادة. وقراءة القرآن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: من قرأ القرآن وهو متوضئ في صلاة فرض فله بكل حرف مائة حسنة، وإن كان متوضئا في صلاة نافلة فله بكل حرف خمسون حسنة، وإن كان متوضئا في غير صلاة فله بكل حرف خمس وعشرون حسنة، وإن كان غير متوضئ في غير صلاة فله بكل حرف عشر حسنات[2] وقد تقدم ما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لا أقول لكم

---

1 - أخرج ابن ماجه في سننه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يصف الناس يوم القيامة صفوفا وقال ابن نمير أهل الجنة فيمر الرجل من أهل النار على الرجل فيقول: يا فلان أما تذكر يوم استسقيت فسقيتك شربة قال فيشفع له، ويمر الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له، قال ابن نمير: ويقول: يا فلان أما تذكر يوم بعثتني في حاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له) سنن ابن ماجه: كتاب الأدب/ باب فضل صدقة الماء (3675) (ابن نمير من رواته)

2 - أخرج السيوطي في الجامع الكبير (من قرأ القرآن في صلاة قائما كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه قاعدا كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة كان له بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى كتاب الله كان له بكل حرف حسنة) للديلمي عن أنس: الجامع الكبير ج818/1. وفي الإحياء للإمام الغزالي رحمه الله: قال علي رضي الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة، ومن قرأه وهو جالس في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات. إحياء علوم الدين: كتاب آداب التلاوة/ الباب الثاني (ج365/1)

"ألــم" حرف ولكن أقول ألِف حرف، ولام حرف، وميم حرف)[1] «إنه غفور شكور» غفور لذنوبِهم شكور لطاعتهم. الله شكور يشكرنا، الشكر على ثلاثة أوجه: شكر الكبير للصغير أن يرضى منه باليسير؛ وشكر المثل لمثله أن يكافئه ويجازيه؛ وشكر الصغير للكبير أن يطيعه ويخدمه ويمتثل أوامره. الله حيث أنه يشكرنا أي يتقبل منا اليسير. ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي ما تَقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم بالبواطن والظواهر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك صلى الله عليك وسلم. فبعد كل هذا خص الله أمة محمد بهذا الكتاب الذي هو القرآن، أورثهم القرآن وسماهم مصطفين ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ من المصطفين ظالم لنفسه، الظلم لا يفسد الاصطفاء من الله تبارك وتعالى ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له)[2] إن الله تبارك وتعالى حيث أعطانا الكتاب سمانا مصطفين على كثرة ظلمنا فما خرجنا من دائرة الاصطفاء فضلا منه تبارك وتعالى، حيث أن آدم هو أول من اصطفاه الله – "إن الله اصطفى آدم ونوحا" – وقد وصفه بأنه ظلوم جهول "وعصى آدم ربه فغوى" ما أفسد

---

[1] – أخرج الترمذي في سننه عن عبد الله بن مسعود: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء في من قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر (2835). وقد تقدم في الدرس 16.

[2] – أخرجه السيوطي في الجامع الصغير لابن مردويه والبيهقي في البعث عن عمر وقال: حديث حسن (4614) وهو الحديث 2925 من كنز العمال. وقد تقدم في الدرس23.

الاصطفاء؛ من سبقت له العناية لم تضره الجناية. «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ» بالتقصير في العمل بالكتاب «وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ» يعمل به في أغلب الأوقات «وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ» يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل. السابق هو الذي يعمل بما علِم ويعلّم غيره ويرشده إلى العمل، هذا سابق، ومقتصد من يعمل بما علِم في غالب الأوقات، والظالم المقصر في العمل. إن الله تبارك وتعالى يغفر للظالم فيدخله الجنة، وللمقتصد كذلك، ويقول للسابق قف أنت فاشفع فيمن شئت فيشفع في الخلائق ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ذَلِكَ﴾ إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ هم الثلاثة كلا دخلوا الجنة الظالم والمقتصد والسابق ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مرصع من الذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ فلهذا حرم في الدنيا، من لبسَه في الدنيا حُرمه يوم القيامة ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعات ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ دار الإقامة ﴿مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ إعياء من التعب لعدم التكليف فيها. الجنة ليس فيها تكليف لا عمل فيها مطلقا رفعت التكاليف، لا صلاة، ولا صيام، ولا زكاة، ولا حج، ولا جهاد، كل هذا محله الدنيا، إنما عبادتان بقيتا من عهد آدم ومستمرتان في الجنة: النكاح، والحمد لله[1]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُواْ﴾ يستريحوا ﴿وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ كافر ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل

---

1 – قال في روح البيان ج7/ 183: وليست لنا عبادة شرعت من عهد آدم إلى الآن ثم تستمر تلك العبادة في الجنة إلا الإيمان والنكاح. وتقدم في الدرس 41

يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقال لهم بعد عمر الدنيا مرتين كما تقدم[1] ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ يقول الله لعبده الشقي أو لم نعمرك في الدنيا مدة يتذكر فيها من أراد أن يتذكر وجاءكم النذير، والإنسان يولد صغيرا غير مكلف فإذا بلغ سبع سنوات يؤمر بالصلاة، أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤمر الأولاد بالصلاة إذا بلغوا سبعا ويضربوا عليها إذا بلغوا عشر سنوات وهذا لكي يتمرنوا عليها قبل الوجوب[2]. وعند سبع أخرى صار عمر الصبي أربع عشرة إلى خمس عشرة يكون بالغا في الغالب فيكلف تجب عليه إقامة الصلاة، وبعد سبع أخرى إحدى وعشرين، وسبع أخرى ثمان وعشرين، وسبع أخرى خمس وثلاثين وسبع أخرى استكمل الأربعين يشدد في تكليفه ويضبط جميع أحواله وأقواله وأفعاله. إذا بلغ الشخص أربعين سنة يقال له استعد كزرع استعد للحصاد، وإذا استقام في ذلك الوقت يكون تكفيرا لما قبله، وإن قصر واستمر على تقصيره إلى أن بلغ ستين سنة ولم ينزجر يكتب الملك في وجهه: هذا وجه لا يفلح أبدا. من بلغ ستين سنة بلغ مدة يتذكر فيها من أراد أن يتذكر (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين)[3] الغالب من

---

1 - في الدرس 35.

2 - أخرج أبو داود في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع. سنن أبي داود: كتاب الصلاة/ باب متى يؤمر الغلام بالصلاة (418). وفي سنن الترمذي عن عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده بلفظ: (علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر). سنن الترمذي: كتاب الصلاة/ باب ما جاء متى يؤمر الغلام بالصلاة (372).

3 - أخرج الترمذي وابن ماجه في سننهما: كلاهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك). سنن الترمذي: كتاب الدعوات/

الأمة يموتون في هذه المدة. معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين[1] فإن زاد على السبعين فهو هرم يدعى للحساب فقط، وهذا لا يقتضي أن أصغر من هذه السن لا يموت بل ينبغي للإنسان أن يحتاط لدينه حتى في الصغر لأن الموت أكثر في الصغار منه في الكبار بدليل أن كل مجلس إذا نظرت فيه تجد الشيب هم الأقل ولِم؟ مات الصغار، لو عاش جميع الصغار لكان كل مجلس شيبه أكثر من الشبان، ولكن لما مات الصغار في الصغر لم يصل إلى الشيب إلا قليل. كل محفل تجد الشيب هم الأقلون، إذاً الأحوط أن الصغير والكبير كلهم يعمل عملا صالحا لأنه لا يدري أحدهم متى يموت «أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ» فما أجبتم ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة يخلف بعضكم بعضا ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره ﴿وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا﴾ غضبا ﴿وَلاَ يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا﴾ للآخرة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنّهم شركاء لله ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ لا شيء ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة مع الله ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ في خلق السماوات ﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَاتٍ﴾ حجة ﴿مِنْهُ﴾ بأن لهم معي

باب في دعاء النبي (3473) وفي سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب الأمل والأجل (4226). وقد تقدم في الدرس 22.

1 – أخرج ابن أبي يعلى في مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (معترك المنايا بين الستين إلى السبعين) مسند أبي يعلى (6548).

شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلاَّ غُرُورًا﴾ باطلا بقولهم الأصنام تشفع لهم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولاَ﴾ الذي أمسك السماوات والأرض عن الزوال هو الله تبارك وتعالى ﴿وَلَئِن زَالَتَا﴾ قسما ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ لو زالت السماوات والأرض ما أمسكهما أحد ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حليما بتأخير عقاب الكفار غفورا للذنوب. لولا حلمه لدمر الناس جميعا، كلنا مقصر، كل العباد يستحقون العقاب من الله تبارك وتعالى لولا حلمه وغفرانه ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾ كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى، قالوا ذلك لأنهم أتم عقولا، فلو جاءهم نبي قالوا إنّهم ليكونن أهدى من اليهود والنصارى، اليهود قالت ليست النصارى على شيء، والنصارى قالت ليست اليهود على شيء، والعرب يقولون لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ وهو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلاَّ نُفُورًا﴾ تباعدا عن الهدى ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ ومكر العمل السيئ من الشرك وغيره ﴿وَلاَ يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ ماكره. المكر لا يحيق إلا بأهله. ثلاثة أشياء نص القرآن أن لا تضر إلا فاعلها: البغي "إنما بغيكم على أنفسكم"، المكر "ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله"، ونكث العهد "فمن نكث فإنما ينكث على نفسه". ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلاَّ سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم فكذلك هؤلاء ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ

مِن شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء ﴿قَدِيرًا﴾ عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها. لولا حلم الله كما تقدم بتأخير العذاب لهلك الناس جميعا، لم يبق أحد يدب على وجه الأرض ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَا أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سورة يس

مكية أو إلا قوله "وإذا قيل لهم أنفقوا" الآية فمدنية

اثنتان وثمانون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ورد في صدر سورة يس أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم: (اقرأوا يس على موتاكم)[1] (ما من ميت يقرأ عليه يس إلا هوّن الله عليه)[2] ومنها (من قرأ سورة يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له في تلك الليلة)[3]. (إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس)[1] يس قلب القرآن كما قال الرسول

---

1 – أخرج أبو داود في سننه: عن معقل بن يسار قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اقرءوا يس على موتاكم). سنن أبي داود: كتاب الجنائز/ باب القراءة عند الميت (2714) سنن ابن ماجه: كتاب ما جاء في الجنائز/ باب ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حضر (1438)

2 – (ما من ميت يموت فيقرأ عنده سورة يس إلا هون الله عليه) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير وقال لأبي نعيم عن أبي الدرداء وأبي ذر معا. الجامع الكبير ج1/ 730.

3 – أخرج الدارمي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة. سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن /باب في فضل يس (3283)

صلى الله عليه وسلم، ولِم سميت يس قلب القرآن؟ لأن يس تضمنت الإلهية والرسالة والحشر، وهذه الأشياء عقائد يؤمن بِها الإنسان بقلبه، ليس في سورة يس ذكر عمل الأركان كالصلاة والصيام ونحو ذلك، إنما فيها ذكر الألوهية والرسالة وأحوال يوم القيامة، والإيمان بِهذا إنما يكون بالقلب فلهذا صارت "يس" قلب القرآن وأفضل القرآن (لكل شيء قلب وقلب القرآن يس)، قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من قرأ سورة يس كتب الله له قراءة القرآن عشر مرات)[2] وقال: إن سورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها وهي سورة "يس" تدعى في التوراة المعمة قيل يا رسول الله وما المُعِمّة؟ قال: تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى أيضا الدافعة والقاضية، وكيف ذلك؟ قال: تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة[3]؛ ومنها (من قرأ يس حين يصبح أعطي يسر يومه حتى يمسي

---

1 - أخرج الترمذي في سننه عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات). سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء في فضل يس(2812). وفي سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن /باب في فضل يس(3282).

2 - تقدم قبل قليل من حديث أنس عند الترمذي وفيه "كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات". سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء في فضل يس (2812).

3 - أورده الإمام القرطبي فقال: "عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن في القرآن لسورة تشفع لقُرّائها ويغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس تدعى في التوراة المعمة) قيل: يا رسول الله وما المعمة؟ قال: (تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى الدافعة والقاضية) قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: (تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة ... إلى آخر الحديث. قال القرطبي: ذكره الثعلبي من حديث عائشة، والترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه مسندا. الجامع لأحكام القرآن: مقدمة سورة يس في بداية ج15. وقد نقل مثله كذلك السيوطي في الدر المنثور برواية سعيد بن منصور والبيهقي عن حسان بن عطية. مقدمة السورة من المجلد السابع.

ومن قرأها في صدر ليلة أعطي يسر ليلته حتى يصبح)[1] وعن أبي جعفر: من وجد في قلبه قسوة فليكتب سورة يس ويشربها. ومنها (من قرأ سورة يس أصبح مغفورا له)[2]، (من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف العذاب عن أهلها وكان للقارئ ثواب بعدد حروفها)[3] ومنها عن يحيى بن أبي كثير: بلغني أن من قرأ سورة يس لم يزل في فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي[4]. وإذا نزل ملك الموت بإنسان فقرأ سورة يس يأمر الله رضوان فيأتيه بشراب من الجنة فيشرب حتى يقبض روحه وهو ريان، ويبقى في قبره وهو ريان، ويحشر وهو ريان، لا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء ويدخل الجنة وهو ريان[5] . ورد أن من قرأ سورة يس فله عشرة أشياء: إذا قرأها جائع لابد أن يشبع، وإن قرأها عريان لابد أن يجد لباسا، وإن قرأها مسافرٌ أعانه الله على سفره حتى يعود، وإن قرأها مريض

---

1 – أخرج الدارمي في سننه: عن شهر بن حوشب قال: قال ابن عباس: من قرأ يس حين يصبح أعطي يسر يومه حتى يمسي ومن قرأها في صدر ليله أعطي يسر ليلته حتى يصبح. سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن /باب في فضل يس (3275)

2 – أخرج السيوطي في الجامع الكبير عن ابن مسعود: (من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورا له). الجامع الكبير ج821/1.

3 – قال القرطبي في تفسير سورة يس: وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ وكان له بعدد حروفها حسنات). القرطبي ج15/ص1.

4 – القرطبي ج15/ص2.

5 – ذكره الصاوي في حاشيته على الجلالين بلفظ: (أيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان لا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان) ج317/3. وقد ذكره العجلوني في كشف الخفاء ضمن تعليق على حديث (يس لما قرئت له) نقلا عن البيضاوي في تفسيره. باب الياء التحتانية (3213).

شفاه الله من مرضه، وإن قرأها عازب تزوج، وإن قرأها مسجون فرج الله عليه يخرج من سجنه، وإن قرأها عطشان روي الخ[1]. الاختصار كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (يس لما قرئت له)[2] كل من قرأ سورة يس بنية أي شيء يعطيه الله مراده.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَسٓ﴾ الله أعلم بمراده به فيه ما تقدم من تفسير الحروف أو اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أسمائه طه ويس[3] ﴿وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أقسم الجليل تبارك وتعالى بهذا القرآن المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني أن محمدا صلى الله عليه وسلم لمن الرسل، من جملة المرسلين ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى ﴿تَنزِيلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ بخلقه ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤُهُمْ﴾ لم ينذروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن الإيمان ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ أكثرهم وجب عليه قول العذاب أي "لأملأن جهنم" ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً﴾ بأن تضم إليها الأيدي ﴿فَهِيَ﴾ الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا﴾ يسد الطريق دونهم ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

---

1 – أخرجه السيوطي في الجامع الكبير ج135/1 وقال فيه رواه الديلمي عن علي.

2 – (يس لما قرئت له) كشف الخفاء باب الياء التحتانية (3213).

3 – أخرجه السيوطي في الجامع الكبير بلفظ: (إن لي عند ربي عشرة أسماء: محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والماحي والعاقب والحاشر ويس وطه). لابن عدي في الكامل ولابن عساكر عن أبي الطفيل. الجامع الكبير ج266/1. وقد تقدم في الدرس 32.

ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ إنذارك ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ وعدم إنذارك ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ لا ينتفع بإنذارك إلا من آمن بالقرآن ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾ في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه ﴿وَءَاثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ﴾ وأحصينا كل شيء ضبطناه أحصيناه ﴿فِي إِمَامٍ﴾ كتاب ﴿مُبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ﴾ أهل مكة ﴿مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ ضرب مثلا لأهل مكة ليتفكروا أن الله سيهلكهم كما أهلك أهل هذه القرية، هي قرية أنطاكية من قرى النار، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (أربع قرى من قرى الجنة: مكة والمدينة وبيت المقدس وصنعاء اليمن، وأربع قرى من قرى النار: أنطاكية وعمورية وقسطنطينية وظفار اليمن - قرية في اليمن يقال لها ظفار عكس صنعاء - هذه قرى من قرى جهنم[1]. أهل أنطاكية هم الذين نزل بِهم موسى والخضر ضيفا فأبوا أن يضيفوهما، لما نزلت هذه الآية جمعوا كثيرا من الأموال أوقروا الإبل فأتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: نشتري منك يا رسول الله نقطة واحدة فقط القرآن ذمنا "فأبوا أن يضيفوهما" أردنا أن تأخذ منا هذه الأموال وتكتب فأتوا أن يضيفوهما فقط – لا يعلمون أنه لا حاجة له في الدنيا – وليس له أن يبدله من عند نفسه فطردهم الرسول صلى الله

---

1 ـ قال إسماعيل حقي في روح البيان قال عليه الصلاة والسلام: أربع مدائن من مدائن الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس وصنعاء اليمن، وأربع مدائن من مدائن النار أنطاكية وعمورية وقسطنطينية وظفار اليمن. روح البيان ج577/7. وقد وردت روايات ببعض الاختلاف في أسماء هذه المدائن.

عليه وسلم[1]. وأهل أنطاكية هم الذين ضرب الله بِهم مثلا لأهل مكة ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ رسل عيسى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُواْ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ عيسى لما علمه الله أنه سيرفعه إلى السماء فرق رسلا إلى الناس يدعونَهم إلى الخير، فأرسل اثنين إلى أنطاكية أنّهما يدعوانِهم إلى التوحيد والإيمان بالله، فلما أتيا لقيا راعي غنم يقال له حبيب النجار فدعياه إلى الإيمان وقالا له: نحن نبرئ الأكمه والأبرص وفعلا ذلك فآمن بِهما فدخلا القرية وصارا يدعوان الناس إلى الإيمان. وفي زمن عيسى بعض الناس يولد أكمه ليس له محل العينين فيشقان المحل ويأخذان تبنة من الطين فيضعانِها ويدعوان الله حتى يصير مبصرا[2]، والأبرص كذلك فتبعهما خلق كثير، فسمع بذلك المِلك فدعاهما فقال لهما ما تقولان؟ أنتما عندكما إله غير آلهتي؟ قالا: نعم، الإله هو الذي خلقك وخلق هذه الآلهة وهو الذي خلق السماوات والأرض وهو الذي ينفع ويضر، أما آلهتك فلا تنفع ولا تضر. فأخذهما وجعلهما في السجن، فلما أطالا في السجن أرسل عيسى ثالثا هو شمعون ليؤيدهما فأتى شمعون فدخل أولا إلى السجن وقال لهما أنتما مثال ما فعلتما مثال من كان عقيما لا يولد له فولد له مولود فحرص على حياته فأطعمه خبزا عند ميلاده فسيموت. أنتما لو رفقتما لآمن الملك ولكن دعوتماه بعنف. فرجع ودخل في حاشية الملك وصار يتودد لهم ويكون معهم في كل ماهم فيه ويذهب إلى الآلهة يحضر معهم كأنه معهم في دينهم وهو حقيقة مؤمن بالله وحده ورسول من رسل عيسى، فصار يتقرب إليهم حتى ذكروا اسمه للملك فدعاه الملك فحظي عنده

---

1 – ذكره الألوسي في روح المعاني وعزاه للنيسابوري. ج16/ص6.

2 – الخازن ج4/ص4.

وصار من جلسائه حتى صار من وزرائه، وقال يوما للملك: بلغني أن رجلين أتياك هنا يدعوانك إلى دين غير دينك وإله غير آلهتك وحبستهما؟ قال نعم هذا صحيح. قال: أخرجْهما أجادلهما لك فجاءا، قال لهما: أنتما تدّعيان أن ثم إلها غير آلهة هذا الملك؟ قالا: نعم هذه ليست بآلهة، لا تضر ولا تنفع. قال: هل عندكما آية تظهرانها للملك؟ قالا: نعم نبرئ الأكمه والأبرص. فأوتيا بأكمه فأبرآه وأوتيا بأبرص كذلك؛ قال لهما الملك: هنا غلام مات منذ سبعة أيام وكان أبوه غائبا وليس عنده إلا هو وأنا أنتظر أباه لندفنه، تقدران على إحيائه؟ قالا: نعم، ننظر، فدخلا على الميت وصارا يدعوان وشمعون يدعو معهما حتى قام الصبي وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى رسول الله وأن الثلاثة رسل رسول الله وهذه الآلهة أصنام لا تضر ولا تنفع لا تستحق العبادة. تفكر الملك قال هم اثنان وهو قال ثلاثة من هو الثالث؟ قال: شمعون هو الثالث، لم يجد شمعون بدا أن يظهر له أمره، قال له: نعم أنا رسول عيسى وأدعوك إلى دين الله[1]، نصحه فلم يؤمن به بل قتل رسل رسول الله وقتل حبيب النجار الذي آمن بهم أول الأمر فأهلكهم الله جميعا. تلك القرية التي هي أنطاكية حالها حال أهل مكة الآن إذا لم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم فسيهلكهم الله، فأهلكهم يوم بدر «فَقَالُواْ إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ» ﴿قَالُواْ مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ لما أكدوا في تكذيبهم، أكدوا في إثبات الحق عندهم «إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ» ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾ التبليغ ﴿قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ انقطع المطر عنا بسببكم ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا

---

1 – قصة رسل عيسى الثلاثة والملك ذكرها القرطبي في الجامع ج15/ص15.

عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُواْ طَائِرُكُمْ﴾ شؤمكم ﴿مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ﴾ وُعظتم وكفرتم تتطيرون؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحد بشرككم. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تطير فليس منا) وما أحد إلا وفيه تطير، ولكن من دخل قلبه أن شيئا يضر غير الله فليقل: لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك، لا يأتي بالحسنات إلا الله ولا يذهب بالسيئات إلا الله، سيذهب ذلك عن قلبه[1]. «بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» فلما أراد قتل رسل عيسى، سمع بذلك المؤمن الأول حبيب النجار من داخل القرية وكان راعيا ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ﴾ دعاهم إلى الإيمان بالمرسلين ﴿اتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فقيل له أأنت على دينهم؟ فقال: ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ لا مانع لي من عبادة الموجد وهو الله تبارك وتعالى، وهو الذي فطرني أنشأني من غير سابق وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم «وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي» كان حقه أن يقول: وإليه أرجع، ولكن قال «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» التفت إليهم اهتماما بشأنهم ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ أصناما ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها

---

1 - أخرج أبو داود في سننه عن عروة بن عامر قال أحمد القرشي قال: ذُكِرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك). سنن أبي داود: كتاب الطب/ باب في الطيرة (3418) ولأحمد في مسنده: عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك). مسند المكثرين من الصحابة/ مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (6748). وقد تقدم في الدرس 19.

﴿شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ إِنِّيَ إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ اسمعوا قولي فرجموه فمات. فعندما سقط أُدخل الجنة في الحال ﴿قِيلَ﴾ له عند موته ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل دخلها حيا ﴿قَالَ يَالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ قوم حبيب النجار ﴿مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ الله تبارك وتعالى أهلكهم ولم يحتج إلى إرسال جند يهلكهم كذلك مَن قبلهم من الأمم، إذا أراد الله هلاك أمة يصيح جبريل صيحة واحدة فيهلكون. إنزال الجنود ما وقع إلا يوم بدر إكراما لمحمد صلى الله عليه وسلم أنزل الله خمسة آلاف من الملائكة يقاتلون معه وكان يكفي صيحة جبريل فقط لهلاك القوم، ولكن تكريما للمصطفى صلى الله عليه وسلم، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس وهو هذا، ومؤمن آل فرعون سيأتي في سورة غافر اسمه شمعون على اختلاف في ذلك، وأبو بكر الصديق وهو أفضلهم)[1] ﴿إِن كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾

---

1 – أورد القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الصديقون: حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذي قال "أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله"، والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم) القرطبي ج306/15. وقال الألوسي في روح المعاني في معرض الصديقية: وعن الشيخ الأكبر قدس سره إثبات مقام بينهما (النبوة والصديقية) وذكر أنه حصل لأبي بكر الصديق.. (ج145/16) وقال في مقام آخر قبل ذلك: وأثبت الشيخ الأكبر قدس سره مقاما بينهما سماه مقام القربة وهو السر الذي وقر في قلب أبي بكر رضي الله تعالى عنه المشار إليه في الحديث (لعله يعني الحديث: ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه) ويشهد لذلك ما نقله عن الشيخ خالد النقشبندي أنه قرر يوما أن مراتب الكمل أربعة: نبوة وقطب مدارها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم صديقية وقطب مدارها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ثم شهادة وقطب مدارها عمر الفاروق رضي الله عنه، ثم ولاية وقطب مدارها علي كرم الله تعالى وجهه..(76/5)

صاح بِهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ساكنون ميتون ﴿يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء ممن كذبوا الرسل فأهلكوا ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ أَلَمْ يَرَوْاْ﴾ أهل مكة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون ﴿وَإِن كُلٌّ﴾ كل الخلائق ﴿لَمَا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ كلهم يحضرون عند الله تبارك وتعالى في الموقف بعد بعثهم ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ﴾ على البعث ﴿الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالماء ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُواْ مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ الأيدي لم تعمل الثمر ﴿أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾ الإنسان إذا غرس وإذا حرث يتحقق أنه ليس هو الذي صنع الثمار، ليس هو الذي صنع الحب، تأكلونه وليس من عملكم أفلا تشكرون الله تبارك وتعالى؟ قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله شكا من أمتي ليلة أسري بي خمس شكاوات قال: يا محمد أمتك ما كلفتهم عمل الغد وهم يكلفونني رزق الغد - كلنا يحب أن يدخر شيئا لغد والله ما كلفنا عمل الغد - الثاني أنا ما دفعت رزقهم لغيرهم وهم يدفعون أعمالهم لغيري، أنا أوفيهم وهم يخونونني ويصالحون مع الغير، أنا أدعوهم إلى الجنة وخلقت النار لأعدائي وكلهم يريد أن يدخل النار وأنا أردهم عن النار)[1]. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على القدرة العظيمة ﴿الَّيْلُ نَسْلَخُ﴾ نفصل ﴿مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ من آيات الله تجد الليل شاملا يجرد الله النهار من ذلك الليل، وتكون في النهار فإذا أنت داخل في ليل

1 - روح البيان ج221/9.

آخر ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ إلى آخره ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ لا تتجاوزه ﴿ذَلِكَ﴾ جريها ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه ﴿وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلا في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين «وَالشَّمْسُ تَجْرِي» لها منازل تقطعها في سنة والقمر له منازل يقطعها في كل شهر ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ كعود الشماريخ، فإنه يدق ويتقوس ويصغر ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي﴾ يسهل ﴿لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ لا يمكن أن تأتي الشمس على القمر ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ ولا يمكن أن الليل يأتي قبل انقضاء النهار أبدا ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ كلهم يسبح في فلكه، لو كان من عمل البشر لتلاحق الليل والنهار مرة سهوا ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ آباءهم ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ سفينة نوح ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ﴾ مثل فلك نوح ﴿مَا يَرْكَبُونَ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ﴾ قالوا إن السفن ليس فيها شيء من قدرة الله إنما كل مجوف إذا وضع على البحر لا يغرق، والسفينة مجوفة فلهذا لم تغرق قال «وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ» وربما أراهم علامة لذلك ﴿إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ لا ينجيهم إلا رحمتنا ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيركم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أعرضوا ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَإِذَا قِيلَ﴾ قال فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنفِقُواْ﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ استهزاء بهم ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ في معتقدكم ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ قال تعالى ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى

﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ يتخاصمون ﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ لا يوصي بعضهم بعضا ﴿وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ إذا أراد الله انقضاء الدنيا تأتي ريح لينة فيرفع القرآن، فتهب ريح لينة من تحت العرش فتأخذ كل مؤمن ومؤمنة على وجه الأرض[1] فيبقى الكفار مائة سنة أو مائة وعشرين سنة ليس فيهم من يؤمن بالله (لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله)[2] بقوا في الدنيا وليس فيهم من يعلم أن الله موجود، كلهم كفار، فإذا أراد الله انقضاء العالم أمر إسرافيل فينفخ في الصور فكلهم يموت في محله، أهل السوق يموتون في الأسواق عند تجاراتِهم، وأهل البساتين يموتون في بساتينهم، وبعضهم كانوا متخاصمين متقاتلين فيقع كل أحد في محله ميتا، لهذا قال الله تبارك وتعالى لم ينتظروا إلا ذلك. كيف وصفهم أنّهم ينتظرون ذلك وهم يكذبون هذا؟ فإذاً لم ينتظروا، نعم يقولون "متى هذا الوعد" لما قالوا متى هذا الوعد دل ذلك على أنّهم ينتظرون هل هذا يكون أم لا يكون، فإذا مات جميع الخلائق بقيت الأرض أربعين[3] مستريحة بعدما كان عليها من الزلازل

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا وفيه قال (... فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة) صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ذكر الدجال وصفته وما معه (5228). وقد تقدمت أطراف منه في الدروس: 19، 22، 29

2 – أخرج مسلم في صحيحه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله). كتاب الإيمان/ ذهاب الإيمان آخر الزمان (211). وسنن الترمذي: كتاب الفتن/ باب ذهاب الإيمان آخر الزمان (2133). تقدم في الدرس20.

3 – أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بين النفختين أربعون) قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوما؟ قال أبيت، قال أربعون سنة؟ قال أبيت، قال أربعون شهرا؟ قال

والحركات والفتن، بقيت الأرض مستريحة أربعين، ينزل المطر على أحسن حال فتخرج الثمار على أحسن حال وليس هناك من يتناول شيئا أو يأكله. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ بعد الأربعين مرة أخرى ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ إذا أراد الله بعث الخلائق أمر جبريل وميكائيل وإسرافيل أن يذهبوا إلى الجنة ويأخذوا لباس رسول الله صلى الله عليه وسلم ودابته ويأتوه ليأتي إلى لقاء ربه، ويقولون الأرض كلا مشتبكة بالأشجار والنباتات وليس على وجه الأرض أحد يتحرك ولا تجد قرية ولا شيء، فضلّوا لا يعرفون محل المدينة، يقولون لجبريل أنت الذي أَلِفت طريق المدينة دُلَّنا عليها، فيأتي جبريل فيدلهم على محل النبي صلى الله عليه وسلم فيوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجلس ويقول: (أمتي أمتي أين أمتي؟) يقولون: إن الله ما بعث أحدا قبلك فيكسونه لباسه قال: (فآتي أبا بكر فأوقظه وآتي عمر)[1] يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أنا أول من تنشق عنه الأرض إلا

أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله تعالى ونفخ في الصور ... الآية (4814)، وفي صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ما بين النفختين (5253). قال النووي في شرحه قوله صلى الله عليه وسلم: (ما بين النفختين أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعين يوما؟ قال: أبيت... إلى آخره) معناه أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما، أو سنة، أو شهرا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة. وجاء في فتح الباري: أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد "أربعون سنة" وهو شاذ . ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال "ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة" انظره في شرح ابن حجر للحديث(4814). وقد تقدم في الدرس 16.

1 – أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين) سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في مناقب عمر بن الخطاب (3625). وقد تقدم في الدرس 16.

أني أجد موسى قائما متمسكا بقائمة من قوائم العرش فلم أدر هل نفخ فيه الروح قبلي أم جوزي بصعقة الطور فلم يكن ممن صعق)[1] لما نفخ النفخة الأولى فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يؤمر إسرافيل بالنفخ في الصور فينفخ «فإذاهم من الأجداث» القبور «إلى ربِّهم ينسلون» كل قبر يخرج منه ألف أو مئات أو عشرات يندفعون إلى المحشر ﴿قَالُواْ﴾ الكفار ﴿يَاوَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا، حتى أهل النار بقوا رقودا في تلك المدة، كلهم في راحة، فلما أراد الله بعثهم أمر العرش فأمطر عليهم ماء غليظا كهيئة المني فنبتت الأجسام حتى رجعت كحالها، بعد ذلك نفخ في الصور فيقومون من الأجداث إلى ربِّهم ينسلون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار ﴿إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ كلهم في المحشر ﴿فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فاختلطوا لم يميز بين المؤمنين وغيرهم حتى نودوا "وامتازوا اليوم أيها المجرمون" فتميزوا ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ يتلذذون بافتضاض الأبكار[2] لا شغل يتعبهم، الجنة لا نصب فيها، ليس فيها عمل وليس فيها ليل ولا نَهار ولا نوم ليس فيها إلا الاشتغال باللذة، قال أبو يزيد مساكين شغلوا

---

1 – عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور). صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء / باب وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها (3398). وله مثل ذلك من كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى "وإن يونس لمن المرسلين" (3415) وفي صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ من فضائل موسى (4376). وقد تقدم الحديث 3398 في الدرس 38.

2 – نقله الخازن عن ابن عبَاس. تفسير الخازن ج4/ص9.

عن شيء لو عرفوه ﴿فَاكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة وهو السرير في الحجلة ﴿مُتَّكِئُونَ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ كل ما يتمنون يجدونه ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ يقال لهم سلام عليكم ﴿وَ﴾ يقول للكفار ﴿امْتَازُواْ الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ انفردوا عن المؤمنين لا تختلطوا معهم، فتفرقوا فهذا حينما يقول أهل الجنة "الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين" ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ آمركم ﴿يَابَنِي ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيّن العداوة ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي﴾ وحّدوني وأطيعوني ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ﴾ خلقا ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ عداوته فتؤمنون، ويقال لهم ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا﴾ ادخلوها ﴿الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ صاروا يقسمون بالله أنّهم ما أشركوا قط ولا عصوا الله "والله ربنا ما كنا مشركين" ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ لما أرادوا أن يكذبوا يوم القيامة، وذلك اليوم لا يمكن فيه الكذب، ختم الله على أفواههم وأنطق جميع الأعضاء، فكل عضو يشهد بما عمل، الرجْلان تقولان مشينا لكذا وكذا مما نَهى الله عنه، واليدان تقولان إنهما أمسكتا بكذا وكذا مما حرم الله، الفرج يقول: أنا دخلت حيث نَهاني الله، البطن: أنا أكلت الحرام، اللسان: أنا كذبت واغتبت ونممت، الأذنان: استمعنا إلى كذا وكذا، العينان كذلك، كل عضو ينطق بما عمل من سوء. وكما تشهد لأهل الشر بالشر تشهد لأهل الخير بالخير، اللسان يقول: أنا قرأت القرآن وذكرت الله، البصر: أنا نظرت في المصحف، النظر لا يكون عبادة إلا في أربعة أشياء: النظر في المصحف، والنظر

إلى الكعبة، والنظر إلى الوالدين، والنظر إلى وجه العالم[1]. والسمع: أنا سمعت القرآن. "وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا" يعاتبون الأعضاء على هذه الشهادات فتأتي الأرض كذلك "يومئذ تحدث أخبارها" كل بقعة عمل فيها الإنسان عملا تشهد البقعة على هذا العمل، ويأتي الزمان - الليل والنهار- عمل في الليل كذا وعمل في النهار كذا، ويأتون بتلك الشهادات أيضا، والملائكة تشهد الكتبة الذين كانوا يكتبون عمل العبد "هذا ما لدي عتيد" واللوح المحفوظ كل ذلك مجموع فيه "هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق" حصلت الشهادة فلا يمكن أي إنسان أن يجحد عمله هذا «يوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ لو شاء الله لأعماهم الآن كما أعمى قلوبَهم لو شاء لأعمى أبصارهم أيضا ﴿فَاسْتَبَقُواْ الصِّرَاطَ﴾ فيؤمرون أن يتدروا على الصراط ذاهبين كعادتِهم ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ فكيف يبصرون إذاً لو أخذ الله أبصار الناس وأمرهم أن يذهبوا في الطريق كيف يذهبون ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ لو شاء الله لأهلك بني آدم ومسخهم قردة وخنازير كما فعل لبني إسرائيل ﴿فَمَا اسْتَطَاعُواْ مُضِيًّا وَلاَ يَرْجِعُونَ﴾ لم يقدروا على ذهاب ولا مجيئ. والدليل على أن الله قادر على مسخ الإنسان في صورة قرد ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نَنكُسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ كل من عاش طويلا حتى هرم ولو كان بالغا ما بلغ من الجمال يصير في صورة قرد، بعد قوته وشبابه وجماله يصير هرما ضعيفا قبيح الوجه ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث. يقولون إن الله لما خلق الأعمار خلق لكل إنسان أربعين سنة وخلق

1 - انظر روح البيان ج102/1.

للحمار أربعين سنة، فقال: يا رب أربعون سنة كثير، هذه الأحمال الثقيلة التي أحملها لا يمكنني العيش فيها أربعين سنة انقص عني منها عشرين، يقول الإنسان: يا رب أعطني أنا تلك العشرين، فيعطيها الله له، ويعطي للكلب أربعين، فيقول: أربعون سنة كثير انقص عني عشرين، أربعون سنة في النباح فقط؟ لا. يقول الإنسان يا رب أعطنيها أنا، فتعطى له. ويعطي للقرد أربعين فيقول: لا، صورتي قبيحة لا أمكث أربعين سنة على هذه الصورة، يقول الإنسان أنا أحب هذه فتعطى له. قالوا: لهذا إذا بلغ الإنسان أربعين سنة يحمل الأحمال الثقيلة لأنه في عمر الحمار، وإذا بلغ ستين سنة يصير بخيلا إذا أخذ أحد شيئا من ماله ينبحه كالكلب، وإذا بلغ ثمانين سنة يكون على صورة القرد، «ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا تعقلون» ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ قالوا محمد شاعر فقط والقرآن شعر، هذا قالوه تعنتا ولكن هم يعلمون الشعر يعلمون أن هذا النظم البديع ليس بشعر ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ ما يمكن للرسول صلى الله عليه وسلم أن يتكلف الشعر ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ الشعر ما يجري على البحور الستة عشر بتكلف من الشاعر أكثره كذب وزور وأكثر الشعراء لا خير فيهم يتبعهم الغاوون، وهذا القرآن البديع المنزل على هذا الرسول الكامل من أتباعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومن يضاهيهم هذا لا يشبه الشعر، فالشعراء ما كانوا هكذا، يعني أن النبي لا يعرف الشعر ولا يتكلفه، ولا ينافي هذا أن يجري في القرآن ما يوافق بحور الشعر ولكن ليس تكلفا، إنما هو من بلاغة القرآن، وكذلك من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. أصابه حجر في بعض الغزوات فدميت أصبعه فقال: (ما أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل

الله ما لقيت)[1]. هذا كأنه بيت من الرجز ولكن ليس شعرا بل منسجم هكذا فقط لم يتكلف الشعر، وقال يوما: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب)[2]. هذا بيت ولكن ليس بشعر. الرسول ما يعرف الشعر ولا يتكلفه. وعادة إذا حَكى بيتا من الشعر لا يأتي به موزونا. كان يتمثل كثيرا بقول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك من لم تزود بالأخبار[3]

---

[1] - أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن جندب بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض المشاهد وقد دميت إصبعه فقال: (هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت). صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ من ينكب في سبيل الله (2802). وفي صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين (3353).

[2] - قوله صلى الله عليه وسلم : (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) طرف من حديث أخرجه الشيخان ولفظه عند البخاري في إحدى رواياته: عن أبي إسحاق قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنهما أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر إن هوازن كانوا قوما رماة وإنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فأقبل المسلمون على الغنائم واستقبلونا بالسهام فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر فلقد رأيته وإنه لعلى بغلته البيضاء وإن أبا سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب. صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير/ باب من قاد دابة غيره في الحرب (2864)، وفي صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب في غزوة حنين (3325).

[3] - أخرج أحمد في مسنده عن الشعبي عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استراث الخبر تمثل فيه ببيت طرفة ويأتيك بالأخبار من لم تزود. مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث السيدة عائشة (22896). وقال الإمام العجلوني في كشف الخفاء : [ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود] تمثل به صلى الله عليه وسلم كما رواه معمر عن قتادة قال بلغني أن عائشة سئلت: هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ فقالت: لا إلا بيت طرفة، وذكرته فقالت: فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من لم تزود بالأخبار)، فقال أبو بكر: ليس هذا هكذا، فقال صلى الله عليه وسلم: (إني لست بشاعر ولا ينبغي لي) كشف الخفاء: حرف السين المهملة (1465).

يقول أبو بكر يا رسول الله ليس هكذا، البيت [... ويأتيك بالأخبار من لم تزود] فقال هذا شيء واحد فضحك أبو بكر وقال: صدق الله «وما علمناه الشعر». هو أفصح الناس ولا يعلم الشعر، وهذا الذي قال في النظم أفصح لأنه قدم العمدة على الفضلة - ويأتيك من لم تزود بالأخبار - هذا في الفصاحة أحسن ولكن في الشعر هو لا يعلم الشعر. تحاكم عنده حسان وكعب كلهما يدَّعي أنه أشعر من الآخر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ليقل كل واحد منكما بيتا من شعره فأحكم بينكما. قال كعب أنا الذي أقول:

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

و قال حسان: أنا الذي أقول:

فإن أبي ووالده وعرضـــــي لعرض محمد منكــم وقــاء

فقال صلى الله عليه وسلم: (أشعر حسان بكثير) قال كعب: صدق الله «وما علمناه الشعر»[1]. والقرآن جاء فيه آيات توافق بحورا من بحور الشعر لأنه كتاب كريم كل فن لابد أن يستمد من القرآن. جاء في القرآن "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" هذا بيت "وجفان كالجوابي وقدور راسيات" هذا بيت، "ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين" هذا بيت، "ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" "فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم" ولكن هذا ليس بشعر إنما انسجام فقط جاء هكذا. وحق لكل فن أن يجد مستمدا من القرآن ﴿لِتُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي عاقلا يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهم كالميتين. جاء عمر يوما إلى مسجد الرسول ووجد قوما يتناشدون الأشعار قال:

---

1 - تقدم ذكر تحاكم حسان وكعب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدرس 5 والدرس 21.

أمزامر الشيطان في مسجد الرسول؟ اخرجوا عن مسجد الرسول. قالوا: إياك يا عمر، أنشد الشعر في هذا المسجد وفيه خير منك[1]، فوضع يده على رأسه وتواضع لهم وقال: كل الناسَ أفقه منك يا عمر. أُنشد الشعر والرسول صلى الله عليه وسلم جالس وأنشد الشعر وأبو بكر جالس، هذا قولهم: أنشد الشعر في هذا المسجد وفيه من هو خير منك، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ ليعلموا ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾ ألم ينظروا إلى الإبل والبقر والغنم؟ هذا من عملكم؟ لا، هذا عمل أيدينا نحن تبارك وتعالى ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ عملت هذه الأنعام أيدي القدرة الإلهية فملكتموها وضبطتموها، كلكم يضبط ما عنده من الإبل والبقر والغنم، ولو بلغ ما بلغ من الكثرة الإنسان يعرف كم عنده، ضابطون ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ الله هو الذي سخر هذه الأشياء حتى يمكنكم ركوبُها، سخر الجمل لو لم يسخر الجمل ما ركبتم الإبل أبدا، انظروا إلى الزرافة وإلى الفيلة في الفلاة هل يمكنكم أن تركبوها؟ وسخر لكم البقر، انظروا إلى بقر الوحوش لم تقدروا لها على شيء وسخر الغنم، الظباء في الفلاة لم تقدروا لها على شيء إنما سخرها الله، لكم لا تظنون أن هذا من قدرتكم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ سخرها الله إن شئنا ركبنا وإن شئنا ذبحنا وأكلنا اللحم ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها ﴿أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنون ﴿وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ أصناما يعبدونَها

---

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب قال: مر عمر في المسجد وحسان ينشد فقال: كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك ثم التفت إلى أبي هريرة فقال أنشدك بالله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجب عني اللهم أيده بروح القدس قال نعم. صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق / باب ذكر الملائكة (3212).

﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ﴾ الآلهة ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ حتى الآلهة سيحضرون معهم في النار، الجبال التي عبدوها تكون وقود النار، "وقودها الناس والحجارة". أمر الرسول صلى الله عليه وسلم جعفرا قال له: اذهب إلى ذلك الجبل وقل له: رسول الله يقرئك السلام ويقول لك إن كان عندك ماء فاسقني، فجاء وقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك إن كان عندك ماء فاسقني. قال: مرحبا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قل لرسول الله صلى الله عليه وسلم منذ نزلت "وقودها الناس والحجارة" بكيت حتى لم تبق عندي قطرة ماء ولو كان عندي لسقيتك، هذا هو الذي كان يحب المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يسمع جعفر[1]، ﴿فَلاَ يُحْزِنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنجازيهم ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ هذه الآية نزلت في أبي بن خلف أثار قبرا فأخرج عظاما رميمة ففتها في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أترى يحيي الله هذا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: بلى. فكذّب النبيَّ صلى الله عليه وسلم. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: يحييها الله ويدخلك النار[2] «أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ» أُبيٌّ أو العاص بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ كان من

---

[1] – قصة إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر إلى الجبل يسقيه، انظرها في روح البيان ج5/444.

[2] – نقل الإمام الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن عن قتادة : ذكر لنا أن أبي بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل، ففته، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيى هذا وهو رميم؟ قال: (والله يحييه ثم يميته، ثم يدخلك النار). تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن: سورة يس / القول في تأويل قوله تعالى: (أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم). وفي رواية أوردها ابن كثير عن ابن عباس أنه العاصي بن وائل، تفسير ابن كثير ج3/582.

نطفة مني فصيرناه شديدا قويا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مُبِينٌ﴾ بيّنها. من جعل المني إنسانا قويا هكذا يخاصم ربه قادر على بعثه بعد موته، هذا كما يقول الشاعر العربي:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

أعلمه القوافي كل يوم فلما قال قافية هجـــاني[1]

هكذا فعل أُبَي ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾ في ذلك ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ فجعل مثلا ونسي أن الله خلقه من المني وهو أغرب من مثَلِه ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قال للرسول صلى الله عليه وسلم: الله تبارك وتعالى إذا مات الإنسان حتى رمت عظامه واختلط بالأرض كيف يرجعه إنسانا؟ هذا ما يمكن. وأغرب من ذلك إذا أكل إنسان إنسانا أو سبع إنسانا ومات الإنسان الآكل كيف يبعث الله الآكل والمأكول وهما صارا شيئا واحدا قبل الموت؟ وإنسان مات وتفرقت أعضاؤه بعضها في أجواف الطيور وبعضها في بطون السباع كيف يجتمع هذا بعد؟ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ الذي أنشأ الإنسان من مني هو الذي يعيده بعد الموت «وهو بكل خلق عليم» مجملا ومفصلا، يبعث الآكل والمأكول كلهم منفردا، وكلهم يجمع ما فيه ويتميز ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ الشجرة الخضراء المرخ والعفار أو كل شجرة إلا العناب حال كونها شجرة خضراء فيها الماء فيها النار أيضا، كل شجرة أوريت تخرج نار وتلك النار لم تطفأ بوجود الماء في الشجرة ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَّخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ القادر على خلق هذه السماء ترونها بلا عماد

---

1 – أوردهما البروسوي في روح البيان دون عزو ج7/436.

والأرض قادر على أن يخلق إنسانا صغيرا ﴿بَلَى﴾ هو قادر على ذلك ﴿وَهُوَ الْخَلاَّقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ شأنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَّقُولَ لَهُ كُن فَـ﴾هو ﴿يَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون في الآخرة.

سورة الصافات

مكية مائة واثنتان وثمانون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أول ما نزل من القسم غير الحروف ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ أقسم الجليل بالملائكة تصف نفوسها صفوفا صفوفا لعبادة الله تبارك وتعالى ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ الملائكة تزجر السحاب أي تسوقها، الزجر صرف الشيء بصوت ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ قراء القرآن من الملائكة ﴿ذِكْرًا﴾ أو جميع القراء من الملائكة وبني آدم ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ أقسم الجليل بصفوف الملائكة أو بصفوف البشر، الأرواح ذكرنا لكم أنها يوم "ألست بربكم" على أربعة صفوف: صف فيه الأنبياء والمرسلون، وصف فيه العارفون والأولياء والمؤمنون، وصف فيه المسلمون، وصف فيه الكفار والمنافقون، وكلهم قالوا: بلى[1]. أو الملائكة التي تصف صفوفا في الهواء وفي السماوات وفي العرش وسرادقات العرش تعبد الله تبارك وتعالى. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم (أطت السماء وحق لها أن تئط فما فيها موضع شبر إلا وملك قائم أو راكع أو

[1] روح البيان ج275/1

ساجد)[1] أقسم الجليل أن الإله واحد هو رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق والمغارب كذلك، جمع المشارق باعتبار مشرق كل يوم - ثلاثمائة وستون يوما - والمغارب كذلك وبتثنية رب المشرقين ورب المغربين مشرق الشتاء ومشرق الصيف. الله تبارك وتعالى رب كل ذلك. الرب عنوان الدعاء، فالعبد عندما يطلب من الله تبارك وتعالى يقول يا رب، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ بضوئها ﴿وَحِفْظًا﴾ حفظناها بالشهب ﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ عاتٍ خارج عن الطاعة ﴿لاَ يَسْمَعُونَ﴾ لا يستمعون - الشياطين - ﴿إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ الملائكة في السماء ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من آفاق السماء ﴿دُحُورًا﴾ طردا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم ﴿إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ الاستماع لا يمكن للشياطين، لكن الشيطان يختطف خطفة واحدة يأخذها بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ كوكب مضيئ ﴿ثَاقِبٌ﴾ يثقبه أو يحرقه أو يخبله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبرْ كفار مكة ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ من الملائكة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ﴾ خلق الله آدم من طين لاصق باليد ﴿بَلْ﴾ انتقال من غرض إلى آخر ﴿عَجِبْتَ﴾ يا محمد ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ من تعجبك ﴿وَإِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿لاَ يَذْكُرُونَ﴾ قريش ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً﴾ كانشقاق القمر

---

[1] - أخرج الترمذي في سننه: عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني كنت شجرة تعضد. سنن الترمذي: كتاب الزهد/ في قول النبي لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا (2234) ولابن ماجه في سننه: كتاب الزهد/ باب الحزن والبكاء (4180). وللحاكم في مستدركه: كتاب التفسير/ تفسير سورة هل أتى على الإنسان (3883/ 1021).

﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ طلبوا انشقاق القمر فانشق القمر، فقالوا سحر مستمر ﴿وَقَالُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ منكرين للبعث ﴿ءَائِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ ما يفعل بهم ﴿وَقَالُواْ﴾ الكفار ﴿يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يوم الحساب ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ويقال للملائكة ﴿احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ دلوهم وسوقوهم ﴿إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ طريق النار ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ أحبسوهم عند الصراط ﴿إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ لا تذهبوا بهم سريعا أوقفوهم عند الصراط حتى نسألهم عن جميع أقوالهم وأفعالهم، ويقال لهم توبيخا ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ﴾ لا تتناصرون بعضكم بعضا على عادتكم في الدنيا، عادة بني آدم إذا وقعت نازلة قاموا يتناصرون عليها، هلا فعلتم هذا في يوم القيامة ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ منقادون أذلاء ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون ﴿قَالُواْ﴾ الأتباع ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لحلفكم أو عن جهة اليمين والشمال و﴿قَالُواْ﴾ المتبوعون ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ لا ما أضللناكم إنما كفرتم كما كفرنا فقط ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ ليس لنا قوة نقهركم على الكفر إنما كفرتم فقط ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ ضالين مثلنا ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ "لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ نعم أغويناكم ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ لأننا كنا غاوين ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ قال الله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ مشتركون في العذاب. كاشتراكهم في الغواية ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء

﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ﴾ هؤلاء ﴿كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن قول هذه الكلمة. قال موسى: يا رب علمني كلمة أذكرك بها. قال يا موسى قل: لا إله إلا الله، قال: أنا أحب شيئا تخصني به. قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله. قال: كل الناس يقولون هذا. قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله واعلم أن السماوات السبع والأرضين السبع والعرش والكرسي لو جعلت في كفة ميزان وجعلت كلمة لا إله إلا الله في كفة أخرى مالت بهن لا إله إلا الله[1]. ويقول الرسول: (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة)[2]، تغيب الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم عن الصحابة فأقاموا يوما كاملا ما رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا علموا له محلا، فشق ذلك عليهم، فتفرقوا يطلبونه حتى وجده أبو هريرة، فقال له: ما حاجتك يا أبا هريرة؟ قال: كل الناس في خوف شديد وحيرة لأننا فقدناك، فتفرق الناس كلهم يطلبونك وأنا وجدتك، قال: لهذا؟ قال: نعم، قال: خذ نعلي علامة عندك واذهب بهما فكل من لقيته وهو يقول: لا إله إلا الله فبشره بالجنة. فلقي أبو هريرة عمر مع جماعة قال: يا أبا هريرة ما تصنع بنعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني نعليه وقال

---

1 – أخرج السيوطي في الجامع الكبير عن أبي سعيد: (سأل موسى ربه تعالى حين أعطاه التوراة أن يعلمه دعوة يدعو بها فأمره أن يدعو بلا إله إلا الله فقال موسى: يا رب كل عبادك يدعو بها وأنا أريد أن تخصني بدعوة أدعوك بها فقال تعالى: يا موسى لو أن السماوات وساكنها والأرض وساكنها والبحار وما فيها وضعوا في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لوزنت لا إله إلا الله). رواه ابن أبي يعلى عن أبي سعيد. الجامع الكبير للسيوطي ج539/1. وقد تقدم في الدرس32.

2 – أخرج السيوطي في الجامع الصغير (من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة) رواه البزار عن أبي سعيد. حديث صحيح (8896). وقد تقدم في الدرس32.

إن كل من لقيته يقول لا إله إلا الله أبشره بالجنة. فضربه عمر حتى سقط على استه فأخذ منه النعلين وقال: ارجع لا تقل هذا يتكل عليه الناس فيتركوا العمل، فأتى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يبكي، قال له: ما بالك يا أبا هريرة؟ قال: ذهبت بنعليك لأبشر كل من لقيت يقول لا إله إلا الله بالجنة فلقيت عمر فضربني حتى سقطت على أستي وزجرني ونَهاني عن قول ما قلتَ لي أن أقول، فجاء عمر وأكد ذلك قال له يا رسول الله هذا إذا سمعه الناس يتكلون، قال إذاً، فسكت، وفي رواية: قال ولو اتكلوا[1]. وركب يوما مع معاذ فقال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول

---

1 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: كنا قعودا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرنا فأبطأ علينا وخشينا أن يقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت أول من فزع فخرجت أبتغي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتيت حائطا للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له بابا فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة والربيع الجدول فاحتفزت كما يحتفز الثعلب فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبو هريرة؟ فقلت: نعم يا رسول الله قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب وهؤلاء الناس ورائي فقال: يا أبا هريرة وأعطاني نعليه قال: اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة، فكان أول من لقيت عمر فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة. فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لاستي فقال: ارجع يا أبا هريرة فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجهشت بكاء وركبني عمر فإذا هو على أثري فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي قال ارجع، فقال له رسول الله: يا عمر ما حملك على ما فعلت؟ قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فخلهم. صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (46).

الله وسعديك، فقال يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله، فقال: كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو من أهل الجنة. قال: أبشر الناس بِهذا وأخشى أني إن بشرتُهم بِهذا يتكلون. قال النبي صلى الله عليه وسلم: فلا إذاً. منعه من أن يبلغ هذا فأخبر به معاذ عند موته تأثما[1]، خاف أن يموت ولم يبلغ هذا. وأنا قلت إني ما فهمت قوله 'تأثما' حيث أن الشارع قال له إذاً لا، ولكن خاف أنه إن مات وهو لم يخرج هذا العلم دخل في جملة من كتم العلم، أخبر به عند موته أنه يخشى أن يموت وما أخرج هذا. لا إله إلا الله. ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُواْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أنكروا الكلمة ورموا النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر أنه شاعر وبالجنون ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالحق الذي هو لا إله إلا الله، وصدق المرسلين الذين أتوا قبله. يرمون النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون لزهده في الدنيا وإقباله على الآخرة فظنوا أنه مجنون، لو كان مجنونا لاشتغل بما يشتغلون به وأحب ما يحبون ﴿إِنَّكُمْ

---

1 - أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري: عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ بن جبل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلوا، وأخبر بها معاذ عند موته تأثما. صحيح البخاري: كتاب العلم/ من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا (128). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (47). قال ابن حجر في فتح الباري تعليقا عليه:... والمراد بالإثم الحاصل من كتمان العلم، ودل صنيع معاذ على أنه عرف أن النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحريم، وإلا لما كان يخبر به أصلا، أو عرف أن النهي مقيد بالاتكال فأخبر به من لا يخشى عليه ذلك، وإذا زال القيد زال المقيد، والأول أوجه لكونه أخر ذلك إلى وقت موته..

لَذَائِقُواْ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ المؤمنين ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ﴾ جمع فاكهة ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ بثواب الله ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِن مَّعِينٍ﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء ﴿بَيْضَاءَ﴾ أشد بياضا من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنّها كريهة عند الشرب ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ يأخذهم الصداع أو السكر ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن ﴿عِينٌ﴾ ضخام الأعين حسانُها ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ بيض نعامة ﴿مَّكْنُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ صاحب ينكر البعث ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيتا ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ محاسبون ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ قال لأصحابه اطلعوا معي إلى النار حتى ننظر حالة أخي هذا فامتنعوا هم ﴿فَاطَّلَعَ﴾ هو ذلك القائل من بعض كوى الجنة ﴿فَرَءَاهُ﴾ رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار ﴿قَالَ﴾ له تشميتا ﴿تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾ لتهلكني بإغوائك ﴿وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّي﴾ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في النار معك فيقول أهل الجنة ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إِلاَّ مَوْتَتَنَا الْأُولَى﴾ يؤتى بالعبد أقام في التنعم في الدنيا مدة فيصبغ في النار صبغة واحدة فيقال له هل مر عليك نعيم قط؟ فيقول لا. ويؤتى

برجل أشد أهل الأرض بؤسا، فيصبغ في الجنة صبغة واحدة فيسأل هل مر عليك بؤس قط؟ فيقول لا[1]. لما تنعم أهل الجنة بالجنة يتساءلون: نحن هكذا دائما في هذا النعيم المقيم؟ لا نموت أبدا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لا نرى عذابا من شدائد الحياة ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذكر لأهل الجنة ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ قال الله ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ أَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ الجنة وما فيها من النعيم خير أم الزقوم المعدة لأهل النار؟ وهي أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله في الجحيم عذابا لأهل الجحيم ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين من أهل مكة ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ قعر جهنم ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات القبيحة المنظر ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ الكفار ﴿لَآكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدة جوعهم ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار يشربونه ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ بعدما شربوا وأكلوا هذا يرجعون إلى النار فقط. قال أبو جهل: محمد يوعدكم بنار تأكل الحجارة ويدعي أن شجرة تنبت في تلك النار، وذهب إلى جارية له وقال لها: إذا قلت لك آتني بزقوم فأتني بتمر ملين معه العسل والزبد، فصنعت هذا، فقال زقميني، فجاءت

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط. صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤسا في الجنة (5021). وفي لفظ ابن ماجه: (...فيقال اغمسوه غمسة...) سنن ابن ماجه : كتاب الزهد / باب صفة النار(4312).

بهذا[1]، قال: هذا الزقوم الذي يوعدكم به محمد. الله تبارك وتعالى قال إن هذا فتنة سينكرون هذا ويشتد عذابهم ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ عَلَى ءَاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ يزعجون ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ من الرسل ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ المؤمنين ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ نوح دعا ربه "رب إني مغلوب فانتصر" ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ نحن ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ بعد نوح ما ولد مولود إلا من أولاد نوح: سام هو أبو العرب وفارس والروم، وحام هو أبو السودان، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ ثناء حسنا ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ من الأنبياء إلى يوم القيامة ﴿سَلاَمٌ﴾ منا ﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ﴾ من شيعة نوح إبراهيم ﴿لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أتى إلى الله بقلب سليم من الشك والشرك ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ما الذي تعبدون؟ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ إيهاما لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ سأسقم غدا لا يمكنني الحضور معكم لعيدكم ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ فَرَاغَ﴾ مال ﴿إِلَى ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنام ﴿فَقَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ﴾ والأطعمة موضوعة تحت الآلهة ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ﴾ فلم تتكلم الآلهة ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ فأخذ فأسا فحطم الآلهة كلا بقوة ﴿فَأَقْبَلُواْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ يسرعون ﴿قَالَ﴾ موبخا ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها

---

1 - ذكره القرطبي ج85/15.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ الله خلقكم وخلق آلهتكم ﴿قَالُواْ ابْنُواْ لَهُ بُنْيَانًا﴾ فاملأوه حطبا وأضرموه بالنار فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة ﴿فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ المقهورين، فخرج من النار سالما ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ مهاجر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى حيث أمرني ربي فذهب إلى الشام فلما وصل إلى بيت المقدس قال ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولدا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ذي حلم ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ بأن بلغ سبع سنين أو ثلاث عشرة سنة، وهذا الولد إسماعيل ﴿قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّيَ أَرَى﴾ رأيت ﴿فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ ماذا ترى من الرأي، شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر ﴿قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ذلك فصبر ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خضعا لله تبارك وتعالى ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه على جبينه ووضع السكين في حلقه فلم تعمل شيئا ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَّاإِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا﴾ بما أتيت من العمل. أراد أن يوثقه، قال له يا أبت لا توثقني لئلا يظن الملائكة أني كاره للذبح خلني فقط أضطجع لنفسي، فاضطجع، فوضع إبراهيم السكين وأراد القطع فلم تعمل قال له: أنت تنظر إلي لعلك تُغمض عينيك لتقدر على أن تذبحني، فذبح فلم تعمل السكين[1] قال له: اطعن بالسكين ذلك أشد تأثيرا ففعل فلم تعمل شيئا فغضب إبراهيم على السكين، قالت السكين: الخليل يأمرني بقطع الحلق والجليل يأمرني بأن لا أعمل شيئا وكيف أقطع حلقا جبين صاحبه يتلألؤ فيه نور محمد صلى الله عليه وسلم؟

---

1 – قاله القرطبي ج102/15، ونقل ابن كثير عن السدي وغيره أنه أمرّ السكين على رقبته فلم تقطع شيئا بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودي إبراهيم عند ذلك "قد صدقت الرؤيا" ج17/4.

هنالك ناداه الله تبارك وتعالى: أن قد صدقت الرؤيا ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ﴾ الاختبار الظاهر ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ﴾ كبش ﴿عَظِيمٍ﴾ من الجنة وهو الذي قربه هابيل وكان في الجنة تلك المدة فأوتي به أعظم من الفيل فذبحه السيد إبراهيم مكبرا يوم النحر فلهذا بقي سنة إلى يوم الدين ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنا ﴿سَلاَمٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ هذا الدليل على أن الذبيح إسماعيل، قص قصة الذبح وبعد ذلك بشر بإسحاق ﴿نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بالنبوة ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ استعباد فرعون إياهم ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ على القبط ﴿فَكَانُواْ هُمُ الْغَالِبِينَ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ التوراة ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ سَلاَمٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ هو ابن أخ هارون أرسله الله إلى قوم بعلبك ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلاً﴾ يعبدون صنما اسمه بعلا، البعل هو اسم الصنم، صانعه يقال له 'بك'، بعل بك: صنم بَكّ ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلاَمٌ عَلَى ءَالِ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ هو حي إلى يومنا هذا، لما أنذر قومه كذبوه وكان ملك زوجته تتحكم عليه، وهنالك رجل يملك بستانا لا مثل له، فأحبت المرأة أن تتملك البستان وكان من عادتهم أن من سب الملك يقتل، فطلبت شهودا يشهدون بالزور أن صاحب البستان سب الملك، فجاء الملك وقالت المرأة إن فلانا

سبك فأقامت عليه شهادة الزور فقتلوه وأخذوا البستان، فجاء إلياس وقال لهم: إن الله غضب لما فعلتم لوليه قتلكم له بشهادة الزور وأخذكم بستانه، فهددوه بالقتل[1]، فلما أرادوا أن يقتلوه هرب منهم، عادة الأنبياء إذا رأوا شيئا لا يطيقونه يخرجون للهجرة فخرج إلى فلاة ودخل مغارة ومكث سبعة أعوام لم يقدروا له على شيء كما وقع لأصحاب الكهف، فبعد ذلك أوحى الله إليه أن اخرج إلى المحل الفلاني وكل ما وجدت هنالك فاركب عليه ولا تخف[2]، فجاء ووجد فرسا من نار سرجه من نار ولجامه من نار فركبه فطار به، إلى يومنا هذا يلتقي مع الخضر في الحج كل عام كلهما يحلق الآخر فيتفرقان على ما شاء الله إلى العام القادم[3]. هذا إلياس ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿الْآخَرِينَ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ السفينة ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ المغلوبين بالقرعة فألقى نفسه في البحر ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ آت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه ﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾

---

1 – ذكره الخازن ج4/25.

2 – خروج نبي الله إلياس عليه السلام وركوبه ما هيئ له بأمر الله، ذكره القرطبي ج15/115.

3 – جاء في الدر المنثور للسيوطي: أخرج العقيلي والدارقطني في الإفراد وابن عساكر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يلتقي الخضر عليه السلام وإلياس كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله. الدر المنثور ج5/434.

الذاكرين الله كثيرا فقال في بطن الحوت "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ القصتان الأخيرتان ما ختمتا كما ختمت القصص قبلهما، كل قصة من هذه القصص يقال "سلام على نوح في العالمين" "سلام على إبراهيم" "سلام على موسى وهارون" "سلام على آل ياسين" ولكن ما جاء سلام على لوط ولا سلام على يونس لأنّهما لم يكونا من أولي العزم من الرسل ما صبرا للأمر بل ظهر منهما الجزع فلهذا أتى مقامهما دون مقام من قبلهما. اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

الدرس الثالث والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين يوما أو أربعين يوما[1] ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليل كالفرخ الممعط[2]. لما مكث يونس نبي الله في بطن الحوت إلى الليل أو إلى المدة التي علم الله، سمع تسبيح الحيتان في البحر فسبح فقال: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فأمر الله الحوت فنبذه بالعراء. الدعوى الكاذبة ليست فيها فائدة، فرعون يقول "وأنا من المسلمين" دعوى كاذبة والحق يقول "إنه كان عاليا من المسرفين" ويونس عليه الصلاة والسلام تواضع لله فقال "إني كنت من الظالمين" والحق يقول "فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون" جعل نفسه

1- قال ابن حجر في فتح الباري: وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك قال: لبث في بطن الحوت أربعين يوما ومن طريق جعفر الصادق قال: سبعة أيام، ومن طريق قتادة قال: ثلاثا، ومن طريق الشعبي قال: التقمه ضحى، ولفَظَه عشيةً. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: شرح ترجمة باب قول الله تعالى: "وإن يونس لمن المرسلين" إلى قوله: "وهو مليم" من كتاب أحاديث الأنبياء.

2 - قال ابن مسعود رضي الله عنه: كهيئة الفرخ ليس عليه ريش، وقال السدي: كهيئة الصبي حين يولد وهو المنفوس.

من الظالمين وجعله الحق من المسبحين أي الذاكرين الله كثيرا. وهذا الحوت من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة وهي: براق نبي الله صلى الله عليه وسلم دابة من دواب الجنة ستدخل الجنة، وكبش إسماعيل، وعجل إبراهيم أبيه الذي أضاف به الملائكة، وحوت يونس هذا، وحوت موسى الذي تزود به إلى الخضر في ذهابه إلى التربية، وناقة صالح، وهدهد سليمان ونملته[1]. لما كان يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت وحي إلهام إني ما جعلته رزقا لك ولكن جعلت بطنك - بعض الروايات تقول سجنا له – وفي بعض الأحاديث: بيتا له أو مسجدا له[2] وهذا أكمل في الأدب مع الأنبياء، فلما انتهت المدة ألقاه الله إلى الساحل وهو كالفرخ الممعط[3] أي المزال ريشه لمكثه في بطن الحوت ﴿ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾

1 – ويلحق بهذا العدد على اختلاف الروايات كلب أصحاب الكهف وبقرة بني إسرائيل وحمار عزير وناقة محمد صلى الله عليه وسلم وذئب يعقوب. انظره في نزهة المجالس ومنتخب النفائس للعلامة الصفوري ص75.

2 – أخرج الحاكم في مستدركه عن الحسن قال: لما وقع يونس في بطن الحوت ظن أنه الموت فحرك رجليه، فإذا هي تتحرك فسجد وقال: يا رب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يسجد فيه أحد قط. المستدرك: باب سجدة يونس بن متى في بطن الحوت (4179).

3 – قال ابن حجر: روى البزار وابن جرير من طريق عبد الله بن نافع عن أبي هريرة رفعه " لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أمر الله الحوت أن لا يكسر له عظما ولا يخدش له لحما، فلما انتهى به إلى قعر البحر سبح الله فقالت الملائكة : يا ربنا إنا نسمع صوتا بأرض غريبة . قال : ذاك عبدي يونس، فشفعوا له فأمر الحوت فقذفه في الساحل - قال ابن مسعود – كهيئة الفرخ ليس عليه ريش. فتح الباري بشرح صحيح البخاري من كتاب أحاديث الأنبياء / باب قول الله تعالى: "وإن يونس لمن المرسلين" إلى قوله: "وهو مليم".

وهو القرع[1] تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له؛ وكانت تأتيه وعِلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوي[2]؛ القرع هو الدباء، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء في حوالي القصعة، فلم يزل أهل محبته يحبون الدباء من ذلك[3]. فلما قوي جاءت أرضة فقطعت شجرة اليقطين وهو نائم فاستيقظ فإذا هو في الشمس فجزع من قطع اليقطين، أوحى الله إليه يا يونس تجزع من قطع يقطين ولا تجزع من هلاك مائة ألف من البشر ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بعد ذلك كقبله إلى قوم نينوى من أرض الموصل ﴿إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾ بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ أرسله الله إلى الموصل قرية من قرى العراق بنينوى بلد فيها، فآمن به مائة ألف وعشرون ألفا أو ثلاثون

---

1 - جاء في فتح الباري: قوله: (من يقطين: من غير ذات أصل، الدباء ونحوه) وصله عبد بن حميد من طريق مجاهد وزاد: ليس لها ساق، وكذا قال أبو عبيدة: كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ، والمشهور أنه القرع، وقيل التين وقيل الموز، وجاء في حديث مرفوع في القرع "هي شجرة أخي يونس". فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ترجمة باب من كتاب أحاديث الأنبياء هو قول الله تعالى: "وإن يونس لمن المرسلين" إلى قوله: "وهو مليم".

2 - نقل القرطبي وابن كثير وغيرهما من المفسرين عن أبي هريرة رضي الله عنه: هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو هشاش الأرض فتفشج عليه فترويه من لبانها كل عشية وبكرة حتى نبت. القرطبي ج128/15، ابن كثير ج22/4 (الأروية: الوعلة وهي أنثى تيس الجبال الوعل كما في لسان العرب)

3 - أخرج الشيخان عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول إن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه، قال أنس بن مالك: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الطعام، فقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا ومرقا فيه دباء وقديد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة قال فلم أزل أحب الدباء من يومئذ. صحيح البخاري: كتاب البيوع/ باب ذكر الخياط (2092). صحيح مسلم: كتاب الأشربة/ باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين (3803)

أوسبعون ألفا[1] ﴿فَآمَنُواْ فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أبقيناهم ممتعين بمالهم ﴿إِلَى حِينٍ﴾ لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف وآذوه رموه بالحجارة حتى دميت قدماه وليس معه إلا زيد بن حارثة يقيه الرمي حتى أغمي عليه ولم يشعر إلا وهو بقرن الثعالب قريب من مكة جلس هنالك فأتاه ملك قال له أنا ملك الجبال ائذن لي أطبق عليهم الأخشبين – وهما جبلا أبي قبيس وقويقعان– فيهلكون[2]. قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا (اللهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون)[3] عفا عنهم ولم يكتف

---

[1] – أخرج الترمذي في سننه عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى: "وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون" قال: (عشرون ألفا) . سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الصافات (3153). وذكر المباركفوري في تحفة الأحوذي عند شرحه لهذا الحديث نقلا عن الخازن: وقيل يزيدون بضعا وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا. ولابن كثير ج23/4: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا مائة ألف وثلاثين. وقال سعيد بن جبير يزيدون سبعين.

[2] – أخرج الشيخان عن ابن شهاب قال: حدثني عروة أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا. صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة(3231) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين (3352).

[3] – جاء في صحيح البخاري: قال عبد الله كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء/ باب حديث الغار (3477) وفي صحيح مسلم: كتاب الجهاد/ باب

بالعفو اعتذر عنهم أنّهم لم يعلموا، ولم يكتف بهذا دعا لهم بالهداية، فجلس فأتاه غلمان يسعون في بستان آل عبد ياليل بشيء من الخبز فصار يأكل فقال: بسم الله، قال الغلام: عجبا اسم الله في أرض الجاهلية؟ من أين لك أن تذكر الله؟ قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: وأنت من أين؟ قال: أنا من أهل نينوى. قال: قرية أخي يونس. قال: أي قرابة بينك وبين يونس؟ قال: هو نبي الله وأنا نبي الله. فأكب الغلام يقبل قدميه حتى جاء سيده يقول سحرك الرجل في أسرع وقت[1].

هذه قصة يونس ما ختمها بسلام كما كان يختم القصص قبل يونس لأنه دونَهم في المرتبة. هؤلاء أولو العزم من الرسل نوح، إبراهيم، موسى.. ولكن تدارك ذلك في آخر السورة وقال "وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" ليرفع أيضا من قدرهم ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة توبيخا لهم ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ فيختصون بالأسنى كيف يكون هذا؟ الله الخالق الفعال لما يريد إن كان له ولد يكون ذكرا لا يكون بنتا وأنتم المربوبون عندكم الأبناء والله يكون عنده البنات؟ هذا ما يمكن. ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلاَئِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ من أخبرهم أن الملائكة إناث؟ هم ليس لهم صور، أشكال روحانية لم يتلونوا ولم يتشكلوا ولم يتشخصوا، كيف يكون فيهم ذكورة وأنوثة ﴿أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ

غزوة أحد (3347) وجاء في نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري بعد ذكر ما كان من أهل الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم برسالة من الله جل ذكره وقال: إن الله أمرني أن أطيعك في قومك لما صنعوه معك فقال عليه السلام: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) قال جبريل: صدق من سماك الرءوف الرحيم. نور اليقين ص67.

1 – راجع تفصيل القصة في دلائل النبوة للبيهقي ج159/2، وفي نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ محمد الخضري ص67.

إفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ﴾ كذب فقط قولهم إن الله له بنات هن الملائكة ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ كيف يختار البنات على البنين؟ هذا الحكم فاسد، الابن أكمل من البنت، البنت عورة، الله لو كان يتخذ ولدا لاتخذ ولدا ذكرا ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولدا؟ لا ﴿فَأْتُواْ بِكِتَابِكُمْ﴾ التوراة فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم ﴿وَجَعَلُواْ﴾ المشركون ﴿بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ بقولهم إنّها بنات الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ القائلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار يعذبون فيها ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا ﴿إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ المؤمنين فإنّهم ينزهون الله تبارك وتعالى عما يصفه هؤلاء ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ على معبودكم ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ بمضلين لا تقدرون على أن تضلوا أحدا ﴿إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ إلا من أراد الله أن يكون من أهل الجحيم. إن الله بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالهداية وليس له من الهداية شيء، ولو كانت الهداية في يده لما كفر أحد وبعث إبليس مضللا وليس له من الإضلال شيء، لو كان له شيء من الإضلال لما آمن أحد، ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء[1]، وإبليس ليس له من الأمر شيء كالنبي ليس له من الأمر شيء، أنزل الله تبارك وتعالى في حق النبي "ليس لك من الأمر شيء" صونا لإيمان أمته عن أن يقعوا في مثل ما وقع فيه النصارى واليهود. فاليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارى قالوا المسيح ابن الله، والرسول صلى الله عليه وسلم أجل منهما قدرا وأبهر آيات ولكن

1 – جاء في الجامع الصغير قوله صلى الله عليه وسلم: (بُعثت داعيا ومبلغا وليس إلي من الهدى شيء، وخلق إبليس مزينا وليس إليه من الضلالة شيء) رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل كلاهما عن عمر. الجامع الصغير/ رقم الحديث: 3153 وقد تقدم في الدرس12.

الله يصرح على رؤوس الأشهاد "ليس لك من الأمر شيء" فلهذا عصم الله هذه الأمة ما ادعوا الألوهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمون أنه على جلالة قدره سيد البشر، سيد ولد آدم وسيد الخلق أجمعين ولكنه عبد لله، ﴿وَمَا مِنَّا﴾ هذا خطاب يحكيه الله عن جبريل قال جبريل "وَمَا مِنَّا" معشر الملائكة ﴿إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ في السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أقدامَنا في الصلاة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزهون لله ﴿وَإِن كَانُواْ﴾ الكفار ﴿لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ كتابا ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ مخلصين العبادة له. الملأ الأعلى الملائكة يسألون الله تبارك وتعالى كما يسأله أهل الأرض وهو ليس له مكان، ومَن تحت سدرة المنتهى لم يتجاوزوا سدرة المنتهى والذين فوق سدرة المنتهى لم يتجاوزوا سدرة المنتهى إلى ما تحتها فكلهم سواء في الجهل بالله تبارك وتعالى لأنه ليس له مكان ﴿فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي "لأغلبن أنا ورسلي" أو ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا﴾ المؤمنين ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ يغلبون الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة. الحق منصور، وأهل الحق منصورون، يغلبون بالحجة ويغلبون بالانتصار، وإن لم يكن ظاهرا فهو باطن، مثاله الآن المسلمون أضعف الناس اليوم بالنظر إلى ظواهر الأشياء، أقل علما وأقل مالا وأقل سلاحا وأقل استعدادا، وهم في راحة البال لا يخافون شيئا والدول الكبرى على ما جمعت من السلاح والذخائر والاستعدادات والأموال هم في خوف من المسلمين دائما، يخافون أن المسلمين سيقعون عليهم ويدمرونَهم، يخافونَهم ولا يخافونَهم هذا غاية في الانتصار، غاية في الغلبة ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أعرض عِن كفار مكة ﴿حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بِهم العذاب

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء بالنبي متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديدا لهم ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم ﴿فَسَاءَ﴾ بئس صباحا ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، قال النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى خيبر بالجيش (الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)[1] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كرر تأكيدا لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين. آية يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى فليكن آخر كلامه "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين")[2]

---

1 – أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال صبحنا خيبر بكرة فخرج أهلها بالمساحي فلما بصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر خربت خيبر "إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين") فأصبنا من لحوم الحمر فنادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس. كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر (4198) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب غزوة خيبر (3361).

2 – جاء في تفسير القرطبي ج15/ 141: قال الماوردي روى الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم "سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" ذكره الثعلبي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا.

سورة ص

مكية ست أو ثمان وثمانون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صۤ ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ البيان أقسم بالقرآن وجواب القسم محذوف، ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة، كذبٌ هذا ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿كَمْ﴾ كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَواْ﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ ليس الحين حين فرار. استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا ملجأ، و لم لم يعتبر كفار مكة بهؤلاء ﴿وَعَجِبُواْ أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم بالنار بعد البعث وهو النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ أي قالوا ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ هكذا وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم – ما أجهلهم به – ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ الكذب هاهو محمد جعل الآلهة إلها واحدا حيث قال لهم قولوا: لا إله إلا الله ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ عجيب كون الآلهة واحدا ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب ﴿أَنِ امْشُواْ﴾ يقول بعضهم لبعض امشوا ﴿وَاصْبِرُواْ عَلَى ءَالِهَتِكُمْ﴾ اثبتوا على عبادة آلهتكم ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلَاقٌ﴾ كذب. سبب نزول هذه الآية أنه اجتمع رؤساء قريش أبو جهل بن هشام، عتبة والوليد وشيبة وأبو البختري وأبي بن خلف والوليد بن المغيرة وتشاوروا فيما بينهم قالوا: يقبح بنا أن يهلك أبو طالب فنقتل محمدا بعده، ونحن

لا نصبر على ما يقول محمد، يسب آلهتنا ويسفه عقولنا وعقول آبائنا، نجتمع إلى أبي طالب فيصالح بيننا وبين محمد، قالوا هذا رأي حسن فأتوا إلى أبي طالب قالوا له: أنت شيخنا وأنت الآن مشرف على الموت ونخاف أن تموت فنقتل محمدا بعدك فتتحدث العرب أننا تركنا محمدا حتى مات أبوه فقتلناه، ونحن لا نصبر على ما يقول محمد، أصلح بيننا قبل موتك، الرجل ما حمله على هذا الذي يدعو الناس إليه إلا حب الرئاسة والمملكة فقط، نملكه فينا يكون هو ملكنا ويترك هذا، إن كان يحب المال نجمع أموالنا كلا وندفعها له حتى يكون أغنى الناس، إن أحب شيئا من النساء نجمع له النساء الجميلات كلا ويترك هذا. أرسل أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء، فلما جاء كرروا هذه السخافة بين يديه، فلما فرغ أبو جهل من كلامه وهو المتكلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: أوَ شيء غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: كلمة واحدة إذا قلتموها دانت لكم العرب وأدت لكم العجم الجزية، قال أبو جهل: هات بِهذه الكلمة نقولها ونضيف إليها عشرا أمثالها نحن نحب هذا. قال: قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله[1]. قالوا قل شيئا غير هذا، يا

---

1 - أخرج الترمذي في سننه: عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وعند أبي طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه وشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك قال: (إني أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية) قال: كلمة واحدة؟ قال: (كلمة واحدة) قال: (يا عم قولوا لا إله إلا الله) فقالوا: إلها واحدا "ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق" قال: فنزل فيهم القرآن "ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق" إلى قوله: "ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق". سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة ص (3156). وجاء في رواية لأحمد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا عم إني إنما أريدهم على كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية) قالوا: وما هي نعم وأبيك عشرا قال: (لا إله إلا الله) قال: فقاموا وهم ينفضون ثيابهم

محمد تأمل نحن الآن في مكة عندنا ثلاثمائة وثلاثة وستون إلها وحوائجنا إلى الآن لم تقض فكيف تدعونا إلى إله واحد؟ إذا نضيع. قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينكم إلا هذه الكلمة فقط، فتفرقوا، فقال أبو طالب: يا محمد هؤلاء يحبون الصلح معك حيث قبلوا لك هذا كلا يجعلونك ملكا يعطونك الأموال يزوجونك بالنساء هلا اصطلحت معهم؟ بكى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: والله لو أن الشمس وضعت في يميني والقمر وضع في شمالي ما تركت هذا الذي أقول إنما أمرني به ربي، قال له أبو طالب: فاصدع بما تومر،

[والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا][1]

فحاصروهم في شعب أبي طالب ثلاث سنوات لا يعاملونهم في شيء وأبو طالب يقول:

[ونسلمه حتى نصرع حولــه ونذهل عن أبنائنا والحلائل][2]

وهم يقولون: "أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب" قال: ثم قرأ: حتى بلغ " لما يذوقوا عذاب" مسند أحمد: ومن مسند بني هاشم/ (3244). وقد ذكر الطبري في تفسيره القصة مفصلة لكنه أوردها في سورة الإسراء عند الآية "أو يكون لك بيت من زخرف".

1 - أورده البيهقي في دلائل النبوة ضمن أبيات لأبي طالب ذكرها في باب قوله تعالى: "يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...الآية ج437/1، والأبيات أوردها كذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: "وهم ينهون عنه وينأون" ج406/6، مع اختلاف يسير بين الروايتين وهي حسبما ذكره القرطبي:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي فلقد صدقت وكنت قبل أمينا
وعرضت دينا قد عرفت بأنه من خير أديان البرية دينـــا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك يقينا

2 - جاء في فتح الباري ذكر هذا البيت ضمن أبيات من قصيدة لأبي طالب:

أي لا نسلم محمدا. فلهذا لما صُرع عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب يوم بدر وحمل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سكرات الموت، يقول إن كان أبو طالب قال هذا البيت فأنا الذي عملت به أنا أحق من أبي طالب ببيته[1]. وخرجوا من مجلس النبي وهم يقولون «امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق» ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ هذا أبو جهل يقول كيف يكون محمد نبيا ولا أكون أنا نبيا؟ نحن بيتانا كفرسي رهان منذ زمن لا يكون فيكم شيء من السيادة إلا وفينا مثله، واليوم قام واحد من بني

قال ابن حجر: ذكرها ابن إسحاق في السيرة بطولها، وهي أكثر من ثمانين بيتا، قالها لما تمالأت قريش على النبي ونفروا عنه من يريد الإسلام، أولها:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم   وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والأذى   وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

ويقول فيها:

كذبتم وبيت الله نبزى محمدا   ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسلمه حتى نصرّع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فتح الباري بشرح صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (1009).

1 - أخرج الحاكم في مستدركه: عن ابن شهاب قال: اختلف عتبة وعبيدة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلي على عتبة فقتلاه واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قطعت رجله ومخها يسيل، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ألست شهيدا يا رسول الله؟ قال: «بلى»، فقال عبيدة: لو كان أبو طالب حيا لعلم أنا أحق بما قال منه حيث يقول:
ونسلمه حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل
مستدرك الحاكم: كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم/ باب ذكر حديث المبارزة (4913).

هاشم يقول إنه نبي ونحن ليس لنا نبي هذا لا يمكن[1] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ وحيي ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ الحقيقة أن العذاب ما نزل فيهم بعد، ولو ذاقوه لصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ أم خزائن الله بيدهم الآن حتى يقسموا النبوة كيف شاءوا، إن كان محمد نبيا لابد أن يكون نبي آخر في بيت آل مخزوم؟ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ الموصلة إلى السماء إن كان أبو جهل يقول هذا فليأخذ سلما ويصعد إلى السماء ويأخذ الوحي، إذا جاء بوحيه فليقسمه كيف شاء، إن لم يمكن هذا فالوحي بيد الله وهو لا يريده إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ﴾ جند ذهب إلى هنالك يكون مطرودا ﴿مِنَ الْأَحْزَابِ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيسا للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية إن كذب هؤلاء وأعرضوا فلا يهمك، هذه عادة الكفار مع جميع الأنبياء، كذبوا نوحا قبلك ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ الغيضة وهم قوم شعيب ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ إِن كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم، لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ وَمَا يَنظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَؤُلَاءِ﴾ كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ وهي نفخة القيامة تحل بهم العذاب ﴿مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ إذا أتى ليس لهم رجوع ﴿وَقَالُوا﴾ لما نزل "فأما من أوتي كتابه بيمينه" لما نزلت هذه الآية أتوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم عتبة جاء إلى النبي قال: ربك يعطي كتابا للعذاب

---

1 – جاء في دلائل النبوة للبيهقي عن الزهري أن أبا جهل قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب كفرسي رهان قالوا: منا نبي ياتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذه والله لا نومن به أبدا ولا نصدقه. دلائل النبوة ج453/1.

وكتابا للجنة؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: نعم، قال: آتني كتابي للنار الآن ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ادفع لنا الآن قرطاسا نذهب نأخذ نصيبنا من العذاب قبل يوم الحساب استهزاء قال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ سيرون عاقبة أمرهم ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ تذكر قضية داود كان قويا في العبادة كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه[1] أيضا ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى مرضاة الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ لكثرة عبادته سخر الله الجبال كلما سبح سبحت الجبال معه ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ وقت العشاء ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ وقت الضحى وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها، وقت الإشراق وقت صلاة الضحى. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى الصبح في جماعة وجلس في مقعده يذكر الله تبارك وتعالى حتى تطلع الشمس كانت له مثل أجر حجة وعمرة تامة تامة)[2] هذه الجلسة فقط. هذا وقت صلاة الضحى، قال ابن مسعود في القرآن صلاة الضحى ولكن لا يستخرجها

---

1 - أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام وأحب الصيام إلى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما). صحيح مسلم: كتاب الصيام/ باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا (1969)، وفي صحيح البخاري: كتاب الجمعة/ باب من نام عند السحر (1131).

2 - أخرج الترمذي في سننه: عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صلى الغداة في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تامة تامة تامة). سنن الترمذي كتاب الجمعة/ باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح (535). وقد تقدم في الدرس 21.

إلا الغواصون هي في هذه الآية "يسبحن بالعشي والإشراق"[1] الإشراق إذا طلعت الشمس حتى ترتفع قدر قيد رمح - اثني عشر شبرا - روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح ثماني ركعات في بيت أم هانئ[2] وقال: (من صلى وقت الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربع ركعات كتب من العابدين، ومن صلى ستا لم يكتب عليه ذنب ذلك اليوم كله، ومن صلى ثماني ركعات كتب من القانتين، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة)[3] هذه صلاة الضحى. يكره النوم في تلك الساعة والحديث في شؤون الدنيا بل هذا وقت ذكر الله حتى أن تلاوة القرآن في هذا الوقت أفضل منها ذكر الله حتى تطلع الشمس والصلاة ممنوعة في تلك الساعة، هذه ساعة الذكر فقط، هي ساعة الأوراد، أهل الأوراد يشتغلون بالأوراد في ذلك الوقت فإذا ارتفعت الشمس صلوا صلاة الضحى ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿الطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ﴾

---

1 - جاء في الدر المنثور: أخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: طلبت صلاة الضحى في القرآن فوجدتها "بالعشي والإشراق" ج151/7.

2 - أخرج الشيخان عن ابن أبي ليلى قال: ما أنبأنا أحد أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى غير أم هانئ ذكرتْ أن النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة اغتسل في بيتها فصلى ثمان ركعات، فما رأيته صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود. صحيح البخاري: كتاب الجمعة / باب من تطوع في السفر في غير دبر الصلاة (1176) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب استحباب صلاة الضحى (1177)

3 - عن عبيد بن عمير قال: قلت لأبي ذر: أوصني، فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال: من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلى أربعا كتب من العابدين، ومن صلى ستا لم يلحقه ذلك اليوم ذنب، ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة بنى الله تبارك وتعالى له بيتا في الجنة. (ابن جرير). كنز العمال/ صلاة الضحى(23442).

من الجبال والطير ﴿لَهُ أَوَّابٌ﴾ رجّاع إلى طاعة الله تبارك وتعالى بالتسبيح ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قويناه بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَءاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوة أو الإصابة في الأمور. الحكمة ذكر الله أنّها خير كثير، قال "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" وقال "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا" الحكمة معرفة الله تبارك وتعالى. الحكمة العلم المأخوذ من الله بلا واسطة وصاحبه لم يكن نبيا، الحكمة رمي يقصد قلب العبد والرامي هو الله. والخطأ ما يمكن فإذا حلت الحكمة في قلب عبد – وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت الحكمة من قلبه وعلى لسانه)[1] – إذا حلت الحكمة بقلب العبد ينطق بإذن من الله أو ينطق بالله، فالله هو النافع، إذا جاء النطق من قبل الله كل من سمع هذا النطق ينتفع به حتى القائل لأنه خارج من النافع وإن كان من غير الله لا يكون له هذا الأثر. الكلام إذا خرج من القلب دخل في القلب وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان. الأنبياء الحكمة عندهم النبوة وغير الأنبياء الحكمة عندهم العلم بالله – معرفة الله – العلم المأخوذ عن الله بلا واسطة إن لم يكن نبوة فهو الحكمة، كان صوفي شاب صغير جلس في مسجد والناس يستمعون لقراءة عبد الرزاق فاعتزلهم هو قيل له: ألا تستمع للدرس؟ قال: أنتم تسمعون من عبد الرزاق وأنا أسمع من الرزاق، تأخذون العلم عن ميت عن ميت عن ميت وأنا آخذ العلم من العليم الخبير لا حاجة لي في سماع دروس عبد

1 – أورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ (من أخلص لله أربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) رقم 8361. وفي الحلية لأبي نعيم عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من عبد يخلص العبادة لله أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه). ج60/10. وقد تقدم في الدرسين 3 و 19.

الرزاق[1]. هذه هي الحكمة ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ البيان الشافي في كل قصد ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَؤُاْ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ الْمِحْرَابَ﴾ هل تعرف هذه القصة؟ تسوروا محراب داود أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة، أي خبرهم وقصتهم، كان داود في محرابه يصلي وحوله ثلاثون ألف جندي يحرسونه فجاء خصمان فطردهما العساكر فأتوا وتسوروا المحراب ودخلوا من فوق على داود ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنَّهم أتوا إتيانا غير مألوف ﴿قَالُواْ لاَ تَخَفْ خَصْمَانِ﴾ ليس هناك ما يوجب الخوف نحن خصمان جئنا لتحكم بيننا فقط. زلت قدم المفسر هنا أيضا في حق نبي الله داود فذكر قصة أخذت من الإسرائيليات من افتراءات اليهود ولا أصل لهذه القصة أبدا، كذبٌ، ولكن المفسر سطرها هنا قال: على ما وقع منه وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بِها، ليس هذا حقا، إنما تذكر الإسرائيليات: «أن داود عليه الصلاة والسلام كان له تسع وتسعون امرأة هذا صحيح، فدخل عليه طير جميل فأتبعه بصره فانتقل الطير فتبعه داود حتى دخل في بيت أوريا فرأى امرأة أوريا فإذا هي جميلة فأحبها داود ـــ هذا كلام أعداء الله ـــ فأحبها داود وأوريا كان من وزرائه فدعاه وأرسله إلى أرض ليقاتلهم فذهب وكسر تلك البلاد وفتحها وجاء بالغنائم، فأرسله مرة ثانية وثالثة حتى استشهد فلما استشهد تزوج بزوجته فجاء الملكان ينبهانه على هذا الخطإ فقال أحدهما احكم بيني وبين أخي» وهذه القصة كذبٌ من أصلها، ويقصون في آخر القصة قالوا: «لما نبهه الملائكة على زلته بكى كثيرا حتى أنبتت الأرض نباتات من دموعه

---

[1] – روح البيان ج5/433.

فقال الله تبارك وتعالى إنه لا يغفر له حتى يسمح له أوريا فذهب إلى قبر أوريا فدعاه فأحياه الله وقال له أرجوك أن تسمح لي قال سامحتك ورجع فأُخبر أنه لابد أن يذكر له الخطيئة دعاه أيضا فأجاب قائلا: من يوقظني من نومتي الطيبة؟ من يشغلني عما أنا فيه من النعيم؟ قال: داود نبي الله، قال: ما تريد؟ قال: تسمح لي. قال له: سامحتك، قال داود: تسمح لي أنا لما كنت أبعثك إلى الجهاد كان مرادي أن تقتل حتى آخذ زوجتك. فسكت» هذا كلام أعداء الله كذبٌ كله[1].

الصحيح أن داود عليه الصلاة والسلام كان نصبه الله قاضيا يحكم بين الناس فجاء خصمان كما قال القرآن هكذا فقط في هذه القضية ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ﴾ تجر ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ المفسر يعبر بهذه النعاج بأنّها نساء وأنّها زوجات داود، والصواب أنّها نعاج من البقر فقط – تخاصموا على نعاج من البقر – هذه تسع وتسعون نعجة لأخي ﴿وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ الجدال حتى أخذ مني نعجتي واستكمل بها مائة وبقيت أنا ليس عندي ولا نعجة واحدة ﴿قَالَ﴾ داود ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ ليضمها ﴿إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ﴾ الشركاء ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ وقال المفسر من زلته أيضا: فقال

---

1 – قال القرطبي في تفسيره : وحكى السدي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لو سمعت رجلا يذكر أن داود عليه السلام قارف من تلك المرأة محرما لجلدته ستين ومائة لأن حد قاذف الناس ثمانون وحد قاذف الأنبياء ستون ومائة. ذكره الماوردي والثعلبي أيضا، قال الثعلبي وقال الحرث الأعور عن علي من حدث بحديث داود على ما ترويه القصاص معتقدا جلدته حدين لعظم ما ارتكب برمي من قد رفع الله محله وارتضاه من خلقه للعالمين وحجة للمهتدين ...القرطبي ج181/15.

الملكان وهما صاعدان في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه فتنبه داود. ليس هكذا؛ إنّما قضى بحجة واحدة، تكلم واحد فحكم قبل أن يتكلم الآخر[1]، ليس هذا من آداب القضاء ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ علم أنه افتتن في هذه القضية حيث عجل بالقضاء ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ ساجدا ﴿وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ سأل سيدي علي حرازم الشيخ التجاني رضي الله عنه: ما هذه القضية؟ هذه التي تقول الإسرائيليات. قال الشيخ إن ذلك كله كذب لا أصل له. فقال: ولِم ظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه؟ قال: أهل الله تبارك وتعالى تلك حالتهم دائما ويستغفرون الله دائما تعبدا. قال علي حرازم: ولكن الله قال: "فغفرنا له ذلك" لولا أن هنالك ذنبا ما استغفر وما قال القرآن إنه غفر له، أين هذا الذي غفِر له؟ - هو صالح للتعلم - قال له الشيخ التجاني: أهل حضرة الله تعالى المقربون ليسوا كغيرهم، حسنات الأبرار سيئات المقربين، الذي يعمله الرجل البر الصالح فيكون قربة وحسنة في حقه يفعله المقرب عند الله ويحسبه سيئة، فقال ومثال ذلك أن مريدا كان يسير مع شيخه العارف بالله في فلاة قفر من الأرض لا يسكنها أحد، فأثارت قدم الشيخ حبة من داخل الأرض فأخذها المريد فأكلها، زجره الشيخ: ما حملك على هذا التجاسر تأكل حبة ليست لك لا تعلم من أين؟ فأدبه على هذه القضية. قال ولو كان مسلم صالح فقط رأى حبة في الأرض مبتذلة

---

1 - نقل القرطبي في تفسيره لقوله تبارك وتعالى: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه" قول النحاس: فيقال إن هذه كانت خطيئة داود عليه السلام لأنه قال لقد ظلمك من غير تثبت بينة ولا إقرار من الخصم هل كان هذا كذا أو لم يكن، قال القرطبي فهذا قول وسيأتي بيانه بعد هذا وهو حسن إن شاء الله تعالى، ثم ذكره ضمن ستة أقوال في تفسيره لقوله تعالى: "فاستغفر ربه" فقال: السادس أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر ... ج15/175-180

لرأى أن أكلها قربة، والمريد فعل هذا حسنة والعارف يزجره ويمنعه من مثل هذا، قال هذا مثل داود عليه الصلاة والسلام[1]. الأنبياء معصومون. العصمة للأنبياء والحفظ للأولياء والفرق بين العصمة والحفظ أن المعصوم عاجز عن المخالفة عجزا ذاتيا كما يعجز الإنسان عن الطيران في الهواء لم يقدر. وهذا قبل النبوة وبعدها. فعلى هذا من اتهم أحدا من الأنبياء بزلة أو بمخالفة صغيرة أو كبيرة فقد كفر لأنه لم يعتقد عصمة الأنبياء. والولي محفوظ من شؤم الذنب لا من الوقوع فيه. شؤم الذنب قسوة القلب والإعراض عن الله تبارك وتعالى، وسيئة تورث ذلا وتواضعا لله تبارك وتعالى وانكسارا خير من طاعة تورث تكبرا وعزة واستكبارا. فهم على كل حال لا تقع فيهم قسوة ولا استكبار ولا إعراض عن الحضرة وكل حسنة تورث استكبارا فهي معصية، وكل مخالفة توجب ذلا وانكسارا ورجوعا إلى الله تبارك وتعالى فهي خير. وداود لما حكم في هذه القضية ولم يستمع لكلام الخصم تيقن أن هذه فتنة وأنه تعجل في الحكم، سببه أنهم فاجأوه في المحراب في حالة غير مألوفة. فلما أبرم القضاء استغفر الله تبارك وتعالى وغفر الله له ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (ما تحت قبة السماء إله يعبد مع الله أعظم من هوى متبع)[2]. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك

---

1 – جواهر المعاني ج211/1

2 – أورده القرطبي في الجامع عن أبي أمامة، قال قال أبو أمامة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى). القرطبي ج167/16.

بخويصة نفسك)[1] وهوى النفس أقوى ذلك كله. ليس من الأشياء شيء يقول الله تبارك وتعالى إنه يضلل نبيا إلا الهوى، حتى الأنبياء لو اتبعوا الهوى لأضلهم. قال الله لداود وهو خليفة عن الله «ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله»؛ حتى داود لو اتبع الهوى لأضله عن دين الله. القرآن نص على خلافة داود كما نص على خلافة آدم، وباقي الخلفاء جاء ذكره ضمنا فقط، أول خليفة آدم "إني جاعل في الأرض خليفة" وهو آدم، أول من حمل الأمانة فزع من هذه المهمة حتى تفرقت أجزاؤه: حتى تفرقت حروف اسمه آدم لا حرف يمس الآخر، وداود كذلك لما سمع "إنا جعلناك خليفة في الأرض" تفرقت أجزاؤه حتى تفرقت حروف اسمه داود، لا تجد حرفا يمس الآخر، أمر الخلافة صعب. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ بنسيانهم يوم الحساب أي تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾ عبثا ﴿ذَلِكَ﴾ خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ

---

1 – أخرج الترمذي وابن ماجه في سننهما عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم) قال عبد الله بن المبارك وزادني غير عتبة قيل يا رسول الله: أجر خمسين منا أو منهم قال: (بل أجر خمسين منكم). سنن الترمذي واللفظ له: كتاب التفسير/ باب من سورة المائدة (2984) وفي لفظ ابن ماجه: (فعليك خويصة نفسك) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن /باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم (4004). وقد تقدم في الدرس 15.

الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نُعطَى مثل ما تعطَوْن في الآخرة ﴿كِتَابٌ﴾ هذا كتاب هو القرآن ﴿أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْ ءَايَاتِهِ﴾ دائما يدعونا إلى القرآن ويحرضنا على تلاوة القرآن والتدبر في معاني القرآن والأخذ بالقرآن والعمل به، كتاب كثير البركة ما دام في الدنيا فالمطر ينزل والأرض تنبت النبات والنسل لا ينقطع والخير موجود. وإذا فقد القرآن في الدنيا لم يبق خير على وجه الأرض. تدبروا هذا الكتاب، انظروا في معاني هذا الكتاب ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ﴾ فيه خبر من قبلكم وحكم ما بينكم وخبر ما ياتي بعدكم[1] هو الحبل الذي طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيدينا[2] وهذا يكفي كرامة ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ سليمان ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ وهو ما بعد الزوال ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ الخيل جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر من صفة الجياد ﴿الْجِيَادُ﴾

---

1 - (ألا إنها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم...) طرف من حديث أخرجه الترمذي في سننه من حديث الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه. سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن/ باب ما جاء في فضل القرآن (2831)

2 - (... ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة). من حديث زيد بن أرقم، أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة / باب من فضائل علي بن أبي طالب (4425).

وللطبراني في الكبير عن جابر: (أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا). كنز العمال: الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة(888) تقدم في الدرس 41.

جمع جواد وهو السابق، ذكر المفسر: كان له ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته جهاد العدو عليها فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم لذلك[1] ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ أردت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ الشمس ﴿بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ الخيل فردوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ يمسحها بالسيف ﴿بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يعني ذبحها عن آخرها وتصدق بلحومها؛ هذا تفسير المفسر، ولو أبقى الآية على ظاهرها لكان أنسب لمقام النبي. الحق أنّهم عرضوا عليه الخيل وهو مشتغل بالصلاة فلم يلتفت إلى الخيل وقال «إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ» حب الخير الذي أجده في الصلاة «عَن ذِكْرِ رَبِّي» الخير الصادر عن ذكر ربي «حَتَّى تَوَارَتْ» رجعت الخيل «بِالْحِجَابِ» حتى توارت الخيل في محالها «فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ» فصار يكرمها، فردوا الخيل فصار يمسح بالسوق والأعناق تكريما لها[2]. لو كان كل مسح يكون قتلا لكان "فامسحوا برؤوسكم" أننا نقتل أنفسنا، إنما مسح الخيل فقط تكريما لها هذا هو الصحيح ليس فيه فوات الصلاة ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، زلت قدم المفسر أيضا قال: «وذلك لتزوجه بامرأة هواها – اسمعوا ما يقول ما أجهلهم بالأنبياء – وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان

1 – هو من كلام المفسر جلال الدين المحلي في الجلالين. انظر حاشية الصاوي على الجلالين ج360/3.

2 – ذكره القرطبي عن النحاس ج194/15 وقال الثعالبي: وعن بعض العلماء أن هذه القصة لم يكن فيها فوت صلاة وقالوا عرض على سليمان الخيل وهو في صلاة فأشار إليهم أي أني في صلاة فأزالوها عنه حتى أدخلوها في الإسطبلات فقال لما فرغ من صلاته "أني أحببت حب الخير" أي الذي عند الله في الآخرة بسبب ذكر ربي كأنه يقول فشغلني ذلك عن رؤية الخيل حتى أدخلت إسطبلاتها ردوها علي فطفق يمسح أعرافها وسوقها تكرمة لها أي لأنها معدة للجهاد وهذا هو الراجح عند الفخر. تفسير الثعالبي ج38/4

ملكه في خاتمه فنزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته فجاء جني في صورة سليمان فأخذه منها[1] ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجني وهو صخر جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه، وقال للناس أنا سليمان فأنكروه ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع إلى الله تبارك وتعالى لما رجع إلى الله تبارك وتعالى بعد أيام وصل الخاتم إليه ولبسه وجلس على كرسيه» و ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيَ﴾ سواي ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ قصة سليمان ذكر القرآن أنه فتن سليمان وألقى على كرسيه جسدا وهو الصخر الجني على ما قال المفسر[2]: كان سليمان سر مملكته في خاتمه إذا لبسه تبعه الإنس والجن والطير وإذا نزعه بقي مجرد إنسان فقط، وكان لا يدخل الخلاء بهذا الخاتم ويوم من الأيام نزع الخاتم وأودعه عند زوجته أمينة فدخل الخلاء فجاء جني تشكل بصورة سليمان فطلب الخاتم فدفعته له فلبسه فتبعه الإنس والجن والطير فجلس على كرسيه فرجع سليمان فسألها قالت إنك أخذت الخاتم، فعلم سليمان أن هذه بلية من الله تبارك وتعالى فجلس يتعبد حتى مضى أربعون يوما فطار الجني وألقى الخاتم في البحر فابتلعته

---

1 – قال ابن العربي في أحكامه: وما ذكره بعض المفسرين من أن الشيطان أخذ خاتمه وجلس مجلسه وحكم الخلق على لسانه باطل قطعا لأن الشياطين لا يتصورون بصور الأنبياء ولا يمكنون من ذلك.... نقله الثعالبي في تفسيره ج40/4، ونقل مثله الألوسي في روح المعاني ج199/23 عن أبي حيان فقال: وقال أبو حيان وغيره: إن هذه المقالة من أوضاع اليهود وزنادقة السفسطائية ولا ينبغي لعاقل أن يعتقد صحة ما فيها... وقال النسفي في تفسيره ج39/4 : وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام فمن أباطيل اليهود.

2 – جلال الدين المحلي في الجلالين

سمكة، واشترت زوجة سليمان سمكة لفطوره ، فلما شقت بطن السمكة وجدت الخاتم فغسل فلبسه سليمان وتبعه الإنس والجن فرجع ووجد الجن جمعوا كثيرا من السحر وقالوا إن سليمان كان يشتغل بِهذا ويقهركم به فدفنوا ذلك تحت كرسيه وصرح لهم بالحق. هذا ابتلاء من الله بسلب ملكه مدة أربعين ليلة. أو «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا» هو المولود الذي جاء في شق إنسان «ثم أناب» سليمان كان عنده ألف منكوحة ثلاثمائة حرائر وسبعمائة جواري. أقسم ليلة لآتين الليلة على مائة امرأة كل واحدة منهن تحمل وتاتي بفارس يجاهد في سبيل الله ونسي أن يقول إن شاء الله، لم يقل إن شاء الله، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لو قال إن شاء الله لجاهدوا كلهم في سبيل الله[1]. فوقع على مائة امرأة ولكن ما حملت منهن إلا واحدة ولدت شق إنسان هو الجسد الملقى على كرسيه[2]، ويحكون أن جبريل قال له إذا قلت حقا مرا في نفسك وقالته المرأة وقاله الوزير آصف بن برخيا يتم الولد فقال سليمان: أنا نبي الله وسلطان ملك على جميع الخلائق الإنس والجن والوحوش والطير كلهم تحت يدي ومع ذلك لا يكفيني هذا إذا دخل علي أحد أنتظر ما يُهدِي لي، فنبت ثلث الولد، هذا حق مر في نفسه.

1 – أخرجه الشيخان بروايات عدة، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تلد كل امرأة غلاما يقاتل في سبيل الله. فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فأطاف بهن، ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو قال إن شاء الله لم يحنث، وكان أرجى لحاجته). صحيح البخاري: كتاب النكاح /باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي (5242) وفي صحيح مسلم: كتاب الأيمان/ باب الاستثناء (3126) وفيه "على تسعين امرأة".

2 – ذكره القرطبي نقلا عن النقاش. الجامع لأحكام القرآن ج201/15.

وقالت المرأة: أنا يا نبي الله أنت رسول الله والملك عندك الدنيا وما فيها والله إني لأختار شابا صغيرا فقيرا معدما يكون زوجا لي أختاره عليك، فنبت ثلث ثان. وقال الوزير: وأنا كثيرا ما ياتيني رسول الملك نبي الله يدعوني وربما أتشكى من كثرة دعوته لي فوالله لدعوته لي أحب إلي من الدنيا وما فيها أشكو من كثرة دعواته ولكن لا أمل منها فنبت الولد كاملا. إن كانت هذه القصة صحيحة فنصف إنسان هذا هو الجسد الملقى على كرسي سليمان أو الصخر الجني الذي خلفه في ملكه مدة ابتلائه والكل محتمل. «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ» ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ فلما أكرم الخيل للجهاد وجاهد في سبيل الله، أكرمه الله بالريح غدوها شهر ورواحها شهر، الطائرات هذه أول من ركبها سليمان عليه الصلاة والسلام وتجري بقدرة الله ليس لها مكينة ولا وقود ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ يستخرج اللؤلؤ من البحر ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كل ما أعطى الله سليمان أطلق له الإذن في التصرف كيف شاء إن شاء أعطى وإن شاء منع لا حساب عليه (..)[1]

﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي﴾ بأني ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ ضر ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدبا معه تعالى وقيل له ﴿ارْكُضْ﴾ اضرب

---

1 – هنا سئل مولانا الشيخ عن صلاة العصر هل كانت للأنبياء قبلنا؟ فأجاب بقوله: [كانت لبعض دون بعض، بعض الأمم يصلي المغرب فقط وبعض يصلي العصر فقط وبعض يصلي الظهر فقط، الصلوات الخمس هي التي تخص بنا، سليمان كان له صلاة العصر كما أن لداود صلاة العشاء والضحى]

﴿برِجْلِكَ﴾ الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ تشرب منه فاغتسلَ وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِنَّا وَذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو حزمة من حشيش، كان أقسم أنه سيضرب زوجته مائة ضربة، أمر أن يأخذ حزمة ﴿فَاضْرِب بِّهِ﴾ زوجتك مرة واحدة فتغنيك عن مائة ضربة ﴿وَلاَ تَحْنَثْ﴾ بترك ضربِها فأخذ مائة عود من الأذخر فضربَها به ضربة واحدة فبرئ من حلفه وهذا ليس في شرعنا ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ اختارهم الله ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ باختيار هي ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ الآخرة يتذكرون الآخرة دائما ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خيِّر ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ نبي من الأنبياء تبع إلياس ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل كفل مائة نبي فروا إليه من القتل[1] ﴿وَكُلٌّ﴾ كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ هَذَا﴾ القرآن ﴿ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ مرجع في الآخرة ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حابسات العين على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾

---

1 – ذكر الألوسي الخلاف في نبوته ثم قال: وقيل كان رجلا من الصالحين كان في زمانه أربعمائة نبي من بني إسرائيل فقتلهم ملك جبار إلا مائة منهم فروا من القتل فآواهم وأخفاهم وقام بمؤنتهم فسماه الله تعالى ذا الكفل. روح المعاني ج211/23

أسنانهن واحدة بنات ثلاث وثلاثين دائما[1] أو أربعة عشر دائما ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ بالغيبة والخطاب ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ لأجله ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ انقطاع ﴿هَذَا﴾ الخبر هكذا ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ الْمِهَادُ هَذَا﴾ العذاب ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ ماء حار محرق ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ ما يسيل من صديد أهل النار ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ أصناف من العذاب ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمْ﴾ النار فيقول المتبوعون ﴿لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُواْ النَّارِ قَالُواْ﴾ الأتباع ﴿بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ الكفر ﴿لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ لنا ولكم النار ﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفا ﴿فِي النَّارِ وَقَالُواْ﴾ كفار مكة وهم في النار ﴿مَا لَنَا لاَ نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ فقراء المسلمين مثل عمار وبلال وصهيب وسلمان هؤلاء المساكين ما رأيناهم في النار وهم لا يستحقون الجنة ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا﴾ كنا نسخر بهم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ لعلنا ما رأيناهم فقط ولكنهم في النار ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ﴾ واجب وقوعه ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ سيتخاصمون في النار ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ مخوف بالنار ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْغَفَّارُ﴾ لأوليائه ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ القرآن الذي أنبأتكم به نبأ عظيم ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى﴾ ما كنت عارفا بأمر الملائكة كمثلكم ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم ولكن إن الله تبارك وتعالى أوحى إلي ﴿إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلاَّ أَنَّمَا أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن الإنذار واذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي

---

1 - القرطبي ج15/ 219.

خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ هو آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيا ﴿فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ما يمنعك أن تسجد لآدم الذي خلقته بيدي ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ أنا لا ينبغي مني السجود لآدم لأني أفضل من آدم أنا خير منه لأنك خلقتني من نار والنار من نور وخلقت آدم من طين والطين ظلمة، والنور أفضل من الظلمة فأنا خير من آدم فلا ينبغي أن أسجد له. أورد شبهة وقاس مع وجود النص فأخطأ، هو خلق من مارج من نار، والنار من النور، وآدم من قبضة من تراب، والتراب ظلمانية، والنور أفضل من الظلمة، فقاس أنه لما كانت مادته خيرا فهو خير من آدم الذي مادته مفضولة وكذب عدو الله، أخطأ حيث ظن أن المفضول لا يخرج منه فاضل والله قادر على ذلك. إن فرضنا أن النار أفضل من الطين فالله قادر على أن يخرج من الطين شيئا خيرا مما أخرج من النار وهو الذي وقع، كثيرا ما نرى مفضولا يخرج منه شيء أفضل مما خرج من الفاضل، فالنار خلقت للإفساد فقط، مفسدة دائما بحيث لا تضع فيها شيئا من الأقوات إلا وأفسدته حينا بعكس الأرض إذا وضعت فيها الأقوات تنبتها وتنميها وتربيها حتى تأتي بأضعاف مضاعفة مما وضع فيها، والخلق عيال الله خيرهم أنفعهم لعياله[1]. الأرض إذا أودعتها الحبوب خرجت منها بساتين تحصد أضعافا مضاعفة وتلك

---

1 – (الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير لأبي يعلى في مسنده والبزار كلاهما عن أنس، وللطبراني الكبير عن ابن مسعود. الجامع الصغير ج2/ رقم (4135)

الحبوب لو ألقيتها في النار لأفسدتْها النار في الحين. إذاً التراب خير من النار. وهذا الجنس من النار مارج من نار جبل على الخفة والطيش والتحرك فصار إبليس تبعا لمادته، فيه الخفة والطيش والتحرك فلهذا هلك، بعكس التراب جبل على السكون والرزانة فأمكن أن يكون التراب مستقرا لبني آدم بما فيهم الأنبياء والأولياء والمسلمون، والنار ليست مقرا لشيء من هذا. والتراب محل بيوت الله المساجد وبيت الله الحرام الكعبة بمكة، ولا تجد بيتا من بيوت الله في النار، إذاً التراب أفضل من النار، والتراب مستقر العبادات، فالأنبياء والصالحون ربحوا الآخرة لخدمتهم على الأرض والنار لا يمكن لأحد أن يستقر فيها حتى يعمل لخالقه. والتراب فيها معادن وفيها روضات وجنات وعيون فوارة ينتفع بِها الخلائق؛ ولا ترى روضة ولا بستانا ولا عينا من الماء تسيل من النار. والتراب ذكرها الله في القرآن كثيرا ونوه بقدر الأرض وأمرنا بالنظر في آيات الله في الأرض وعجائبه، وذكر أنه بارك فيها وقدر فيها أقواتَها وهذا عام لجميع الأرض وخصوصا الشام الذي باركنا حوله "إلى الأرض التي باركنا فيها" هذه مخصوصة بالشام، فالشام جزء من الأرض وصف بالبركة، والأرض كلها وصفت بالبركة، والنار لا بركة فيها أصلا بل تمحق البركة، والنار ليس فيها أي فائدة إلا فائدتان ذكرهما القرآن: متاعا للمقوين وتذكرة، إذاَ ذكر القرآن النار إنما يخوفنا بِها فإنّها عذاب، وأما المسافرون في الخلاء ربما يكون لهم متاع من النار. وفائدة النار النضج فقط ربما ننضج طعامنا بالنار فنأكل ليس لها أي فائدة سوى هذه وهذا مع تحفظ وحراسة وقمع شديد لولا ذلك لأفسدت الكل، هي طبعها الإفساد، حتى الطعام الذي صنع بالنار مقصود النار إفساده، ولكن بحيلة بني آدم جعلوا حيلة تمنع النار من إفساد هذا الطعام فيحرسونَها دائما ويكفونَها دائما ولولا ذلك لعملت بطبعها وهو الإفساد. والأرض ذكرها الله تبارك

وتعالى وأثنى عليها ونوه بها وفيها ما ذكرنا من الخيرات فيها القرى وفيها الأمصار وفيها الحيوانات كلهم يعيشون على الأرض في أمن وأمان، والنار لا يدخلها شيء إلا وهلك ولا تتسلط على شيء إلا وأحرقته وأفسدته في أسرع من طرفة العين، فعلى هذا الأرض خير من النار ولو قبلنا أن النار خير من الأرض فالله قادر على أن يخرج من المفضول خيرا ومن الفاضل ما هو دون ذلك. هذا فساد رأي إبليس. ومعصية إبليس بالامتناع من السجود لآدم تضمنت ثلاث معاص فلهذا ذكرها القرآن في كيفيات مختلفة «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» أي ما منعك من أن تعظم ما عظمه الله؟ وقال "ما منعك أن تكون مع الساجدين" خرج من الجماعة أيضا، فالخروج من الجماعة أيضا معصية، ومرة أخرى "ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك" خالف أمر الله وخرج من الجماعة واستخف بشيء عظمه الله تبارك وتعالى فلعن وطرد وهلك.

النفخ جاء في القرآن، نفخ الله في آدم، سوى تلك الطينة ونفخ فيه فصار آدم حيا بعدما كان جمادا، سبحان من صيّر طينة إنسانا يتصرف بنفخة واحدة، ونفخ في الجنين، ونفخ في الطير بنفخ عيسى، ونفخ جبريل في جيب مريم فحملت بعيسى، ونفخ في الصور، نفخ إسرافيل فمات الناس جميعا، هذه الخلائق كلا نفخ واحد أماتهم جميعا كما تطفئ قنديلا فقط يموتون جميعا، ونفخ ثان يبعثون فيه جميعا. سبحان من نفخ في جماد فصار إنسانا يتكلم بلحمة ويبصر بشحمة ويسمع بعظم، ليس القادر على هذا إلا الله تبارك وتعالى ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أراد أن يخدع الحق تبارك وتعالى، إذا عاش إلى يوم القيامة لا يموت أو إن مات لا يحاسب فلا يدخل النار ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة

الأولى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ حتى إبليس يحذر من الكذب، أقسم أنه يغوي بني آدم وهو يعلم أن فيهم من لا يقدر عليه فاستثناهم "إلا عبادك منهم المخلصين" ﴿قَالَ فَالْحَقَّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس ﴿أَجْمَعِينَ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي ﴿إِنْ هُوَ﴾ القرآن ﴿إِلاَّ ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ يوم القيامة.

سورة الزمر

مكية إلا "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم" الآية فمدنية

وهي خمس وسبعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ﴾ الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وهم كفار مكة قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ قالوا إن هذه الآلهة جعلوها وسائط بينهم وبين الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا ﴿لاَصْطَفَى مِمَّا

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ قال المفسرون: من الملائكة أو الحور العين[1] أو قبل ذلك، ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ﴾ يدخل ﴿اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَلَى اللَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الْغَفَّارُ﴾ لأوليائه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ من كل زوج ذكر وأنثى كما في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نطفا ثم علقا ثم مضغا ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ﴾ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ إن أراده من بعضهم فهو لم يرض به ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ﴾ الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ تضرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾ أعطاه إنعاما ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿نَسِيَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُواْ﴾ يتضرع ﴿إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وهو الله ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ﴿أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ هذا نزل في عثمان بن عفان كان يقوم الليل كله ويختم

---

1 – روح المعاني ج19/17

القرآن بركعة واحدة ويسلم[1]، «أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ» وهو عثمان ﴿ءَانَاءَ الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص؟ لا، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ لا، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير مكيال ولا ميزان. لما نزل "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها" قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (رب زد أمتي) فنزلت "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة" أي الحسنة بسبعمائة ضعف، قال: (رب زد أمتي) فنزلت "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة" أكثر من سبعمائة فقال: (رب زد أمتي)[2] فقال «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ» على الطاعة «أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» بغير عدد

---

1 – نقله القرطبي ج239/15 وابن كثير ج48/4 عن ابن عمر وقال ابن كثير: وإنما قال ابن عمر ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضي الله تعالى عنه.

وعن محمد بن سيرين أن عثمان كان يحيي الليل فيختم القرآن في ركعة. لابن سعد، كنز العمال: كتاب الفضائل من قسم الأفعال /باب فضائل ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه (36170). وفي نفس الباب عن عبد الرحمن بن عثمان التيمي وعطاء بن رباح أنه رضي الله عنه أوتر ذات ليلة بكتاب الله عند المقام. الحديثان (36168 و36171)

2 – عن ابن عمر قال: لما نزلت مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل إلى آخرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رب زد أمتي فنزلت: "من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال: رب زد أمتي فنزلت: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" أخرجه ابن حبان في صحيحه: باب فضل النفقة في سبيل الله /ذكر الخبر الدال على أن الله جل وعلا بتفضله قد يضعف المنفق في سبيل الله ثوابه على هذا العدد المذكور (4558). وفي مجمع الزوائد للهيثمي: كتاب

فقال: رضيت بالله رضيت رضيت، جازاه الله عنا خيرا، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ من الشرك ﴿فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ فيه تهديد ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ هذا هو الخسران المبين ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق ﴿مِنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ من النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ ليتقوه ﴿يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ الأوثان ﴿أَن يَّعْبُدُوهَا وَأَنَابُواْ﴾ أقبلوا ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُواْ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ "لأملأن جهنم" ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ تخرج ﴿مَن فِي النَّارِ﴾ لا، ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ وعد الله وعدا ﴿لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾ أدخله أمكنة نبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾ فتاتا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى﴾ تذكيرا ﴿لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾

الزكاة/ باب أجر الصدقة (4623) قال رواه الطبراني في الأوسط. وهو في ابن كثير ج1/ 318. وقد تقدم في الدروس 7 و17.

فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه دل على هذا ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ عن قبول القرآن ﴿أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ نزل لما قالوا يا رسول الله نرجوك أن تحدثنا بأخبار عجيبة وأحاديث حسان قال الله تبارك وتعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ هو القرآن، أحسن حديث يسمع هو هذا القرآن ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضا في النظم وغيره ﴿مَثَانِيَ﴾ ثُني فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أحسن الحديث هو القرآن، والقرآن سماه الله متشابها كله حيث أن بعضه متشابه مع بعض وسماه محكما كله "كتاب أحكمت آياته" فالقرآن كله محكم، وجعله قسمين: محكمات ومتشابهات، محكمات هن أم الكتاب ومتشابهات، قسم محكم وقسم متشابه، والمتشابه لا يعلم معناه إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به، والمحكم هو أكثر القرآن، فيه شيء واضح لا يحتاج للتفسير مثل "قل هو الله أحد" كل أحد يعلم معناه، وهذا كثير في القرآن؛ وفيه شيء يحتاج لمعرفة اللغة العربية والتأويل والتبحر في العلم والحديث والشريعة، فلهذا يفسَّر القرآن، هو كله متشابه وكله محكم وقسم منه محكم وقسم منه متشابه؛ فهو أحسن حديث يسمع، فكان الصحابة إذا اجتمعوا لا يفترقون إلا إذا تلي شيء من القرآن. وكان عمر كلما رأى أبا موسى الأشعري - وكان حسن الصوت - يقول: ذكرْنا ربنا فيتلو وكلهم يخشع وتقشعر جلودهم ويرجعون إلى ذكر الله[1]

---

1 - أخرج الدارمي عن ابن شهاب قال حدثني أبو سلمة أيضا أن عمر بن الخطاب كان إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى فيقرأ عنده. سنن الدارمي: فضائل القرآن/ باب التغني بالقرآن (3357). تقدم في الدرسين13 و41.

«ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَّشَاءُ» ﴿وَمَنْ يُّضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ أَفَمَنْ يَّتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه كمن أمنه الله بدخول الجنة ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ كفار مكة ﴿ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ جزاءه ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾ الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ﴾ المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون ﴿قُرءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ لبس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر ﴿ضَرَبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ متنازعون سيئة أخلاقهم ﴿وَرَجُلاً سَلَمًا﴾ خالصا ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ عبدان واحد له ثلاثة من السادة متنازعون وكلهم سيئ الخلق، إذا قال هذا السيد: اذهب إلى البئر آت بالماء، يقول الآخر: اذهب آت بالحطب، ويقول الثالث: اذهب إلى الزراعة، وكلهم لابد له مما قال، هذا العبد لاختلاف سادته مع أخلاقهم السيئة هل يستوي هو وعبد له سيد واحد إذا أمره بالحطب احتطب واستراح وإذا أمره بالسقي سقى هل يستويان مثلا؟ لا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أهل مكة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾ كذلك المسلم والكافر، المسلم إذا أمر الله بشيء امتثله وإذا نَهى عن شيء تركه، هو في راحة، والكافر تدعوه النفس إلى قتل النفس، إلى شرب الخمر، إلى عمل الفاحشة إلى السرقة إلى كل شيء، والنفس غالبة عليه ولابد أن يطيع نفسه في كل شيء. هذا في شدة دائما وعذاب. الحمد لله على الغلبة في الحجة. ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ سبب نزول هذه الآية قالوا ننتظر محمدا يموت ونستريح، ستموت يا محمد، وإن محمدا سيموت قال الله تبارك وتعالى

«إنك ميت» ستموت كما قالوا ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ القائلون أيضا لا يقولون سيموتون فلا شماتة بالموت، الموت لا شماتة فيه:

من ساءه أو سره ممات فالأنبيا والأوليا قد ماتوا

كل نفس ذائقة الموت ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ لو كانوا إذا ماتوا فقط انتهى الأمر، لسهل الأمر، ولكن الموت معناه القدوم على الله تبارك وتعالى والحساب فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين جميع خلقه.

﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ القرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾ بلى ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ والذي صدق به وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه والصديقون كلا ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ المتقون النبي وكل من صدقه واتبعه ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بإيمانهم ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُواْ﴾ أما الذين صدقوا النبي واتبعوه وهم المسلمون فإن الله تبارك وتعالى سيكفر عنهم جميع سيئاتهم حتى أسوأ السيئات ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ بلى. الله يكفي عبده في كل شيء، الله يقدر أن يكفر عنك أسوأ ما عملت ويجزيك العمل الصالح بأحسن مما عملت أنت بفضله ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ الأصنام يقولون لك يا محمد احذر من أصنامنا ستقتلك أو تخبل عقلك ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ هذا هو الضلال البين ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِي انتِقَامٍ﴾ من أعدائه، بلى. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾ والله إن سألتهم ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ هذا اتفقوا عليه ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ ما تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ لا، ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ﴾ اهتداؤه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ جبار تجبرهم على الهدى. ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الإنسان إذا حل أجله يموت يتوفاه الله بتوفي الملك ﴿وَ﴾ يتوفى ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ وربما توفى الله الإنسان في حال منامه ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أما من مات موتا حقيقيا فيمسكه الله يبقى عنده ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ويوقظ النفس النائمة تعيش إلى أجلها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أن القادر على هذا قادر على البعث «الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت»، النفس سماها القرآن نفسا وسماها روحا وأكثروا في هذا. إن الله قبض أرواحنا متى شاء وردها متى شاء، عبر بقبض الأرواح عن النوم. النفس والروح تكلموا في الفرق بينهما كلاما كثيرا أكثره لا يجدي شيئا. الفرق بين النفس والروح، أن الروح منه النفَس والحركة والنفس التي ربما عُبِّر عنها بالروح ولكن روح حيواني ليس روحا حقيقيا. الروح الحقيقي منه النفَس والحركة ما دام الإنسان حيا فهو يتنفس ويتحرك. والنفس منها التمييز، فالإنسان إذا توفاه الله وفاة حقيقية يقبض نفسه وروحه يموت يبقى ليس فيه نفس ولا حركة، يموت، وإذا توفاه الله وفاة صغيرة تسمى النوم يتوفى النفس يمنعها عن التمييز فقط ولا يمنعها من

النفَس والحركة، تجد النائم يتنفس ويتحرك وهو نائم ولكن لا حسّ له ولا تمييز هذه النفس التي بها التمييز إذا قبضت تكون نائما، وهذه النفس الروح التي إذا قبضت لا يبقى لك نفسَ ولا حركة هي الروح. إذاً النوم موت صغير، فالذي أنامك قادر على إماتتك، والذي أيقظك بعد النوم قادر على أن يبعثك بعد الموت. وقد ذكروا في النوم أحاديث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يزال الملك والشيطان بالعبد حتى إذا حان النوم يقول الملك اختم بخير اختم بخير، ويقول الشيطان اختم بشر اختم بشر)[1] وإذا ذكر الله قبل نومه خنس الشيطان وبات الملك في لباسه يسبح حتى يستيقظ وهذا في حسابه هو. النائم يقول: بسم الله قبل أن ينام، يقول تسابيح النوم، تسابيح النوم الباقيات الصالحات، المعقبات التي خلف الصلاة إلا أن في النوم تبدأ بالتكبير كما في الحديث[2] (الله أكبر الله أكبر الله أكبر

---

1 - أخرج الحاكم في مستدركه: عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أوى أحدكم إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان يقول الشيطان: افتح بشر ويقول الملك: افتح بخير فإن ذكر الله ذهب الشيطان وبات الملك يكلأه وإذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان يقول الشيطان: افتح بشر ويقول الملك: افتح بخير، فإن قال الحمد لله الذي رد إلي نفسي بعد موتها ولم يمتها في نومها، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم الحمد لله الذي يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير، فإن خر من دابة مات شهيدا وإن قام فصلى صلى في الفضائل) كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر/ باب التعوذ عند الفزع (2048). وفي كنز العمال رقم (41306) وفي صحيح ابن حبان: باب ذكر الشيء الذي إذا قاله المرء عند استيقاظه من النوم دخل الجنة (5436) وفيهما: اختم بدل افتح عند النوم.

2 - أخرج البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي أن فاطمة عليها السلام اشتكت ما تلقى من الرحى مما تطحن فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبي فأتته تسأله خادما فلم توافقه فذكرت لعائشة فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك عائشة له فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال على مكانكما حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال ألا أدلكما على خير مما سألتماه إذا أخذتما مضاجعكما

أربعا وثلاثين مرة سبحان الله سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة الحمد لله الحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة) هذا الذي قال الرسول صلى الله عليه وسلم إن من قال هذا قبل نومه وجد من الخير ما لا يجده أحد من خلق الله إلا من فعل مثل ما فعل. هو الذي دفع لفاطمة بنته صلى الله عليه وسلم لما طلبت منه شيئا من السبي قال لها (ما لي وللدنيا)[1] (تكبرين الله أربعا وثلاثين مرة وتسبحين الله ثلاثا وثلاثين مرة وتحمدين الله ثلاثا وثلاثين مرة سيكون لك ما لا يكون لأحد إلا من فعل مثلما فعلت). وإذا نام الإنسان طاهرا وذكر الله آخر ما ذكر دخل الملك في لباسه وصار يسبح الله ويعبد الله والكل يكتب في حساب النائم، وإذا تعارّ في الليل استيقظ في أي وقت ودعا الله استجاب الله دعاءه[2]، وإذا استيقظ بادره الشيطان ابدأ بشر وبادره الملك

فكبرا الله أربعا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين فإن ذلك خير لكما مما سألتماه. صحيح البخاري: كتاب فرض الخمس/ باب الدليل على أن الخمس لنوائب الرسول والمساكين (3113) وفي صحيح مسلم: كتاب فضل الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب التسبيح أول النهار وعند النوم (4906).

1 – أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يدخل عليها وجاء علي فذكرت له ذلك فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم قال إني رأيت على بابها سترا موشيا فقال ما لي وللدنيا فأتاها علي فذكر ذلك لها فقالت ليأمرني فيه بما شاء قال ترسل به إلى فلان أهل بيت بهم حاجة. صحيح البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها/ باب هدية ما يكره لبسها (2613).

2 – أخرج أبو داود في سننه عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يبيت على ذكر طاهرا فيتعار من الليل فيسأل الله خيرا من الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه). سنن أبي داود: كتاب الأدب/ باب في النوم على الطهارة (4385). سنن ابن ماجه: كتاب الدعاء/ باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل (3871).

ابدأ بخير، فإن بدأ بخير يعني ذكر الله وتوضأ وصلى ركعتين أصبح نشطا صالحا للخير، وإذا لم يذكر الله ولم يتوضأ ولم يصل بقيت عقد الشيطان على قلبه فأصبح خبيث النفس كسلان[1]. «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ» يتوفى «الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» وقت النوم «فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ» المذكور «لَآيَاتٍ» دلالات «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا، ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأصنام ﴿شُفَعَاء﴾ عند الله بزعمهم، يقولون إن أصنامهم تشفع لهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَ﴾يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشفاعة ﴿وَلاَ يَعْقِلُونَ﴾ ما عرفوا أنكم عبدتموهم حتى تستحقون عليهم شيئا ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ الشفاعة لله وهو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه، انتزع الله الشفاعة من جميع خلقه فليست إلا لله، إذا ارتضى لعبد أن يشفع فيكون العبد شافعا. وأول من

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهرا.) باب فضل الوضوء/ ذكر استغفار الملك للبائت متطهرا عند استيقاظه (1027).

1 – أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان). صحيح البخاري: كتاب الجمعة / باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل (1142) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح (1295). تقدم في الدرس36.

يشفع المصطفى صلى الله عليه وسلم[1] ثم الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[2]. أبناء الدنيا يفتخرون بأشياء لا تنفع في الشفاعة عند الله تبارك وتعالى: أول ذلك المال، المال لا يشفع عند الله تبارك وتعالى، لو كان المال يشفع لشفع في قارون "فخسفنا به وبداره الأرض" والولد لا ينفع الكافر يوم القيامة ولو كان الولد صالحا، لو كان الولد ينفع لنفع إبراهيم آزر ولكن ما نفعه "يا إبراهيم أعرض عن هذا"، ولو كان الأب ينفع لنفع يعقوب اليهود "فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون"، والفصاحة يفتخرون بها لا تنفع في الشفاعة: "لا يتكلمون إلا من أذن له"، والعزة لا تنفع عند الله، لو كانت تنفع لنفعت أبا جهل: "ذق إنك أنت العزيز الكريم"، والمكر لو كان ينفع لنفع قريشا ما نفعهم: "ومكر أولئك هو يبور"، والمحبة لا تنفع لو كانت تنفع لنفعت أبا طالب: "إنك لا تهدي من أحببت" أحبه المصطفى صلى الله عليه وسلم طبعا، والجمال لا ينفع لو كان ينفع لنفع الروم تسعة أعشار الجمال في الروم وكلهم من أهل النار "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه"، والقرابة لا

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع). صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق (4223). تقدم في الدروس7، 30، 41 و42.

2 – عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) سنن ابن ماجه كتاب الزهد/ باب ذكر الشفاعة (4304). تقدم في الدرس10. وقد جاء في الصحيحين (...فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا...). صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا" (4712) صحيح مسلم: كتاب الإيمان / باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (287).

تنفع "لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم" هناك لا ينفع إلا الإيمان بالله وطاعته والشفاعة ليست إلا لأهل الإيمان وأهل الطاعة جعلنا الله وإياكم منهم "قل لله الشفاعة جميعا" ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ دون آلهتهم ﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ أشد آية، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يظنون ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُون فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿ضُرٌّ دَعَانَا﴾ عادة بني آدم ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾ إنعاما ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ من الله بأني أهل لهذا الذي عندي، أنا علمت أنا علمت، لولا أني علمت ما كان لي هذا. والله هو المعطي حقيقة، سأل جاهل عالما: ما الدليل على وجود الصانع؟ قال له: ذل اللبيب وغنى البليد ومرض الطبيب[1]. الطبيب يمرض لا يعرف ما دواؤه، واللبيب عاقل يأتيه الذل إذا أراد الله، والأحمق الذي لا يصلح لشيء تجده غنيا عنده كل شيء، هذا دليل على قدرة الله تبارك وتعالى. ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ بلية ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كقارون "إنما أوتيته على علم عندي" ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَؤُلاَءِ﴾ قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ

---

1 – ذكره البروسوي في روح البيان ج39/7.

سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين فقحطوا سبع سنين ثم وُسع عليهم ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ سبب نزول هذه الآية أن وحشي قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أراد الإسلام فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم إني أريد الإسلام ويمنعني منه آية في كتاب الله "والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون" فأنزل الله "إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا" فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية إليه، فقال: قال "من تاب وآمن وعمل عملا صالحا" أنا عازم على التوبة ولكن لا أدري هل أعمل عملا صالحا أم لا؟ فنزلت "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم، قال: هو قال "لمن يشاء" وأنا لا أدري هل يشاؤني أم لا؟ فنزلت "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا" فكتب النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية إليه فأسلم[1]. هذه أرجى آية في كتاب الله على ما قال

---

1 – جاء في مجمع الزوائد للهيثمي: وعن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: يا محمد، كيف تدعوني (إلى دينك) وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة، ويخلد فيه مهانا، وأنا صنعت ذلك؟ فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله: "إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات، وكان الله غفورا رحيما" فقال وحشي: يا محمد، هذا شرط شديد، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا، فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله عز وجل: "إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" فقال وحشي: يا محمد، أرى بعد مشيئة، فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله: "يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم" قال وحشي: هذا نعم

العلماء.[1] أخوف آية في كتاب الله "من يعمل سوء يجز به" وأعدل آية في كتاب الله "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" وأحكم آية في كتاب الله "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي" وأرجى آية في كتاب الله «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا» وأعظم آية في كتاب الله آية الكرسي[2]. وأهل البيت يقولون: العلماء والمفسرون يقولون إن أرجى آية «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب

فأسلم، فقال الناس: يا رسول الله، إنا أصبنا ما أصاب وحشي، قال: «هي للمسلمين عامة». مجمع الزوائد للهيثمي: كتاب التوبة/ باب في قوله تعالى "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" رقم (42671). وذكره الخازن في تفسيره ج1/ 367. تقدم في الدروس11 و12 و26 و36.

1 – قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو قبيل قال: سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول: سمعت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم" إلى آخر الآية فقال رجل: يا رسول الله ومن أشرك؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: ومن أشرك، ثلاث مرات.

2 – جاء في تفسير الثعالبي ج4/434-435: قال الداودي بينما عمر بن الخطاب بطريق مكة ليلا إذا ركب مقبلين من جهة فقال لبعض من معه سلهم من أين أقبلوا؟ فقال له أحدهم: من الفج العميق يريد البلد العتيق فأخبر عمر بذلك، فقال أوقعوا في هذا قل لهم فما أعظم آية في كتاب الله، وأحكم آية في كتاب الله، وأعدل آية في كتاب الله، وأرجى آية في كتاب الله، وأخوف آية في كتاب الله؟ فقال قائلهم: أعظم آية في كتاب الله: آية الكرسي، وأحكم آية في كتاب الله: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان.." وأعدل آية في كتاب الله: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"، وأرجى آية في كتاب الله: "إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما" وأخوف آية في كتاب الله: "من يعمل سوء يجز به"، فأخبر عمر بذلك فقال لهم عمر: أفيكم ابن أم عبد؟ فقالوا: نعم وهو الذي كلمك، قال عمر: كنيف ملئ علما آثرنا به أهل القادسية على أنفسنا. وقد تقدم في الدرس 12.

جميعا» ونحن أهل البيت نقول إن أرجى آية "ولسوف يعطيك ربك فترضى" لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرضى وأحد من أمته يدخل النار[1] ﴿وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُواْ أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ القرآن ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ﴾ قبل أن تقول ﴿نَفْسٌ﴾ ندمى ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ جلس النبي صلى الله عليه وسلم يوما حزينا يبكي فأتاه جبريل وقال له: ما يبكيك؟ قال: (أمتي أمتي قال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)[2] وفي رواية أخرى قال: أهل لا إله

---

1 – وفي كنز العمال عن حرب بن شريح قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: جعلت فداك أرأيت هذه الشفاعة التي يتحدث بها بالعراق أحق هي؟ قال: شفاعة ماذا؟ قلت: شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، قال: حق والله إي والله لحدثني عمي محمد بن علي ابن الحنفية عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أشفع لأمتي حتى يناديني ربي فيقول: أرضيت يا محمد؟ فأقول: نعم رضيت) ثم أقبل علي فقال: إنكم تقولون يا معشر العراق إن أرجى آية في كتاب الله: "يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم" قلت إنا لنقول ذلك، قال: ولكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية في كتاب الله: "ولسوف يعطيك ربك فترضى" وهي الشفاعة. ابن مردويه. كنز العمال: حرف القاف، كتاب القيامة/ تتمة الشفاعة (39758 مسند علي). تقدم في الدرس 12.

2 – أخرج مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم "رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني" الآية وقال عيسى عليه السلام "إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم" فرفع يديه وقال: (اللهم أمتي أمتي) وبكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا

إلا الله منهم أم غيرهم؟ قال: بل أهل لا إله إلا الله فقط، فقال: تعال معي إلى البقيع، فأتوا للبقيع فضرب جبريل بجناحه على قبر فقام رجل وجهه أبيض يقول: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، فقال له جبريل: نم، فنام فضرب على قبر آخر فقام رجل وجهه أسود يقول: يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله، فقال له جبريل: نم، فرجع الرسول صلى الله عليه وسلم مسرورا ويقول: (كما تعيشون ستموتون وكما تموتون ستبعثون). الإنسان عقيدته التي يعلمها الآن إذا مات يكون هكذا في قبره وهكذا إذا بُعث. الحمد لله كلنا آمنا بالله. «يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ» بدينه وكتابه ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ عذابه ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ ءَايَاتِي﴾ القرآن وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بلى ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بمكان فوزهم ﴿لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ متصرف فيه كيف يشاء ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مفاتيح خزائنهما. سأل عثمان رسول صلى الله عليه وسلم عن تفسير مقاليد السماوات والأرض؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن..

سنرضيك في أمتك ولا نسوءك. كتاب الإيمان/ باب دعاء النبي لأمته وبكائه شفقة عليهم (301) انفرد به مسلم.

الحديث[1] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ تأمروني أن أعبد غير الله؟ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضا ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ الأرضون السبع ﴿قَبْضَتُهُ﴾ مقبوضة له في ملكه وتصرفه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾ مجموعات ﴿بِيَمِينِهِ﴾ بقدرته ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ إذا نفخ في الصور النفخة الأولى يموتون عن آخرهم وبعد أربعين تقع النفخة الثانية[2] «فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ». وأول من تنشق

---

1 – أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد من حديث أبي يعلى: عن عثمان بن عفان أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير: "له مقاليد السماوات والأرض فقال: (ما سألني عنها أحد قبلك، تفسيرها: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله الأول الآخر الظاهر الباطن وبيده الخير ويحيي ويميت وهو على كل شيء قدير...الحديث). مجمع الزوائد: كتاب الأذكار/ باب ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى (71000).

2– قال النووي في شرحه لحديث أبي هريرة عند مسلم باب ما بين النفختين (5253): (ما بين النفختين أربعون قالوا : يا أبا هريرة أربعين يوما قال : أبيت ... إلى آخره) معناه أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما، أو سنة، أو شهرا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم أربعون سنة. وجاء في فتح الباري: أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد " أربعون سنة " وهو شاذ . ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال " ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة " انظره في شرح ابن حجر للحديث (4814). تقدم في الدرس 42.

عنه الأرض هو رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] وأول من يبعث من الملائكة إسرافيل الذي سينفخ في الصور، وأول ما يبعث من الدواب براق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يركب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المحشر، وأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام[2] لأنه هو الذي جُرّد في الله تبارك وتعالى، وأول من يكسى ثوب النار هو إبليس[3] بتجريد إبراهيم، وأول من يحاسب نوح عليه الصلاة والسلام ينادَى على رؤوس الخلائق يا نوح لأنه أول الأنبياء فيأتي ترتعد فرائصه وتتضارب ركبه من شدة الفزع، يتجاوز إلى الموقف، وأول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن[4] وأول ما يحاسب عليه الرجل الصلاة[5] وأول ما تحاسب

---

1 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع. صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب تفضيل نبينا على جميع الخلائق (4223).

2 - "أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم" أخرجه البخاري من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم 3349 من كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا.

3 - أخرج أحمد في مسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول من يكسى حلة من النار إبليس يضعها على حاجبيه وهو يسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبوراهم حتى يقف على النار فيقول يا ثبوراه فينادون يا ثبوراهم فيقال لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا). مسند أحمد: مسند أنس بن مالك (12102)

4 - أخرجه السيوطي في الجامع الصغير للطبراني عن أم الدرداء بلفظ: (أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن). ج1/ رقم(2823). وعن أم الدرداء (أول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الأدب/ ما ذكر في حسن الخلق وكراهية الفحش (21080).

5 - أخرج الترمذي في سننه عن حريث بن قبيصة قال: قدمت المدينة فقلت اللهم يسر لي جليسا صالحا قال فجلست إلى أبي هريرة فقلت: إني سألت الله أن يرزقني جليسا صالحا فحدثني بحديث سمعته من رسول

عليه المرأة الصلاة وحق البعل[1] وأول ما يقضى فيه الدماء[2] وأول من يقبض كتابه بيمينه عمر بن الخطاب وأول من يصافحه الحق ويسلم عليه يوم القيامة عمر بن الخطاب قيل يا رسول الله أين أبو بكر؟ قال: أبو بكر في الجنة زفته الملائكة إلى الجنة رأسا[3]. أول من يدخل الجنة أبو بكر الصديق[4] وأول من يدخل الجنة من

الله صلى الله عليه وسلم لعل الله أن ينفعني به فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك). سنن الترمذي: كتاب الصلاة / باب ما جاء في أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة (378) وفي سنن النسائي: كتاب الصلاة / المحاسبة على الصلاة (463)..

1 – (أول ما تسأل المرأة يوم القيامة عن صلاتها ثم عن بعلها كيف عملت إليه.) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير ص342.

2 – عن عبد الله (وهو ابن مسعود) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أول ما يقضى بين الناس في الدماء). صحيح البخاري: كتاب الديات/ باب قوله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم (6864). وفي صحيح مسلم: كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات/ باب المجازاة بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه (3178). تقدم في الدرس34.

3 – أخرج ابن ماجه في سننه عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة). سنن ابن ماجه: كتاب المقدمة / باب فضل عمر (101). وجاء في الجامع للقرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فأين أبو بكر؟ فقال: هيهات هيهات زفته الملائكة إلى الجنة. قال القرطبي: وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه.. القرطبي ج18/ 269.

4 – أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي) فقال أبو بكر: يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى

الأغنياء عبد الرحمن بن عوف[1] «فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ» ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ تجلى الحق لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ وأول من يشفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[2] ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ شيئا ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ جزاؤه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بعنف ﴿إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ بالسلاسل. إذا قال خذوه يبتدر سبعمائة ألف ملك[3] كلهم بيده سلسلة فيجعلونه في السلاسل ويقودونه إلى النار ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ النار لا تفتح حتى يأتي الكفار إلى الباب فتفتح لأنها إذا فتحت قبلهم ربما خرج ولو دخان قبلهم، موفرة لهم حتى يدخلوها ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أقسم الله أنه لابد أن يملأ جهنم. هذا لا حيلة لنا فيه ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وقد فتحت قبل

أنظر إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي). سنن أبي داود: كتاب السنة / باب في الخلفاء (4033).

1 – (أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف، والذي نفس محمد بيده لن يدخلها إلا حبوا) البزار وأبو نعيم في فضائل الصحابة عن أنس وضعفوه. الجامع الكبير للسيوطي ج1/ 341.

2 – سبقت الإحالة إليه قريبا في هذا الدرس.

3 – للقرطبي ج18/ 272: قيل يبتدره مائة ألف ملك ثم تجمع يده إلى عنقه. ولابن كثير ج4/ 411: سبعون ألف ملك.

ينظرون إليها من مسيرة خمسمائة عام ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ أهل التقوى - جعلنا الله وإياكم منهم - يحشرون بلطف يساقون بلطف يهتدون إلى منازلهم في الجنة كما يهتدي أحدنا إلى بيته عندما يخرج من المسجد. كل يهتدي إلى بيته رأسا، كذلك أهل الجنة إذا قاموا من المحشر كلهم يهتدي لبيته، حتى يصلوا إلى باب الجنة فيجدوا عينين يغتسلون من إحداهما فتبقى أجسامهم مدهنة لا يمسهم شعث ولا وسخ بعد هذا، ويشربون من الأخرى فتطهر أجوافهم لا يبقى قذر في بطونهم فيهتدون إلى الجنة فيتلقاهم الولدان أبشروا قد أعد الله لكم كذا وكذا وكذا مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ثم يذهب الولدان يتدرون إلى الزوجة من الحور يقولون لها ابشري فإن فلانا قد قدم، فتقول: فلان قدم، أنت رأيته بعينيك؟ وتستعد هي تقف بأسكفة الباب تنتظر مجيء زوجها فيجيء فيدخل فإذا قصر مبني بجندل من ذهب وجندل من لؤلئ وجندل من فضة بحسن لولا أن الله يكسوه قدرة يطيق بها النظر إليه لا يقدر أن ينظر إليه من شدة الحسن[1] - جعلنا الله وإياكم من أهل الجنة - «وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ يحمدون الله تبارك وتعالى، أهل الجنة حمدوا الله في ستة مواضع: لما قال: "وامتازوا اليوم أيها المجرمون" قالوا "الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين"، ولما وصلوا إلى باب الجنة قالوا: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" ولما دخلوا قالوا: "الحمد لله الذي

---

1 - أورد ابن أبي حاتم بإسناد إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حديثا مطولا بهذا المعنى. انظره في تفسير ابن كثير ج69/4.

صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء" ولما تجاوزا الصراط قالوا: "الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن" ولما وصلوا إلى منازلهم قالوا: "الحمد لله الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب"[1]. الحمد لا ينقضي أبدا. الحمد لله، نحن الأمة الحمادون ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الجنة ﴿وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ليسوا من أهل الجنة جنتهم التسبيح والحمد دائما لأنهم ليسوا كبني آدم ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾ فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿وَقِيلَ﴾ بعد القضاء ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة. بداية الخلق الحمد لله الذي خلق ونهايتهم هذا، لما قضي بينهم واستقر الكفار في النار والمؤمنون في الجنة قيل الحمد لله رب العالمين.

---

1 – لعل الموضع السادس هو قوله تعالى "وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين". وقد تقدم في الدرس41

الدرس الرابع والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

سورة غافر

مكية إلا "الذين يجادلون" الآيتين خمس وثمانون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حمٓ﴾ ورد في فضل الحواميم أحاديث كثيرة، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (الحواميم ديباج القرآن)[1]، (لكل شيء ثمرة وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم)[2] ومنها (مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثياب)،

---

1 – عن مجاهد قال: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (الحواميم ديباج القرآن) أخرجه الحاكم في مستدركه: تفسير سورة المؤمن/ باب الحواميم ديباج القرآن(3681) وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ج1/رقم 3851 فقال حديث حسن.

2 – جاء في تفسير القرطبي: روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لكل شيء ثمرة وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات فمن أحب أن يرتع فليقرأ الحواميم) وقال: (مثل الحواميم في القرآن كمثل الحبرات في الثوب). قال القرطبي ذكرهما الثعلبي. الجامع لأحكام القرآن ج288/15. وقد أخرج السيوطي في الجامع الصغير لابن مردويه عن سمرة: (الحواميم روضة من رياض الجنة) الجامع الصغير ج1/رقم 3852.

(لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم)[1] ومنها (الحواميم سبع وأبواب النار سبع)[2]، والحواميم سبع سوَر على رأس كل سورة كلمة "حم" الله أعلم بمراده به، من الحروف المتقدمة، ويقول ابن عباس إن "الر، حم، ن" مجموع هذا الرحمن[3]، وقيل "حم" رمز من رموز المحبين يتكلمون فيما بينهم بألفاظ هي سر عندهم. "حم" جزء من الرحمن وجزء من محمد. الرحمن فيها حم، ومحمد أيضا فيها حم. ورسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته جعل شعار أصحابه (حم لا ينصرون)[4] من قال حم يعلم أنه من جملة الصحابة. الله أعلم بمراده به، كلم موسى ربه فقال: يا رب هل أكرمت أحدا بمثل ما أكرمتني به؟ كلمتني بذاتك واصطفيتني. قال: نعم أمة أكرمهم بشهر رمضان، أنا كلمتك من وراء سبعين ألف حجاب، وهم إذا صاموا أرفع عنهم الحجب فأكون أقرب إليهم من كل شيء، ولخلوف فم الصائم

---

1 - قال السيوطي في تفسيره الدر المنثور في التفسير بالمأثور: أخرج أبو عبيد في فضائله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم. مقدمة سورة غافر ج268/7 وفي ابن كثير ج70/4

2 - أخرج السيوطي في الجامع الصغير: (الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حاميم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأ بي.) قال: رواه البيهقي في شعب الإيمان عن الخليل بن مرة مرسلا، الجامع الصغير ج1/رقم 3853.

3 - ذكره القرطبي ج15/ 289.

4 - أخرج الترمذي في سننه عن المهلب بن أبي صفرة عمن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن بيتكم العدو فقولوا: حم لا ينصرون). سنن الترمذي: كتاب الجهاد/ باب ما جاء في الشعار (1605). سنن أبي داود: كتاب الجهاد/ باب في الرجل ينادي بالشعار (2230) وروى أحمد عن البراء بن عازب قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم ستلقون العدو غدا وإن شعاركم حم لا ينصرون). مسند أحمد: مسند الكوفيين/ مسند البراء بن عازب (17815).

منهم أطيب عندي من ريح المسك، وإذا حان الفطور ألقاهم مواجهة[1]، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح[2]. فهناك لقاء عند الفطور يختص به الصائمون. قال موسى: هذا الشهر أعطه لأمتي قال: هو لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. ﴿حم تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره من الله ﴿الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الغالب في ملكه العليم بخلقه هو الله تبارك وتعالى ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾ للمومنين ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لهم ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ للكافرين ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الإنعام الواسع ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع، «غافر الذنب» فضلا و«قابل التوب» وعدا «شديد العقاب» عدلا، «لا إله إلا هو إليه المصير» فردا. وصف نفسه بأنه غافر الذنب قبل وجود المذنب وقابل التوب قبل وجود التائب. وصف نفسه أنه ذو الطول، والطوْل السعة، الغنى، كأنه من الطول حيث أن الغني تطول يده لإدراك كل ما يريد، فكل غني طويل، كما أن الفقير قاصر عن درك مطلوبه. والله تبارك وتعالى وصف نفسه أنه غني وغناه مطلق ﴿مَا يُجَادِلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿فَلاَ يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ﴾ للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار أو الهلاك قبل دخول النار. الخطاب للمخاطَب وهم أصحاب النبي

---

1 – انظره في روح البيان ج8/ 150.

2 – أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يسخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربه فرح بصومه). صحيح مسلم: كتاب الصيام/ باب فضل الصيام (1944) وفي صحيح البخاري: كتاب الصوم/ باب هل يقول إني صائم إذا شتم (1904)

صلى الله عليه وسلم[1]، فلا يغرك يا مخاطَب تقلب الكفار فى البلاد فإن عاقبتهم الهلاك ودخول النار ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليقتلوه. قوم نوح أرادوا أن يقتلوا نوحا، وقوم عاد أرادوا أن يقتلوا هودا، وثمود أرادوا أن يقتلوا صالحا إلى آخرهم، ﴿وَجَادَلُواْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ﴾ يزيلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ﴾ وكلما جاء الحق من عند الله على لسان نبيه ياتون بالباطل ليدفعوا به الحق ﴿فَأَخَذتُّهُمْ﴾ أهلكتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ معناه واقع موقعه. عقاب الله تبارك وتعالى لا يخطئ محله لابد أن يقع موقعه ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ لأملأن جهنم ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الملائكة حملة العرش، والعرش أكبر المخلوقات وأعظمها[2] وكلف الله الملائكة أن يحملوه فقالوا من يطيق حمل هذا يا رب؟ ستمائة ألف سرادق، كل واحد منها تحته ستمائة ألف ملك عجزوا عن حمل العرش مع ذلك، فخلق من كل ملك ستمائة ألف ملك فعجزوا فأمرهم الله بالتسبيح فسبحوا فغاصت أقدامهم حتى وصلت إلى الثرى، فحملوا العرش وهم يسبحون[3]، يتجاوبون بصوت حسن، أربعة صفوف يقولون سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك، وأربعة يقولون سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

---

1 - قال الطبري عند قوله تعالى "لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد" من سورة آل عمران: خرج الخطاب بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعني به غيره من أتباعه وأصحابه. تفسير الطبري ج: 4 ص: 217

2 - القرطبي ج8/ 302.

3 - تفسير روح البيان ج8/ 155.

(أذن لي أن أتحدث إليكم عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام)[1]، وهؤلاء الملائكة لما خلقوا بهذه العظمة وشاهدوا العرش فحاروا لعظمة العرش. هم أول من سبحوا من خلق الله تبارك وتعالى قالوا سبحان الله، الباقيات الصالحات كل كلمة صدرت من قائل: أول من سبح الملائكة حملة العرش، وأول من قال الحمد لله آدم حين كان قبضة من الأرض فنفخ الله تبارك وتعالى فيه فصار حيا حساسا بعدما كان جمادا قال الحمد لله، قال له الملائكة: لذلك خلقت لذلك خُلقت. وأول من قال لا إله إلا الله نوح عليه الصلاة والسلام، لما فاض الطوفانُ نزل المطر من السماء وفاضت العيون من الأرض حتى امتلأ العالم من الماء قال نوح لا إله إلا الله. وإبراهيم لما ألقي في النار "قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم" قال: الله أكبر. ومحمد لما تجاوز سبع طباق وتجاوز العرش والكرسي حتى وصل إلى مقام قاب قوسين أو أدنى قال: لا حول ولا قوة إلا بالله[2]. وهذه الكلمات هي الباقيات الصالحات[3] ليلة أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم قال له إبراهيم: أقرئ أمتك مني السلام وقل لهم إن أرض الجنة طيبة صالحة للغرس فليكثروا من الغرس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما هو الغرس؟

---

1 - أخرج أبو داود في سننه عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام). كتاب السنة/ باب في الجهنمية (4102) انفرد به.

2 - سبق تحقيق هذه الأوليات في الدرس 6 روح البيان للبروسوي ج36/1.

3 - أخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله؟ قال: الملة، قيل وما هي يا رسول الله؟ قال الملة قيل وما هي يا رسول الله؟ قال الملة قيل وما هي يا رسول الله؟ قال: التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد ولا حول ولا قوة إلا بالله). مسند أحمد: مسند المكثرين/ مسند أبي سعيد الخدري (11288).

قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله[1]. فلهذا حرض النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس على صلاة التسبيح قال له: عليك بها في كل يوم مرة أو في كل أسبوع مرة أو في كل شهر مرة أو في كل عام مرة أو لا أقل من مرة في عمرك[2]. «يسبحون بحمد رهم» ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يطلبون المغفرة لأبناء آدم والحكمة في طلبهم المغفرة لهم أنهم تكلموا في بني آدم حيث قالوا "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" ولما وقع منهم ذلك أمرهم الله بالاستغفار لهم جبرا لما وقع منهم. ففيه تنبيه على أن من تكلم في غيره ينبغي له أن يستغفر له. الإنسان يحفظ لسانه

---

1 – أخرج الترمذي عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد (3384). وقد تقدم في الدرس 31 و36.

2 – أخرج أبو داود في سننه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب: يا عباس يا عماه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ألا أفعل بك عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده صغيره وكبيره سره وعلانيته عشر خصال أن تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوي ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فإن لم تفعل ففي كل جمعة مرة فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة فإن لم تفعل ففي عمرك مرة. سنن أبي داود: كتاب الصلاة/ باب صلاة التسبيح (1105) وفي سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/ باب ما جاء في صلاة التسبيح (1377).

من الغيبة وإن اغتاب أحدا فلا أقل من أن يستغفر له كما فعلت الملائكة. لهذا طلب واحد من أحد الصالحين أن يدعو الله له ويستغفر له قال له: آمن بالله ويستغفر لك من هو خير مني يشير إلى «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ» الملائكة يستغفرون للذين آمنوا ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ وسعت رحمتك كل شيء وعلمك كل شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من الشرك ﴿وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ النار ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ جنات إقامة ﴿الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه. إن الله تبارك وتعالى يدخل المؤمن الصالح الجنة ويرفعه إلى الدرجات العلى فينظر و لم يجد أباه فيقول: أين أبي؟ فيقال: أبوك دخل الجنة ولكن هو وإن دخل الجنة لا يبلغ مقامك. فيقول: لا، أنا كنت أعمل لنفسي ولأبي، يقول الرب: آتوه بأبيه إني لا أحب غضب وليي اليوم. يقول: أين زوجتي؟ فيقال: ليست كمثلك في العمل، فيقول: لا كنت أعمل لنفسي ولها. فيقول الحق تعالى: آتوه بها. ويقول أين أولادي؟ أين ذريتي؟ فيلحقون به[1] هذا معنى "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء" وكما تلحق الذرية بالنسب تلحق الذرية بالمعنى. التلامذة يلحقون بمراتب أشياخهم. كلنا في مقام الشيخ التجاني رضي الله عنه ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ عذابها ﴿وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ

---

1 – جاء في تفسير الطبري: عن سعيد (ابن جبير) قال: يدخل الرجل الجنة، فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي؟ فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة ثم قرأ: "جنات عدن التي وعدهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم" . تفسير الطبري: سورة غافر / قوله "ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم" تقدم في الدرس40.

يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ما معناه: (أكثروا من الأصحاب والإخوان فإن الله حيي يستحيي أن يعذب عبدا بين يدي أحد من أصدقائه)[1] إذا كان الإنسان كثير الأصدقاء في الله يستحيي الله تبارك وتعالى أن يعذبه. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ﴾ من قِبَل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ أهل النار يغضبون على أنفسهم غضبا شديدا حتى لو قدروا أن يقتلوا أنفسهم لفعلوا لأن النفس هي التي ارتكبت الأعمال التي أدخلتهم النار، تناديهم الملائكة حين ذاك أنتم تغضبون على أنفسكم وغضب الله عليكم وقت تدعون إلى الإيمان فتكفرون أشد من غضبكم على أنفسكم اليوم. ﴿قَالُواْ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ إماتتين، الإنسان كان نطفة أولا فأحياه الله فمات فأحياه الله عند البعث هذه موتتان ﴿وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أمات الله الإنسان إماتتين وأحياه إحياءين ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث علمنا أننا خاطئون أقررنا بذلك ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ فهل من سبيل إلى خروج من النار؟ لما اعترفنا بذنوبنا هل نخرج من النار إلى الدنيا فنعمل عملا صالحا ننجوا به من النار وندخل به الجنة؟ لا، ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُ﴾ بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده. سبب دخول النار هو هذا. ما كانوا يقبلون التوحيد. إذا وُحد الله قالوا هذا كذب، ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ﴾ إن يجعل معه شريك ﴿تُؤْمِنُواْ﴾ تصدقوا بذلك ﴿فَالْحُكْمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم ﴿هُوَ

---

1 – أخرج السيوطي في الجامع الصغير عن أنس: استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة. الجامع الصغير (1001). وفي الجامع الكبير عن أنس: (أكثروا من المعارف من المؤمنين فإن لكل مؤمن شفاعة عند الله يوم القيامة) ج138/1.

الَّذِي يُرِيكُمْ ءايَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُّنِيبُ﴾ يرجع عن الشرك ﴿فَادْعُواْ اللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إخلاصكم ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ الله هو رفيع الدرجات أي عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين. إن كانت الرفعة صفة الله فالدرجات صفاته أي عظيم الصفات وإن كان الرفع للمؤمنين فهو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ هو الذي خلق هذا الخلق العظيم ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ من الأنبياء ﴿لِيُنذِرَ﴾ يخوف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ التَّلاَقِ﴾ يخوفهم باليوم الآخر، سمي يوم التلاقي لتلاقي أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ كلهم حاضر وكل ما جرى منهم من بدايته إلى نهايته لا يخفى منه شيء. قال الفضيل أو الشبلي: واسوأتاه وإن غفرت ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ يتكلم الحق تبارك وتعالى عندما أفنى الخلائق جميعا فلم يبق نفس تتنفس، يبقى وحده يقول «لمن الملك اليوم» فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وفي المحشر لما حشر الخلائق، أهل السماوات وأهل الأرض جميعا اجتمعوا في صعيد واحد كلهم ينتظر ما يفعل به، يقول: «لمن الملك اليوم»؟ طالما نازعتموني الملك، الملك فلان، الملِك فلان. المُلك لمن اليوم؟ لا تسمع كلمة إلا قدما صوتت من طول القيام، أجاب نفسه: «لله الواحد القهار». سأل وأجاب نفسه كما أن العبد سأل وأجاب نفسه، قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصف لي ونصف للعبد وللعبد ما سأل، "الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين" هذا لله تبارك وتعالى، وبقي للعبد "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت

عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين"[1] والعادة إذا كان اثنان واحد يدعو والآخر يقول آمين، والمصلي يناجي ربه، الداعي هو المصلي، فلما قال ولا الضالين أجاب نفسه أيضا نائبا عن الحق فقال: آمين. كما أن الحق لما قال «لمن الملك اليوم» قال «لله الواحد القهار» ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك[2]، قيل لعلي كيف يصح هذا؟ قال: كما يغذيهم كلا في يوم واحد[3]، الخلائق جميعا يطعمهم الله في كل يوم وحده، من قدر على هذا قدر على محاسبتهم في نصف يوم. ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ يوم القيامة من أزف الرحيل إذا قرب ﴿إِذِ

---

1 - جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام فقيل لأبي هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. صحيح مسلم: كتاب الصلاة/ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (598). تقدم في الدرسين1 و30

2 - (يوم القيامة على المؤمنين كقدر مابين الظهر والعصر) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي هريرة. وجاء في تفسير الطبري عن الأعمش عن إبراهيم في قوله: أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف النهار، فيقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار. وعن ابن جريج قال: لم ينتصف النهار حتى يقضي الله بينهم، فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. تفسير الطبري: سورة الفرقان/ وقدموا إلى ما عملوا من عمل.. الآية. تقدم في الدرس28.

3 - قال ابن جزي: قيل لعلي كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم قال: كما يرزقهم على كثرتهم. التسهيل ج76/1.

﴿الْقُلُوبُ﴾ ترتفع خوفا ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ ممتلئين غما. خوف الناس بهذا اليوم العظيم الآتي وقد قرب إتيانه، في ذلك الوقت كلهم يمتلئ غما حتى أن قلب كل إنسان يأتي إلى حلقه ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ محب ﴿وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ الكافر ليس له شافع تقبل شفاعته ولا محب تنفعه محبته لا يشفعون فيهم أصلا، ولو شفعوا فيهم تقديرا فلن تقبل شفاعتهم. ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم؛ الله تبارك وتعالى يعلم كل شيء يجري من أعمال العبد حتى خائنة الأعين ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ والذي لم يخرج من القلب يعلمه الله تبارك وتعالى ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من دون الله يا كفار مكة ﴿مِن دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لاَ يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ فكيف يكونون شركاء لله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ لو ساروا في البلاد ورأوا آثار الهالكين - وكانوا أقوى منهم - لتبين لهم أنهم سيهلكون كما هلك أولئك «كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» ﴿وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ وَّاقٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُواْ﴾ هو موسى ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُواْ اقْتُلُواْ أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ وَاسْتَحْيُواْ﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ رجعوا إلى عادتهم الأولى مع بني إسرائيل يقتلون الأبناء ويتركون البنات ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ هلاك ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ أراد فرعون أنه يقول إنه يقتل موسى ويقول اتركوني حتى أقتل موسى،

قال كأهم كانوا يكفونه عن قتله، لا ما كفه أحد هذا فيه وهن، ما أمسكه أحد وهو يقول «ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى» هاهو موسى اقتله، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني، فليدع موسى ربه هل يقدر أن يمنعه مني أم لا ﴿إِنِّيَ أَخَافُ أَنْ يُّبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أخاف أن موسى هذا سيذهب بديننا ويأتي بدين آخر فتتبعونه ﴿وَأَنْ يُّظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ موسى سيفسد أرض مصر من قتل وغيره، عُميُ البصائر يرون الحق باطلا والباطل حقا والإصلاح فسادا والفساد إصلاحا هذا طمس البصيرة، هذا الصلاح الذي جاء به موسى يعتقده فرعون فسادا في الأرض ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لما توعده فرعون ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ استعاذ بالله تبارك وتعالى، لم يشتغل بالعدو، بل استجار بالله تبارك وتعالى فقيض الله له في الحين عبدا يرد عنه ويكافح عنه أعداءه ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل هو ابن عمه[1] ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَّقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ قام مؤمن آل فرعون وهو الذي أتته أم موسى تطلب منه أن يصنع لها صندوقا فوقع له ما وقع، آمن قبل كل أحد، الصديقون ثلاثة كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: حبيب النجار، مؤمن آل ياسين – تقدم أول أمس – ومؤمن آل فرعون وثالثهم أبو بكر الصديق وهو أفضلهم[2]. سألوا عبد الله بن عمرو بن العاص: ما

---

1 – جاء في تفسير ابن كثير: قال السدي: كان ابن عم فرعون ويقال إنه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام، واختاره ابن جرير، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام، ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة لأنه منهم. وقال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون. ابن كثير ج4/ 78.

2 – تقدم ذكره في الدرس الثاني والأربعين.

أشد ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من قومه؟ فبكى وقال أشد شيء جاءه عقبة بن أبي معيط وهو صلى الله عليه وسلم ساجد يصلي فأخذ بتلابيب النبي صلى الله عليه وسلم يخنقه خنقا شديدا ويكذبه ويقول إنه جاء بعبادة غير آلهتهم فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: أنا الذي فعل ذلك أنا الذي قال ذلك، حتى أتى أبو بكر فدفع عقبة بن أبي معيط وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله[1]. فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم وجلس في مقابلتهم وكل صناديد قريش جلوس حاضرون وقال: (اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، عليك بعقبة بن أبي معيط، عليك بأبي جهل بن هشام، عليك بعتبة، عليك بشيبة، عليك بالوليد، عليك بأمية بن خلف عليك بعمارة بن الوليد)[2]، جل من نص على اسمه

---

1 - أخرج البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال: "أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم". صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب قول النبي لو كنت متخذا خليلا (3678).

2 - أخرج البخاري عن عبد الله قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة وجمع قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم ألا تنظرون إلى هذا المرائي أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام وهي جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: (اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد) قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله

ربئ صريعا يوم بدر، ففزعوا لأنهم علموا أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة، هم أهل عناد فقط ولكن عرفوا الحق وما دعا عليهم قط، ففزعوا لما سمعوا دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، وجلهم ربئ صريعا يوم بدر[1]. وسئل عن مناقب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال:

[عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقـــــارن يقتدي][2]

ما تقولون في قوم قيض الله لهم نبيه صلى الله عليه وسلم. هذا واحد من آل فرعون تكلم بكلمة واحدة «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله» وكان يكتم إيمانه فجازاه الله على ذلك بأن كان ذكره في القرآن يتلى إلى آخر الدهر لموقف واحد، فكيف بعمر بن الخطاب يوم سل سيفه يقول والله لا نعبد الله سرا بعد اليوم[3]؟ «أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله» ﴿وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ ضرر كذبه عليه ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلا ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿كَذَّابٌ﴾ مفتر ﴿يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غالبين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَاءَنَا﴾ لا ناصر لنا ﴿قَالَ

صلى الله عليه وسلم: (وأتبع أصحاب القليب لعنة). صحيح البخاري: كتاب الصلاة/ باب المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الأذى (520).

1 – قول الراوي فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، يحمل على الأكثر كما صرح به ابن حجر في فتح الباري شرح الحديث (240) من كتاب الوضوء قال: والجواب أن كلام ابن مسعود في أنه رآهم صرعى في القليب محمول على الأكثر ويدل عليه أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب وإنما قتل صبرا بعد أن رحلوا عن بدر مرحلة وأمية بن خلف لم يطرح في القليب الخ.

2 – عزاه القرطبي في تفسيره لعدي بن زيد ج194/5.

3 – القرطبي ج242/6.

فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ﴾ ما أشير عليكم ﴿إِلاَّ مَا أَرَى﴾ إلا بما أشير به فقط وهو قتل موسى، كلامي واحد اقتلوا موسى فقط ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ أنا أدعوكم إلى طريق الصواب، هو قتل موسى، ما أشد حماقته ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَاقَوْمِ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ المؤمن يقول أيضا ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ مثل جزاء من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ وَيَا قَوْمِ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ يوم القيامة عندما ينادى بالسعادة لأهل السعادة جعلنا الله منهم، وبالشقاوة لأهلها أعاذنا الله من ذلك. ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب في قول[1]، عمر إلى زمن موسى أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب. يوسف نبي الله ولدت له زليخا ابنا يقال له إبراهيم 'أفرائيم' بلغة العبران هي إبراهيم فولد ولدا سماه يوسف[2] فنبئ إلى بني إسرائيل، وهو يوسف هذا الثاني. بين يوسف بن يعقوب وموسى أربعمائة سنة[3]. إذاً هذا يوسف آخر ليس يوسف بن يعقوب. مؤمن آل فرعون يقول «ولقد جاءكم يوسف» على كل حال جاءكم نبي يقال له يوسف

---

1 – ذكر ابن كثير أنه يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو إلى الله فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ولهذا قال تعالى "فما زلتم في شك مما جاءكم به" ابن كثير ج80/4.

2 – راجع القولين في تفسير النسفي على هامش الخازن ج72/4. وقد أيد الصاوي القول الثاني ونفى الأول، راجع حاشية الصاوي على الجلالين ج8/4.

3 – ذكره الصاوي في حاشيته ج8/4.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان ﴿لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ فلم تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُرْتَابٌ﴾ شاك في ما شهدت به البينات ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ معجزاته ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿أَتَاهُمْ كَبُرَ﴾ جداهم ﴿مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَلِكَ﴾ مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ﴾ صاحبه ﴿جَبَّارٍ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ بناء عاليا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ أمر فرعون أن يبنى له برج طوله ثلاثة أميال يطلع عليه ليعرف خبر موسى، إن كان مجنونا فكلامه لا يحكى، وإن كان عاقلا كل عاقل يعلم أن أطول الجبال إذا وقفت عليه نسبتك إلى السماء كنسبتك إليها إذا وقفت تحته. إذا اطلعت على أعلى شيء تكون السماء بالنسبة إليك بحالها لما كنت على الأرض، فرعون يشاهد هذا إذا لا يبلغ من الحماقة أن يظن أن هامان يقدر أن يبني له بناء يدرك السماء، إنما كان من أهل النجوم، كان منجما يحب برجا طويلا يطّلع به على أحوال النجوم فيعرف ما خبر موسى وكيف حاله. هذا هو مراد فرعون. هل هذا نبي أرسله الله أم كاذب؟ ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ في أن له إلها غيري، قال هذا تمويها وتلبيسا على قومه فقط وهو يدرك الحقيقة ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ خسار ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾ تمتع يزول ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقا واسعا بلا تبعة ولا حجر ﴿وَيَاقَوْمِ مَا لِي

أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ خاطب قومه وقال مالي أدعوكم إلى النجاة وهي الإيمان بموسى، وتدعونني إلى النار وهي الكفر بموسى ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْغَفَّارِ﴾ لمن تاب ﴿لاَ جَرَمَ﴾ حقا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ لأعبده ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ استجابة دعوة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلاَ فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ إذا عاينتم العذاب سترون، فهددوه بالقتل فخرج إلى الفلاة وطلع على جبل يتعبد فوقه فأرسل فرعون جنودا ليقتلوه فلما دنوا من الجبل حال بينهم وبينه أسد ضار فخافوا ورجعوا وهو يتعبد فوق الجبل ما أحس بخبرهم[1] ﴿وَأُفَوِّضُ﴾ لما هددوه ﴿أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ذلك لما توعدوه لمخالفة دينهم ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ القتل الذي أرادوا ما قدروا له على شيء ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾ الغرق ثم ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ صباحا ومساء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُواْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ كل من مات من أهل النار يعرض على النار كل صباح وكل مساء، والخلود لم يكن الآن حتى يقع الحساب، فمن كان من أهل الجنة تحمله طيور خضر في حواصلهم، فيتنزه في الجنة ويتنعم كيف شاء ويعود إلى قبره، والخلود لم يكن إلا بعد الحساب. إذا كان يوم الحساب أمر الله «أَدْخِلُواْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» الذي هو جهنم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ الكفار يخاصم بعضهم بعضا ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ الأتباع يقولون لرؤسائهم نحن

---

1 – الصاوي على الجلالين ج10/4.

كنا تبعا لكم ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزء ﴿مِنَ النَّارِ﴾ لما كنتم أنتم سادتنا وكبراءنا وكنا نحن أتباعكم فتكفلوا لنا بجزء من العذاب، انقصوا عنا ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ الخصومة هاهي قالوا تم الفصل بين الخلائق، لا حكم بعد حكم الله، كلنا سواء نحن كلا في النار. أدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ طلبوا من مالك خازن النار أن يطلب لهم التخفيف قدر يوم واحد من أيام الدنيا وما فائدة هذا؟ ﴿قَالُواْ﴾ تهكما لهم ﴿أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أما أنذركم الأنبياء في الدنيا ﴿قَالُواْ بَلَى﴾ فكفروا بهم ﴿قَالُواْ فَادْعُواْ﴾ أنتم فإنا لا نشفع للكافرين، أنتم كذبتم الأنبياء فادعوا لأنفسكم فنحن لا نشفع في الكافرين. قال تعالى ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ﴾ انعدام ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ الله تبارك وتعالى تكفل بالنصر للرسل وأتباع الرسل في هذه الدنيا ويوم القيامة. ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم لو اعتذروا ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ شدة عذابها ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿هُدًى﴾ هاديا ﴿وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ تذكرة لأصحاب العقول ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد صلى الله عليك وسلم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن تبعك منهم، فالله ناصرك ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ ليستن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صل متلبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ الصلوات الخمس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿مَا هُم بِبَالِغِيهِ

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم. ونزل في منكري البعث ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ابتداء ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ مرة ثانية. يستغربون الإعادة والله تبارك وتعالى ابتدأ خلق الخلق السماوات والأرض وهذا أكبر بكثير من إعادة إنسان بعد موته ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ كفار مكة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ وهو المحسن ﴿وَلاَ الْمُسِيءُ﴾ المحسن والمسيئ لا يستويان عند الله تبارك وتعالى ﴿قَلِيلاً مَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، أي تذكرهم قليل جدا ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ اعبدوني أثبكم أو اطلبوا حوائجكم مني فأستجب لكم - نسألك من فضلك العظيم - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ إن الله تبارك وتعالى كريم حنان منان، خلق الخلق ليربحوا منه لا ليربح منهم، وخص أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن أمرهم أن يطلبوا جميع حوائجهم منه تبارك وتعالى فقال "واسألوا الله من فضله"، «ادعوني استجب لكم»، "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني"، والدعاء أفضل العبادة، الدعاء مخ العبادة[1]. العارف في بدايته يرى أن لا موجب للدعاء لأن الله تبارك وتعالى فرغ من أمره، رفعت الأقلام وجفت الصحف، كل شيء مضى، فهذا حال إبراهيم حينما كان في البداية وألقي في النار وتعرض له جبريل وقال ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا، قال: فاسأل ربك

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الدعاء مخ العبادة). كتاب الدعوات/ (3293) انفرد به.

ادع الله أن ينجيك، قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي[1]. هذه حالة إبراهيم في بدايته، وإبراهيم هو الكامل، والأخير من أمره هو الأكمل، وإبراهيم أخيرا هو الذي يقول: "رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام" إلى آخر دعواته. فالعارف إذا كمل يرجع إلى الدعاء والتضرع إلى الله والطلب منه، أدبا معه تبارك وتعالى. هذا لا ينافي أن دعوتك الحادثة الآن لا تكون سببا لشيء سبق في الأزل. شيء أزلي لا يؤثر فيه شيء حادث الآن، ولكن الله تبارك وتعالى أمرنا بالدعاء والرسول صلى الله عليه وسلم سأله صحابي قال له: نحن نسأل الله تبارك وتعالى في أي شيء؟ فيما كتب ورفعت الأقلام وجفت الصحف أم في شيء آخر؟ قال: ادعُ الله فالدعاء من قضائه تبارك وتعالى. إن القدر والدعاء يلتقيان ويعتلجان إلى يوم القيامة[2]. فعلى كل حال العبد يقف بباب الله مسكينا محتاجا فقيرا يسأل الله من فضله ولا يعدم خيرا، إما أن يستجاب له دعاؤه بأن يعطى ما طلب أو يدفع عنه ما استعاذ منه، وإما أن يدفع الله عنه بلية، وإما أن يستجيب له ويختار له

---

1 – قال القرطبي في تفسيره ج303/11: روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك. قال: ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي). وقد أورده الثعالبي في تفسيره ج58/3 نقلا عن ابن عطاء الله في التنوير.

2– أخرج الحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة). المستدرك: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر /باب الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين (1849).

شيئا خيرا مما طلب هو، وإما أن يدخر له ثواب دعوته إلى يوم القيامة[1]. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إن العبد يوقف بين يدي ربه تبارك وتعالى في المحشر فيقول له: يا عبدي كنت أمرتك بالدعاء فهل دعوتني قط؟ يقول: نعم، دعوتك في يوم كذا وكذا وطلبت منك كذا وكذا. يقول: وأعطيتُك؟ يقول: نعم. يقول: وطلبتَ مني في اليوم الفلاني كذا وكذا تطلب مني الفرج، فرجت عنك؟ يقول: نعم، يقول: وطلبت مني في اليوم الفلاني كذا وكذا ولم تر ذلك؟ يقول نعم. يقول: كنت ادخرته لك ها هو عندي، ويعطيه ويقول: يا رب ليتك ادخرت لي كل دعواتي ولم تعجل لي منها شيئا[2]. فعلى هذا الإنسان يكثر من الدعاء «ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين" صاغرين،

---

[1]- عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث إما أن تعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكثر، قال: الله أكثر). مسند أحمد: مسند أبي سعيد (10709) وأخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر/ باب لا يرد القدر إلا الدعاء (1852).

[2] - أخرج الحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول: عبدي إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك، فهل كنت تدعوني؟ فيقول: نعم يا رب فيقول: أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجيب لك فهل ليس دعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك فيقول: نعم يا رب، فيقول: فإني عجلتها لك في الدنيا، ودعوتني يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك فلم تر فرجا، قال: نعم يا رب فيقول: إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له في الدنيا وإما أن يكون ادخر له في الآخرة) قال: (فيقول المؤمن في ذلك المقام: يا ليته لم يكن عجل له في شيء من دعائه). المستدرك: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر /باب يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة (1855)

هذا غاية الكرم. الإنسان ولو بلغ ما بلغ من الكرم إذا أكثرت من سؤاله تضجر وغضب، واللّهُ كلما أكثرت من دعائه فرح بك، وإن أعرضت عن دعائه عذبك. ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ فلا يؤمنون ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ﴾ مثل إفك هؤلاء أُفك ﴿الَّذِينَ كَانُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ إن الله تبارك وتعالى تعرفه بآثاره وآثار قدرته، إن لم تعرف من هو الله الذي ندعوك إليه، هو الذي خلق وجعل لنا الأرض قرارا والسماء بناء سقفا، لو شاء لجعل الأرض كمثل البحر من وقف فيه يغرق، ولو شاء لجعلها كالشوك وكالنار وما فعل هذا، ولو شاء لجعلها كالسفن تتحرك، كل هذا يكدر الحياة فجعلها قرارا ساكنا صلبا لينا، يمكنك أن تقف وأن تقعد وأن تجلس وأن تضجع، وهذه السماء فوقنا سقف كبناء بيتك ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ خلق بني آدم على أحسن تقويم، فالإنسان أحسن ما خلق الله، لأنه خلق آدم على صورته[1]. الإنسان خلق على صورة محمد: الرأس ميم، والمنكبان حاء، والبطن ميم، والقدمان

1 – جاء في الصحيحين عن أبي هريرة واللفظ للبخاري (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه "ورحمة الله" فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن) صحيح البخاري: كتاب الاستئذان/ باب بدء السلام (6227) وفي صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (5075). وقد تقدم في الدرسين 13 و23.

دال، هذا محمد، كل الحيوانات والدواب يمشون على أربعة أقدام والبشر يقف على رجلين رأسه إلى السماء، اليدان مستويتان والقدمان والعينان والأذنان "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ وكل الأشياء يعيشون إما بالحشيش وإما باللقط والإنسان لا يعيش إلا بثمرة، لأن الإنسان ثمرة المخلوقات، فطعام الإنسان من الثمر دائما، ومركب من أجزاء لا يعيش على نوع واحد إكراما من الله تبارك وتعالى لهذا الإنسان ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ الذي ميزكم عن الخلائق بهذه الصفات هو ربكم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ كثرت خيراته للإنسان ﴿هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أطفالا ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُواْ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ بعد أن كان الإنسان شابا قويا جلدا يرجع شيخا كبارا ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ﴾ بعض بني آدم يموتون في الصغر قبل الأشد وقبل الشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُواْ أَجَلاً مُّسَمًّى﴾ وقتا محدودا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ يريد إرادته ﴿فَيَكُونُ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان ﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾ في أرجلهم حذف لسوء تلك الحالة ﴿يُسْحَبُونَ﴾ يجرون بها

﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتا ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهي الأصنام ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ غابوا عنا فلا نراهم الآن ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْئًا﴾ أنكروا عبادهم إياها ثم أحضرتْ قال تعالى: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم" أي وقودها ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ذَلِكُمْ﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح ﴿ادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ في حياتك فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنعذبهم أشد العذاب. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ إن الله تبارك وتعالى بعث عددا من الأنبياء والمرسلين، قص على النبي صلى الله عليه وسلم بعضا منهم؛ هم خمسة وعشرون تقدم ذكرهم في سورة الأنعام، «ومنهم من لم نقصص عليك» قال المفسر[1]: روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، وهذا قاله تبرئة من هذا القول، إنما قاله تبعا، والصحيح ما ورد عن أبي ذر في حديثه قال: قلت يا رسول الله كم عدد الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر أو أربعة عشر أو ثلاثة عشر[2]. مائة ألف وأربعة

---

1 – يعني جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين ج16/4.

2 – أخرج الحاكم في مستدركه: حدثني أبو أمامة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم معلم مكلم، قال: كم بينه وبين نوح؟ قال: عشر قرون، قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟ قال: عشر قرون، قالوا: يا رسول الله كم كانت الرسل؟ قال: ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا. هذا

وعشرون ألفا عدد الأنبياء والمرسلين، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كلهم استمدوا من محمد حتى أن اسم محمد تضمن هذا العدد كلا: اسم محمد: ميم ثلاث مرات، الميم تسعون ثلاث مرات مائتان وسبعون، الدال خمسة وثلاثون على مائتين وسبعين هذه ثلاثمائة وخمسة، الحاء ثمانية، ثمانية مع خمسة ثلاثة عشر، هذا عدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر؛ ومن قال ثلاثمائة وأربعة عشر يمد "حا" ومن قال ثلاثمائة وخمسة عشر يقول "حاء". ببسط حروف محمد ثلاث ميمات – الشدُّ ميم – ثلاث ميمات كل ميم تسعون ودال وحاء هذا عدد الرسل.

مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا جم غفير وإذا لم نعرف عددهم حيث أن منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك نترك العلم لله تبارك وتعالى ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَّأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فَإِذَا جَا أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب ﴿قُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل الإبل خاصة هنا، والظاهر والبقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا﴾ لهذا قيل الإبل فقط ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ في البحر ﴿تُحْمَلُونَ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ فَأَيَّ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ

حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب التفسير/ كانت الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر (3089) ولأحمد في مسنده من حديث أبي ذر: قال قلت يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا) مسند أحمد: مسند الأنصار/ حديث أبي أمامة الباهلي (21257) وقد تقدم في الدرسين: 13 و36

عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ ما نفعهم على ما رفعوه من البناء، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: إذا كثر مال ابن آدم سلط الله عليه الماء والطين[1] والبناء للترفه وللرياء والسمعة والتكبر وإرادة الخلود، كل هذا البناء حسرة يوم القيامة، لا حق لابن آدم في مثل هذا؛ والبناء للمساجد أو المدارس أو المساكن قدر الحاجة فهذا داخل في الإنفاق المأمور به شرعا. كما يبني لسكنه يبني منزلا للضيف. "فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ" ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك منكرين له ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُون فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ شدة عذابنا ﴿قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

---

1 – (إذا أراد الله بعبد هوانا أنفق ماله في البنيان والماء والطين) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير الحديث رقم 398.

سورة فصلت

مكية ثلاث وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اجتمع قريش وقالوا نرسل واحدا منا يجادل محمدا هذا حتى يرده عما هو فيه، فاختاروا عتبة فذهب عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: إن قومك يناشدونك الرحم والقرابة أن تترك ما أنت عليه، فرقت جماعتنا وضللت عقولنا وسفهت آباءنا وسببت آلهتنا، نحن الآن أضحوكة بين جميع القبائل، قال كثيرا من السخافات. لما انتهى كلامه قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: أفرغت؟ قال: نعم. ابتدأ الرسول "حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون" حتى بلغ "فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" أمسك بفم النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: ناشدتك الله والرحم أن تكف، فصار يرتعد ويسقط شعره من شدة الفزع، فرجع إلى بيته لا إلى قومه واعتزل الناس ثلاثة أيام، فأتوه وقالوا: نحن بعثناك إلى محمد وما رجعت إلينا بجواب، قال لهم: أتيت الرجل وقلت له جميع ما قلتم، ولما فرغت قرأ حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته، فلما بلغ "أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" تيقنت أن الصاعقة تقع علي فناشدته الرحم إلا سكت وخرجت من عنده، وأنا أقول لكم إن هذا الرجل على الحق، وهذا الكلام ليس من كلام الإنس وليس من كلام الجن، هذا كلام رب العالمين، إن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وهذا الكلام يعلو ولا يعلى عليه[1]. – هذا كلام العدو – قيل له أصبأت؟ قال ما أقول

---

1 – جاء في تفسير ابن كثير بسند عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش يوما فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب

أنا أقول لكم الحق فقط، قالوا لا هو شاعر فقط. قال: تقولون إن محمدا شاعر؟

ديننا فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه، فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة، فقالوا أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا وشتت أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا وأن في قريش كاهنا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بضعنا إلى بعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحدا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فرغت؟) قال نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم} حتى بلغ "فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" فقال عتبة: حسبك حسبك، ما عندك غير هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك؟ قال: ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به إلا كلمته، قالوا: فهل أجابك؟ قال: نعم لا، والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدرى ما قال؟ قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال إلا ذكر الصاعقة. وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في سنده عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله سواء.

= وفي ما روى الحافظ أبو يعلى الموصلي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث إلى قوله: "فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه فقال أبو جهل: يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبأت إلى محمد وأعجبك طعامه فإن كنت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم ألا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى: "فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب. تفسير ابن كثير ج91/4.

تعلمون أني أشعركم، أنا أدرى الناس بالشعر أعرف هزجه ورجزه، وهذا ليس بشعر. قالوا: محمد مجنون، قال: تقولون محمد مجنون؟ أرأيتموه يختنق قط؟ أنتم تعلمون أن محمدا غير مجنون هو المسمى الأمين فينا قبل أن يقول ما قال. قالوا كاهن، قال: تقولون كاهن؟ هل رأيتموه أتى كاهنا قط؟ هو أبغض الناس للكهنة يبغضهم بغضا شديدا، قالوا كذاب، قال: جربتم عليه كذبة قط؟ تعلمون أن محمدا لا يكذب، من لا يكذب للناس لا يكذب على الله. اعتزلوه وقالوا الآن لم يبق لك إلا أن تصبو وإن صبوت عزلناك وطردناك عن مناصبك وكذا وكذا، فبعد ذلك أتاه الوليد قال له أنا أعلم أن هذا الذي جاء به هذا الرجل حق، وأنا إذا كذبته أقع في الوعيد الذي ذكر. قال له الوليد أنا أكفيكه فقط، اكفر وعلي ذنبه، فجاءه هو وأبو جهل قالا له أعطنا شيئا من الإبل واكفر بمحمد والذنب علينا ولا عليك شيء "أعطى قليلا وأكدى" صار يعطيهم شيئا وبعد ذلك تمرد وقال لهم لا أعطي شيئا في التكذيب بمحمد. ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك وهم العرب ﴿بَشِيرًا﴾ صفة "قرآنا" ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع قبول ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل ﴿وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ على ديننا ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُواْ إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والاثنين[1] ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم وهو ما سوى الله ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ نصب الجبال جبالا ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ في الأرض بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِي﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ خلق الباقيات في اليومين الباقيين، مضى أربعة أيام ﴿سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ عن خلق الأرض ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة[2] فرغ منهما في آخر ساعة منه. إن الله تبارك وتعالى ابتدأ خلق الخلق يوم الأحد وفرغ يوم الجمعة وخلق آدم يوم الجمعة وخلق حواء في الساعة الأخيرة منه وزوجه إياها فلهذا اختاروا يوم الجمعة يوم تزويج إلى يومنا هذا. الأحد ابتدأ الخلق وخلق السماوات والأرضين والشجر، يوم الاثنين خلق الشمس والقمر والنجوم، يوم الثلاثاء خلق الحيوانات الأنعام والوحوش وأباح ذبحها، ويوم الأربعاء خلق البحار وأباح شرب مياهها، ويوم الخميس خلق الجنة والنار أمرنا بطلب الجنة رغبة والفرار من النار رهبة، وخلق آدم يوم الجمعة. فلهذا العلماء يختارون يوم الأحد لبداية المسكن، لبداية العمارة من أراد السكنى، ويوم الاثنين للسفر، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرى في سفره الخميس والاثنين، ويوم الثلاثاء لإراقة الدم الختان والحجامة مثلا، ويوم الأربعاء لشرب

---

1 – قاله ابن كثير في تفسيره. ج94/4.

2 – قاله ابن كثير ج4/ 94

الدواء، ويوم الخميس للطلب والدعاء، ويوم الجمعة للتزويج[1]. ويوم السبت ما خلق الله فيه شيئا، فبكى السبت فوعده الله أن من خرج في بكور يوم السبت يطلب حاجة حقا أن الله يعينه على حاجته. الله تبارك وتعالى كان قادرا على إيجاد جميع الخلائق في لحظة في أقل من ثانية، خلق السماوات والأرضين في ستة أيام تعليما للتأني، فلهذا تجد التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان إلا في أشياء: التوبة

---

1 - أخرج أبو يعلى في مسنده عن ابن عباس قال: (يوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم السفر، ويوم الثلاثاء يوم الدم، ويوم الأربعاء يوم أخذ ولا عطاء فيه، ويوم الخميس يوم دخول على السلطان، ويوم الجمعة يوم تزويج وباءة). مسند أبي يعلى/ من مسند أبي سعيد الخدري (2614) ج479/4. تقدم في الدرس23.

وجاء في كشف الخفاء: (حرف المثناة الفوقية): أخرج أبو يعلى عن ابن عباس، وكذا ابن عدي، وتمام في فوائده عن أبي سعيد مرفوعا: يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر وطلب رزق، ويوم الثلاثاء يوم حديد وبأس، ويوم الأربعاء لا أخذ ولا عطاء، ويوم الخميس يوم طلب الحوائج والدخول على السلطان، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح.

ثم قال المناوي وقفت على أبيات بخط الحافظ الدمياطي، وقال إنها تعزى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي:

لنعم اليوم يوم السبت حقا ... لصيد إن أردت بلا امتراء
وفي الأحد البناء لأن فيـــه ... تبدى الله في خلق السماء
وفي الإثنين إن سافرت فيه ... سترجع بالنجاح وبالثراء
وإن ترد الحجامة فالثلاثـــا ... ففي ساعاته هرق الدماء
وإن شرب امرؤ يوما دواء ... فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج ... فإن الله يأذن بالقضاء
وفي الجمعات تزويج وعرس ... ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لا يدريـــه إلا ... نبي أو وصي الأنبيـــاء

تعجيلها ليس من الشيطان، وقضاء الدين تعجيله ليس من الشيطان، وتزويج البكر تعجيله ليس من الشيطان، وقرى الضيف، وتجهيز الميت، والصلاة في أول الوقت[1] ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾ حفظناها من استراق الشياطين السمع ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم ﴿صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ عذابا يهلككم مثل الذي أهلكهم ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا ﴿أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ قَالُواْ لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلاَئِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ من شدة حماقتهم ظنوا أن الإنسان لا يستحق أن يكون رسول الله، ومع هذا الحجارة عندهم تُعبَد تستحق الألوهية. أكمل المخلوقات لا يصلح أن يكون رسولا والجماد يصلح أن يكون ربا. هذا غاية الحماقة «فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ» ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُواْ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُواْ﴾ لما خوفوا ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ لا أحد كان واحد منهم يقلع الصخرة

---

1 – عن سهل بن سعد الساعدي عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأناة من الله والعجلة من الشيطان. سنن الترمذي: كتاب البر والصلة / باب ما جاء في التأني والعجلة (1935). وفي الجامع الصغير عن أنس: التأني من الله والعجلة من الشيطان. للبيهقي في الشعب (3390). وجاء في كشف الخفاء تعليقا على الحديث التأني من الله والعجلة من الشيطان ما نصه: وللغزالي عن حاتم الأصم قال العجلة من الشيطان إلا في خمسة فإنها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم: إطعام الطعام، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب. كشف الخفاء: حرف المثناة الفوقية (التاء) رقم (943). وقال الصاوي في حاشيته على الجلالين ج3/ 163 (مكتبة المنار): واستثنى العلماء من ذلك مسائل: إقراء الضيف وتزويج البكر وتجهيز الميت والصلاة في أول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب. وقد تقدم في الدرسين 23 و36.

العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء[1]؛ يروى أن الطويل منهم طول قامته مائة ذراع بذراعهم، والقصير ستون ذراعا، ومن غضب منهم يقلع الجبال الراسيات ويلقيها حيث يشاء، ويقولون: من أشد منا قوة الله الذي تقول ليس أقوى منا ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ الجحود الكفر بعد ظهور البينات ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ سلط الله عليهم ريحا باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ﴾ أيام مشئومات عليهم: الأربعاء الأخيرة من الشهر أو من شهر صفر خصوصا[2] ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ﴾ فلما أنذرهم هود قالوا إن الله تبارك وتعالى ليس أشد منا قوة، فقال إن الله سيهلككم، وكانوا في سني قحط فعرض عارض سحابة سوداء كأنها سحابة الأمطار "قالوا هذا عارض ممطرنا" قال هود: لا، العذاب الذي خوفتكم منه هو الذي يأتيكم ستأتيكم ريح تدمر كل شيء. قالوا: [الريح؟ الله ليس قادرا علينا من باب أولى الريح، الريح لا تقدر لنا على شيء] فلما عصفت الريح رأوا إبلهم تطير في السماء كأوراق الشجر، وهم مع عظم قوتهم كانت إبلهم أقوى منهم يركبون الإبل، إبلهم بمنزلة إبلنا منا، فلما نظروا إلى الإبل تطير في الهواء قالوا هذه الريح تقدر لنا على شيء ولكن لنا دواء كلنا يحفر حفرة حتى يصل إلى نصف قامته ويدفن نصف قامته، تتركنا الريح بعافية فإذا ذهبت الريح رجعنا كما كنا، فأتت الريح فقلعتهم جميعا وألقتهم على الأرض أمواتا. أيام نحسات هي الأربعاء الأخيرة

---

1 – انظر روح البيان ج8/243.

2 – روح البيان ج10/133.

من الشهر نحس عليهم، أما بالنسبة لنا فسيدنا علي يقول: الأيام كلها لله، لا يرى أن يوما خير من يوم أو يوما أحسن من يوم أو أبرك من يوم «لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ» ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ بينا لهم طريق الهدى ﴿فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَى﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ المهين ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ صاح عليهم جبريل فاحترقوا جميعا ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ واذكر يوم القيامة الهول الأكبر يوم حشر الله جميع أعدائه «إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ» ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ لما جاءوا وقالوا: "والله ربنا ما كنا مشركين" تعوّدوا الكذب فأرادوا أن يكذبوا على الله كما كانوا يكذبون على الرسول، ختم الله على أفواههم وتكلمت الأعضاء كلا: البصر: أنا نظرت كذا، السمع: أنا سمعت كذا، الجلود عبارة عن الفرج والبطن واليدين والقدمين، كل عضو جزء من الجلد ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ هو أولا قال «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» وهم ما عاتبوا السمع ولا البصر بل عاتبوا الجلود لأن الجلود - كما قلت - استغرقت السمع والأبصار وغيرها «وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا» ﴿قَالُواْ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة لا يخفى شيء، الرقيب الذي هو الله بصير، كل شيء عمله الإنسان أو قاله أو بقي في قلبه هو يعلمه، والأعضاء تشهد على الإنسان والبقاع تشهد على الإنسان، والزمان

الليل والنهار يشهدان كذلك، والملائكة تشهد واللوح المحفوظ "هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق" "لا يخفى على الله منهم شيء" قال الشبلي: "واسوأتاه وإن غفرت[1]" ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَّشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ﴾ الإنسان إن عمل شيئا يخفيه ما قدر أن يخفيه عن سمعه أو عن بصره أو عن جلده ﴿وَلَكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من علم أن الله رقيب لا يخفى عليه شيء، وإذا استحييت أن يراك أوجه الناس عندك وأنت تزاول شرا، فالله أوجه من هذا وهو رقيب بصير. كانت فتاة لعلها من الصالحين راودها شخص، قالت: حتى تقفل الأبواب كلا حتى لا يرانا أحد، فقفل جميع الأبواب، فقالت: بقي بابان لابد أن تقفلهما وإلا فلا أطاوعك: الباب بيني وبينك، والباب بيننا وبين الله، أنا أنظر ما تفعل والله ينظر، ما دمت لم تسدّ عنا هذين البابين فأنا لا أوافق ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ فَإِنْ يَّصْبِرُواْ﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَّسْتَعْتِبُواْ﴾ يطلبوا العتبى أي الرضى أو الرجوع إلى الدنيا ﴿فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ من المرضيين أو من المردودين إلى الدنيا ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ سببنا ﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة بقولهم لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب وهو "لأملأن جهنم" ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في جملة أمم ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَاسِرِينَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عند قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿لاَ تَسْمَعُواْ لِهَذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ أمروا

---

1 - روح البيان ج3/ 503.

جماعة من السفهاء إذا قرأ النبي صلى الله عليه وسلم أن يلغوا ويصيحوا بأعلى أصواهم حتى لا تسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، إذا دمتم على هذا العمل سيمل محمد ويسكت عن قراءته، قال تعالى ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أقبح جزاء عملهم ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ دار إقامة لا انتقال منها أبدا ﴿جَزَاءً﴾ بفعله ﴿بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أول من عصى الله إبليس، تكبر وقال أنا خير منه، والثاني قابيل قتل أخاه. أول معصية الحسد والكبر من إبليس، والقتل من قابيل[1]. فأهل النار يرون أن إبليس الذي سن معصية الله وقابيل هما اللذان أضلاهم، فطلبوا من الله أن يكون هؤلاء إبليس وقابيل تحت أقدامهم. فكل من دخل النار يضع قدميه قدما على رأس إبليس وقدما على رأس قابيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ﴾ على التوحيد ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عباد الله الذين آمنوا بالله ونطقوا بالشهادة ثم استقاموا على التوحيد وغير التوحيد مما وجب عليهم من الأعمال الصالحة «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» قيل عند الموت وقيل الآن، فيجوز نزول الملك على الولي الصالح ويبشره بمثل هذه البشارات الآتية، الآية قالت: «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» فقط، بعض المفسرين يقولون عند الموت وبعضهم يقول: لا، في الحياة وجائز هذا بهذه الآية، فعلى هذا الأولياء يشاهدون الملائكة ويتلقون منهم البشارات وذلك بصحة التوحيد واستقامة

---

1 – ذكر ابن كثير أنه ثبت في الحديث "ما قتلت نفس ظلما إلا كان ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل".

الأعضاء في العمل. الملائكة تنزل على المؤمنين سواء في حياتهم أو عند موتهم ﴿أَلاَّ تَخَافُواْ﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلاَ تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ستدخلون الجنة ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نحفظكم فيها ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون ﴿نُزُلاً﴾ رزقا مهيّئاً ﴿مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ هو الله تبارك وتعالى. ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم إذا فنيت أيام العبد في الدنيا استأذن الملكان اللذان كانا يصاحبانه في حياته يستأذنان ربهما إن صاحبنا حضر أجله فأذن لنا نذهب إليه فنحمده ونشكره ونثني عليه بما نعلم، فيأذن لهما فينزلان: جزاك الله خيرا عن نفسك جزاك الله خيرا نعم العبد الصالح ما كانت ذنوبك لتمنعنا من الصعود إلى السماء للعبادة والتسبيح نعم ما قدمت لنفسك، اخرج إلى خير يوم مر عليك قط، اخرج إلى الروح والريحان وجنة النعيم والرب عليك غير غضبان[1]، فيدنو منه الملك ويأتيه بأحسن ما خلق الله وهو المعراج الذي عرج به النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء فإذا نظر إلى المعراج تعجب من حسنه، إذا نظر إليه يفتح عينيه ولا يطبقهما بعد[2]. لهذا تجد المؤمن عند موته يفتح عينيه ينفتحان ولا ينطبقان فيأتونه بريح طيب من الجنة يشم

---

1 - أخرجه النسائي وابن ماجه في سننهما، سنن النسائي: كتاب الجنائز/ باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه (1810) وفي سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب ذكر الموت والاستعداد لها (4252).

2 - جاء في الأنوار المحمدية ليوسف النبهاني: روى ابن إسحاق من حديث الإسراء أنه عليه الصلاة والسلام قال: لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج ولم أر قط شيئا أحسن منه وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا احتضر. الأنوار المحمدية ص 340.

ذلك الريح ويتبعه نفسه والملك يخرج روحه شيئا فشيئا لا يحس به حتى يخرج، فإذا خرج اجتمع له الملائكة يبشرونه ويفرحون به حتى صعدوا إلى السماء الدنيا والثانية والثالثة إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، هذا موت أولياء الله. وإذا كان غير ذلك يستأذن الملكان إن صاحبنا أتى عليه أجله مرنا نذهب إليه فنقول ما نعرف فيه، فيقال اذهبا إليه، فيأتيانه ويقولان له: بئس العبد أنت، بئس ما قدمت لنفسك، إن كانت ذنوبك لتمنعنا من الصعود إلى السماء والتسبيح لخالقنا، فاخرج إلى شر يوم مر عليك قط، اخرج إلى نزل من حميم وتصلية جحيم والرب عليك غضبان، فيدنو الملَك فيطعنه فينزع روحه نزعا يبكي ويصيح بأعلى صوته حتى يسمعه جميع الخلائق إلا الثقلين[1] حجبتهم ذنوبهم عن أن يسمعوا هذا الصوت ولو سمعوا صوته وحده لماتوا عن آخرهم من شدة فزعه، فإذا خرج الروح ضربوه بالمقامع فيدخل في الأرض السابعة، إلى سجين عكس الأول. كان عبد الله بن عمر مسافرا في ليل وحده فمر بقليب بدر فرأى رجلا أسود عليه نار تتقد ويقاد بسلسلة وهو يقول يا عبد الله اسقني ماء، يا عبد الله اسقني ماء قتلني العطش، فقال الذي يقوده يا عبد الله لا تسقه، قال: فلم أعرف هل الرجل يعرفني فدعاني باسمي عبد الله أم على عادة العرب إذا لم يعرفوا الشخص يقولون يا عبد الله. فأتى وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال: أو رأيته؟ قال له: نعم رأيته. فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سفر الإنسان وحده في الليل لئلا يرى شيئا من هذا، قال: ذاك الذي رأيت أبو جهل بن هشام. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ لا أحد أحسن قولا من إنسان دعا

---

1 – جاء في حديث أنس قوله صلى الله عليه وسلم: (...ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين). رواه البخاري: كتاب الجنائز/ باب الميت يسمع خفق النعال (1338)

الناس إلى الله تبارك وتعالى ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ والدعوة إلى الله تبارك وتعالى بأنواع وأقسام، فالدعاة إلى الله الأنبياء أولا، ثم الأولياء، علماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)[1] والدعاة إلى الله في هذه الأمة على أقسام: قسم يدعون إلى الله بالسيف وهم المجاهدون، وقسم يدعون إلى الله بالأذان عند الوقت، المؤذنون من الدعاة إلى الله تبارك وتعالى، (من أذن لله سبعة أعوام لم تأكل الأرض جسده)[2] بشرط أن يكون يؤذن لله، فالمؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة[3] فهؤلاء من الدعاة إلى الله؛ وقسم يدعون إلى الله بتعليم العلوم: الفقه والأصول والقرآن والحديث وتفسير القرآن. هذه علوم الشريعة تعليمها دعوة إلى الله تبارك وتعالى، وقسم يدعون إلى الله تبارك وتعالى بتربية

---

1 – (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) أخرجه الزيلعي في كشف الخفاء: حرف العين المهملة/ حديث رقم (1744). وهو الحديث الثامن في باب الفضائل من كتاب التذكرة للزركشي، نقل مصطفى عبد القادر عطا في تحقيقه عن النجم قوله: وممن نقله جازما بأنه حديث مرفوع الفخر الرازي وموفق الدين ابن قدامة والأسوي والبارزي وفتح الدين الشهيد وأبو بكر الموصلي والسيوطي في الخصائص وله شواهد ذكرها في حسن التنبيه لما ورد في التشبيه. التذكرة (ص167دار الكتب العلمية). تقدم في الدرس24

2 – (من أذن لله سبع سنين محتسبا كتب الله له براءة من النار) رواه الترمذي عن ابن عباس. كتاب الصلاة/ باب ما جاء في فضل الأذان(190) وقال الإمام التتائي في شرح الرسالة:

لا تاكل الأرض جسما للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب أذانه لإله مجري الفلك

من شرح العلامة ميارة على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر . ص59 مكتبة المنار–تونس. وقد تقدم ذكره في الدرس 14.

3 – أخرج مسلم في صحيحه عن طلحة بن يحيى عن عمه قال كنت عند معاوية بن أبي سفيان فجاءه المؤذن يدعوه إلى الصلاة فقال معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة. صحيح مسلم: كتاب الصلاة/ فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه (580).

النفوس وتحبيب الناس إلى الله يحبون الله ويحبهم، والله إذا أحب عبدا كان له سمعا ولسانا وبصرا، فكل هؤلاء الأقسام من الدعاة إلى الله تبارك وتعالى. رجع الرسول صلى الله عليه وسلم من الجهاد وقال: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)[1]. الجهاد الأصغر الجهاد بالسيف والجهاد الأكبر مجاهدة النفس والهوى والشيطان تقربا إلى حضرة الملك الديان. فمن دعا إلى الله بنوع من هذه الأنواع وعمل عملا صالحا وقال إنني من المسلمين، هذا أحسن الناس قولا، ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ﴾ لا يستويان في جزئياهما لأن بعضهما فوق بعض ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ادفع السيئة بالخصلة التي هي أحسن، التخلق بمكارم الأخلاق أن تدفع السيئة بالتي هي أحسن الغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو. من مكارم الأخلاق أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك[2]. وهذا صعب على النفس ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ إذا كان الإنسان يسيئ إليك وتحسن إليه ويقطعك وتصله ويظلمك وتعفو عنه ينقلب صديقا بعدما كان عدوا ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ لا يعطى هذه الخصلة ﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ﴾

1 – أخرج السيوطي في الجامع الصغير من رواية الخطيب عن جابر: (قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: مجاهدة العبد هواه). رقم (6107) وورد في الإحياء للإمام الغزالي معزوا للبيهقي في الزهد الحديث (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر). إحياء علوم الدين: ج118/3. وقد تقدم في الدروس 6، 10، 21، 22 و39.

2 – أخرج السيوطي في جمع الجوامع عن أنس (مكارم الأخلاق عند الله ثلاثة تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك) الجامع الكبير للسيوطي ج744/1. وجاء في مسند الإمام أحمد عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من منعك وتصفح عمن شتمك) مسند أحمد: مسند المكيين/ حديث معاذ بن أنس الجهني (15065) تقدم في الدرس13.

لابد من الصبر ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه غضبا شديدا فقال له بعض الصحابة "خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" ما معنى هذا؟ وكان عمر وقافا عند كتاب الله تبارك وتعالى فكظم غيظه وعفا عمن ظلمه[1] « وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ» ثواب «عَظِيمٍ» ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ الإنسان يتكلف هذا أولا حتى يصير طبعا له، والشيطان لابد أن يصرفه في بعض الأوقات عن هذه الخصلة. إذا عرض أمر شيطاني ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ كان رجل مغضبا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم يخاصم حتى انتفخت أوداجه واحمرت عيناه وهو يسيئ ويتكلم بسوء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الشيطان أوقد نارا في قلبه فترى عينيه محمرتين من أثر تلك النار التي أوقد إبليس في قلب الرجل، وأنا أعلم شيئا لو فعله لذهب عنه ما هو فيه: لو توضأ وأحسن الوضوء وجلس إن كان قائما، أو اضطجع إن كان جالسا لذهب

---

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال هي يابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم "خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل. انفرد بإخراجه البخاري في الصحيح: كتاب تفسير القرآن/ باب خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (4642). تقدم في الدرس20.

عنه الشيطان[1]. الإنسان إذا غضب ينبغي له أن يتوضأ، هذا الوضوء يطفئ النار التي أوقد إبليس في قلبه وإن كان واقفا يجلس، وإن كان جالسا يضطجع لا يعمل فيه الشيطان ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ الآيات الأربع هذه من آيات الله. الليل من آيات الله والنهار من آيات الله، والشمس والقمر كذلك، من شدة حماقتهم جعلوا آيات الله هي الآلهة فيسجدون للشمس أو القمر أو الليل أو النهار، وهذه آيات الله لا تستحق العبادة، لا تسجدوا للأربع «وَاسْجُدُواْ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ» ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ فَإِنِ اسْتَكْبَرُواْ﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ﴾ الكفار إذا تكبروا عن السجود لله فذلك يضرهم ولا يضر الله شيئا، لأن الملائكة وهم أرفع منهم قدرا يصلون ليلا ونهارا لا يفترون أبدا. والإنسان لا يقدر على هذا ولكن عليك بالغدوة

---

1 - أورد ابن كثير في تفسيره ج279/2: إن رجلين تسابا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فغضب أحدهما حتى جعل أنفه يتمزع غضبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم). عن عطية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ). وعن أبي ذر قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع) أخرجهما أبو داود في سننه: كتاب الأدب/ باب ما يقال عند الغضب(4151 و4152) ولأحمد في مسنده: حديث عطية السعدي (17302)، حديث أبي ذر (20336).

والروحة وشيء من الدلجة[1] واكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا[2]، وإن المنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى[3]. من أراد أن يقطع المسافة مرة واحدة وكلف نفسه جميع الشدائد، هذا هو المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى. المسافر على ظهر جمله إذا أراد أن يقطع المسافة كلا في وقت واحد لا يفعل ويقتل جمله. ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وعلت ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ دائما يمثل البعث بهذا. هذه الأرض اليابسة ينزل عليها المطر فتخرج النباتات وبعد ذلك تيبس وتهلك مرة ثانية. ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ القادر على هذا قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحدَ ولحدَ ﴿فِي ءَايَاتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب ﴿لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فنجازيهم ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّنْ

---

1 – طرف من حديث للبخاري في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة. صحيح البخاري: كتاب الإيمان/ باب الدين يسر (39).

2 – أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتجر حصيرا بالليل فيصلي عليه ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون بصلاته حتى كثروا، فأقبل فقال: يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل. صحيح البخاري: كتاب اللباس/ باب الجلوس على الحصير ونحوه (5862) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب فضيلة العمل الدائم من ينام الليل وغيره (1302).

3 – روى البيهقي في سننه الكبرى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله، فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى). السنن الكبرى للبيهقي: جامع أبواب صلاة التطوع وقيام شهر رمضان/ باب القصد في العبادة والجهد في المداومة (4785). وفي الجامع الصغير ج1/ رقم 2509.

﴿يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ من يأتي يوم القيامة آمنا من العذاب خير ممن يأتي يوم القيامة فيلقى في النار في أول وهلة ﴿اعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ هذا تهديد من الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ نجازيهم الجواب محذوف ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ منيع ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ ليس قبله كتاب يكذبه ولا يأتي بعده كتاب يكذبه ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ هو الله المحمود في أمره ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ هذا تسلية ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ حتى نفهمها. لما قالوا إن محمدا واحد من قريش فقط لا يمكن أن يكون رسولا، أخبر الحق أنه لو أنزل هذا القرآن على رجل عجمي وبلغة العجم لقالوا هلا جاءنا القرآن بلسان عربي فصيح نفهمه، ولو جاء القرآن العربي على لسان عجمي لقالوا ﴿ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ عجمي يأتينا بكتاب عربي، هلا أتى نبي عربي بكتاب عربي؟ اليوم جاءهم كتاب عربي على لسان رجل عربي ولم يزالوا يجحدون ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ هدى من الضلالة وشفاء من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ كالقرآن بالتصديق والتكذيب، بعضهم آمن بالتوراة وبعضهم كذب بالتوراة، وبعضهم آمن بالقرآن وبعضهم كذب بالقرآن ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾

عمله لنفسه لأنه هو الذي يأخذ جزاء عمله ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ بذي ظلم، الله تبارك وتعالى ليس بظلام للعبيد، ليس بظالم أصلا، أتى بصيغة المبالغة ومعناه أنه ليس بذي ظلم أو لا يظلم أحدا لأن الخلائق كثيرون، لو كان الله تبارك وتعالى ظالما للخلائق لكان ظلاّما، لأن الظلاّم من كثر ظلمه، ومن ظلم كثيرا من الخلق لابد أن يكون ظلاّما. فالله ليس بظالم أصلا ولو كان ظالما لظلم الخلائق جميعا فكان ظلاّما. اللهم صل على سيدنا محمد.

الدرس الخامس والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـــم

يا همة الشيخ احضري لنـــا بهذا المحضـــر
ولتعطفـــي بنظـــرة تأتي لنـــا بالظفـــر

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، هذا علم يرد إلى الله ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أي أوعيتها ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ﴾ الله تبارك وتعالى مطلع على جميع الأشياء ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُواْ ءَاذَنَّاكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ ما منا شاهد يشهد بأن لك شريكا رجعوا عن دينهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾ أي يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ مهرب من العذاب ﴿لاَ يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ الإنسان لا يسأم من دعاء الخير، لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ قنوط من رحمة الله وهذا وما بعده في الكافرين ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ﴾ آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿مِنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي بعلمي ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى﴾ إن ذهبنا إلى الآخرة وقدرنا أن هناك جنة فهي لنا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ الجنس

﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر عادهم ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ ثنى عطفه متبخترا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ إذا مسه الشر يدعو الله كثيرا ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ أقطار السماوات والأرض من النيرات والنبات والأشجار ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائي به. أخبر تبارك وتعالى أنه يرينا الآيات في الآفاق وفي أنفسنا حتى نعرف الحق، والآيات في الآفاق ما يقع في العالم الأكبر. العالم الأكبر من العرش إلى الثرى إلى ما تحت الثرى. وفي نفس كل إنسان، يقولون العالم الأكبر العالم كله، والإنسان هو العالم الأصغر، والرسول صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله أراهم الآيات والمعجزات في الآفاق وفي الأنفس، وأكثر آيات الأنبياء في الآفاق، وأكثر آيات محمد صلى الله عليه وسلم في نفسه. فأكبر آياته هذا القرآن الذي نزل عليه وحيا حرف ليس له جرم ولا لون، والآيات الكبار كالناقة والعصا والمائدة اضمحلت لم يبق لها أثر وهذه الآية باقية إلى آخر الدهر، فلهذا تجد الأولياء على قسمين: مَن آياته في الآفاق ومَن آياته في نفسه. فالوارث غير المحمدي آياته غالبا في الآفاق تجدهم يظهرون الخوارق والمعجزات كالطيران في الهواء والمشي في الماء وطي المسافات، والوارث المحمدي آياته في نفسه، الكشف النوراني، الكشف عن أسماء الله وصفاته ومعاني القرآن وقول الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه أكبر آية. فتجد وليا يأتي بخوارق العادات، بالخوارق في الآفاق، وتجد وليا محمديا لم يأت بمثل هذا وهو أجل منه مقاما. قال الجنيد: مشى رجال على الماء ومات بالعطش رجال وهم خير منهم. والعلماء يسمون الآفاق العالم الأكبر والإنسان

العالم الأصغر والحقيقة أن الواقع هو العكس، الإنسان هو العالم الأكبر، فتجد العالم منطويا في جرم هذا العالم الصغير الذي هو الإنسان، فالإنسان جسمه الذي أحاط به كالعرش ونفسه كالكرسي، وقلبه كالبيت المعمور، واللطائف الروحانية فيه كالجنان، والقوى الروحانية كالملائكة، وكما أن العالم الأكبر السنة ثلاثمائة وستون يوما فعدد مفاصل الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلا[1]، وكما أن في العالم الأكبر سبع سماوات وسبع أرضين، الإنسان فيه جلد ولحم وشحم وعظم وعرق ومخ ودم، كل شكل لا يشاكل الآخر. كما أن السماوات متباينة كذلك هذه الأجزاء في ابن آدم. والعالم الأكبر يجري بمكينة البروج الإثني عشر التي أقسم الله بها "والسماء ذات البروج" البروج اثنا عشر برجا، الإنسان فيه العينان والأذنان والمنخران والمخرجان والفم والسرة وكما أن العالم الأكبر يجري بمحركات سبعة وهي الكواكب السيارة الخمسة والقمر والشمس، هذه السبعة هي التي تحرك العالم، الإنسان فيه قوة باصرة وقوة ذائقة وقوة سامعة وقوة شامة وقوة لامسة، الحواس الخمس، والنطق قوة ناطقة والعقل قوة عاقلة، فالحواس الخمس تستمد من النطق، والنطق يستمد من العقل. كما أن في العالم الأكبر الكواكب السيارة الخمسة تستمد من القمر والقمر يستمد من الشمس. وكما أن العالم الأكبر فيه جبال

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه: عن زيد أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عبد الله بن فروخ أنه سمع عائشة تقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاث مائة السلامى فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار. صحيح مسلم: كتاب الزكاة /باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف(1675). تقدم طرف منه في الدرس2.

وسهول وبحار وأنهار ونباتات، فالإنسان فيه عظام بمنزلة الجبال وأمعاؤه بمنزلة البحور وعروقه بمنزلة الأنهار والجداول والمحل الذي فيه الشعر بمنزلة الأرض التي فيها نباتات ومحال لا شعر فيها بمنزلة السباخ. والإنسان إذا استقبلك كأن هذه عمارة، وإذا ولاّك ظهره كأن هذه قفار، وإذا سر يكون كالنهار، وإذا حزن يكون كالليل، وإذا ابتسم يكون كالبرق، وإذا تكلم يكون كالرعد، وإذا بكى يكون كالمطر، وإذا صاح يكون كالصواعق. والإنسان عندما يكون مولودا يكون كأنه في الخريف، وعندما يكون شابا يكون كأنه في الشتاء وإذا صار كهلا يكون كأنه ربيع وإذا كان شيخا يكون كأنه صيف. والإنسان عندما يولد يكون في بداية السفر، فالسنون بمنزلة القرى والمنازل، والشهور بمنزلة الفراسخ، والأسابيع بمنزلة الأميال، وكل نفَس بمنزلة الخطى. ورأس المال عمره، ربحه هو دخول الجنة وخسارته دخول النار. والإنسان مع هذا كله تجتمع فيه طبائع جميع الحيوانات فهو حامل كالبعير وكالحمار، وحليم كالجمل، وفيه الحقد كالحيات، وفيه التكبر كالنمر والفهد، وفيه الشجاعة والجراءة كالأسد، وفيه البكور كالغراب، وفيه التملق كالهرة، وفيه التلون كالبراغيث، وفيه المكر كالشياطين، وفيه الإفساد كالثعلب والذئب، وفيه الشهوة كالبهائم، وفيه عبادة الله وذكره ومعرفته كالملائكة. والإنسان في الحقيقة هو العالم الأكبر[1] «سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ» في أقطار السماوات والأرض المعبر بها عن العالم الأكبر «وَفِي أَنفُسِهِمْ» المعبر عنه بالعالم الأصغر، وأنا لم أوافق «حَتَّى يَتَبَيَّنَ

---

1 – جاء في روح المعاني ج 30/ 175 عن علي كرم الله وجهه قوله في وصف الإنسان:

دواؤك فيك ولا تشعر   وداؤك منك وما تصبر

وتزعم أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

لَهُمْ أَنَّهُ» القرآن هو «الْحَقُّ» على قول المفسر[1] أو حتى يتبين لهم أنه تبارك وتعالى هو الحق. إذا أراكم آياته في الآفاق وفي الأنفس يتبين لكم أن الله هو الحق وما سواه هو الباطل. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما؟ الله تبارك وتعالى كونه حاضرا في كل شيء لا يكفيهم أنه هو الحق؟ فبهذا تجد من الأولياء من يقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه، ومنهم من يقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله بعده، ومنهم من يقول: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله[2]. إن كان معه شيء فهذا أولى. منهم من إذا رأى شيئا ذلك الذي رأى يقوده إلى الوجود الذي أوجد هذا الذي رأى حتى يصير كأنه ما رأى إلا الوجود المطلق لهذا يقول الرفاعي: انظروني تبصروه فهو الحاضر عندي، انظروني تبصروه، ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه أو قبله أو بعده. ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ مع هذا القرب فإنهم في شك من لقاء الله تبارك وتعالى ﴿أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ هو محيط بكل شيء فكيف يغيب؟. الحجاب القدرة فقط، لا شيء إلا الوهم.

---

1 – هو جلال الدين المحلي. انظر الجلالين ج30/4.

2 – قال الإمام الغزالي في مجموع رسائله: إعلم أن أرباب البصائر ما رأوا شيئا إلا رأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله لأن منهم من يرى الأشياء به، ومنهم من يرى الأشياء فيراه بالأشياء، وإلى الأول الإشارة بقوله: "أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد" وإلى الثاني الإشارة بقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" مجموع رسائل الغزالي ص279.

سورة الشورى

مكية إلا "قل لا أسألكم" الآيات الأربع

ثلاث وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حمٓ عٓسٓقٓ﴾ كلمتان هنا، بخلاف ما قبلها "كهيعص" كلمة واحدة، "ألمص" "ألمر" كلمة واحدة و"حم عسق" كلمتان، فذوات الحواميم سبع. "حم" الله أعلم بمراده هذا أصح ما يقال في تفسيره. سئل ابن عباس ما معنى هذا فسكت، سئل مرة فسكت، سئل مرة فسكت وكان بالمجلس حذيفة بن اليمان، فقال: تسألون الرجل عن شيء لا يحب أن يتكلم فيه. هذا معناه أن جماعة من آل بيته سيبنون مدينة تسمى بغداد في دجلة فيتجبرون ويبغون، والله يمطر عليهم نارا فإذا أصبحوا يكونون كأنهم لم يوجدوا قط. قال له هذا سيقع في العباسيين. فلهذا ما أحب ابن عباس أن يتكلم في تفسير هذه الحروف ولكن هو يعلمها جيدا[1]. ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ

---

1 – جاء في تفسير الطبري ج25/ص6: عن أرطأة بن المنذر قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه: أخبرني عن تفسير قول الله تعالى "حم عسق" قال فأطرق ثم أعرض عنه فلم يجبه بشيء وكره مقالته، ثم كررها الثالثة فلم يجر إليه شيئا، فقال له حذيفة رضي الله عنه أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فإذا أذن الله تبارك وتعالى في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت؟ فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى "حم عسق" يعني عزيمة من الله تعالى وفتنة وقضاء حم 'عين' يعني عدلا منه 'سين' يعني سيكون 'قاف' يعني واقع بهاتين المدينتين.

اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على خلقه ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير ﴿يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ الناس مكبون على شهواهم ومعاصيهم وربما غضب الجليل حتى يكاد السماوات يتفطرن من فوق الخلائق فيهلكون فتقف الملائكة يسبحون بحمد رهم ويستغفرون لمن في الأرض، حتى يسكن غضب الجليل تبارك وتعالى ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ هم. «يستغفرون لمن في الأرض» عموم يراد به الخصوص أي من المؤمنين، بدليل آية حم غافر "ويستغفرون للذين آمنوا" فهنا لمن في الأرض وهناك للذين آمنوا، إذاً «لمن في الأرض» عموم مقيد بآية "ويستغفرون للذين آمنوا". أو الاستغفار على مراتب يستغفرون لمن في الأرض جميعا بمعنى الإمهال وحصول النعمة والستر والعافية والهداية، فمن هداه الله ولحق بالمؤمنين يجد الاستغفار في المرتبة الثانية أن يغفر الله لهم سيئاهم ويدخلهم الجنة. فبهذا الاستغفار يترقون إلى الهداية ويجدون الإيمان فإذا آمنوا استغفروا لهم استغفارا حقيقيا وهو غفران ذنوهم وإدخالهم الجنة «أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ﴾ الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ﴾ محص ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تحصل المطلوب منهم ما عليك إلا الإبلاغ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾ تخوف ﴿أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ خوفهم بهذا اليوم الكبير يوم القيامة يجمع فيه الخلائق ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك في ذلك ﴿فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ يوم الجمع هو هذا اليوم يجمع جميع الخلائق وينادي مناد: فريق

في الجنة وفريق في السعير، الإنسان ينبغي منه أن يتوهم دائما ذلك المجلس صنفان صنف مكرم مصان وآخر مبعد مهان، صنف نصبت لهم الأسرة والحجال وجمعت لهم الرغائب والآمال، وآخرون أعدت لهم الأراقم والصلال[1] والسلاسل والأغلال، وضروب الأهوال والأنكال. لم يدر أي أحد منا من أي الصنفين هو ولا في أي الفريقين يكون. هنا محل الكسب وهنالك لا يمكن لأحد أن يزيد من حسناته ولا أن ينقص من سيئاته. بكى سفيان الثوري ليلة إلى الصباح قيل له وما بكاؤك؟ أفي الذنوب؟ أخذ تبنة من الأرض قال: الذنوب أهون من هذا إنما أبكي لخوف الخاتمة، المدار على الخاتمة. سمع منشدا يقول: [أيا راهبي نجران ما فعلت هند] فقال: ما فعلت بي الأقدار أنا؟[2] الناس على أقسام منهم من نظره في السابقة (رفعت الأقلام وجفت الصحف)[3]، (هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي)[4] "لا

---

1 - قال الرازي في الصحاح: الأرقم الحية التي فيها سواد وبياض، ص201/ ط2 دار الحداثة، الصل: الحية التي لا تنفع منها الرقية ص291.

2 - بكى سفيان الثوري رحمه الله ليلة إلى الصباح فقيل له بكاؤك هذا على الذنوب فأخذ تبنة من الأرض وقال الذنوب أهون من هذا إنما أبكي خوف الخاتمة. ...وسمع بعض الصالحين منشدا ينشد [أيا راهبي نجران ما فعلت هند] فبكى ليلة إلى الصباح فسئل عن ذلك فقال قلت في نفسي ما فعلت الأقدار في وماذا جرت به علي. تفسير الثعالبي ج4 / 102.

3 - (رفعت الأقلام وجفت الصحف) طرف من حديث أخرجه الترمذي في سننه عن ابن عباس، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (2440) وقد سبق تخريجه في الدروس 15و18و20و26و34.

4 - ورد في رواية للإمام أحمد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي قال فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر) مسند أحمد: مسند الشاميين/ حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي (17000). وقد تقدم في الدرسين 16 و20.

تبديل لكلمات الله" منهم من يتفكر في هذا الذي سبق، ما لك فيه؟ هل أنت من أهل السعادة أم من أهل الشقاوة؟ ومنهم من نظره في الخاتمة لأن الأعمال بالخواتم، يخافون الخاتمة كثيرا، والعارف ابن وقته ما مضى فات، المستقبل غيب لا مدخل لك فيه، ليس لك إلا الساعة التي أنت فيها، فسقها في مرضاة الله تبارك وتعالى ولا عليك فيما مضى ولا فيما سيأتي. هذا كلام رهيب «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» ليس أحد إلا ويموت. ويوم القيامة لا يعلم أحد متى يأتي، وكلنا مشتغل في هواه وشهوته وأشغاله غير طاعة الله تبارك وتعالى والموت قريب، وبعد الموت ينادى: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على دين واحد وهو الإسلام، لو أراد الله أن يجمع الناس كلا على دين واحد وهو الإسلام لفعل، ولكنه لم يشأ ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّنْ وَّلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ شاء أن يباين الحظوظ، لابد من سعيد وشقي. فمن آمن فهو من أهل السعادة ومن لم يؤمن فهو من أهل الشقاوة. و(كل ميسر لما خلق له)[1] فمن أراد الله به السعادة يسر له الإيمان بالله وعمل الخير، ومن أراد به غير ذلك يسر له الكفر والفسوق والعصيان ﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الأصنام ﴿فَاللَّهُ هُوَ

---

1 – (كل ميسر لما خلق له) طرف من حديث أخرجه الشيخان عن علي رضي الله عنه ونصه كما للبخاري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة، قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى" الآية) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب فسنيسره للعسرى (4949)، وفي صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (4787). تقدم في الدروس 18و20.

﴿الْوَلِيُّ﴾ هو الناصر للمؤمنين ﴿وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يعبدون الأصنام ولكن الأصنام لا تنفع ولا تضر، وليست بأنصار، إنما الولي الناصر للمؤمنين هو الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ تبارك وتعالى يوم القيامة يفصل بينكم. قل لهم ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في ذلك الجعل، يكثركم بسببه بالتوالد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الله الذي يفعل هذا ليس كمثله شيء، العرب إذا أرادت التشبيه تأتي بالكاف أو بمثل، وإذا أرادت تأكيد التشبيه تجمعهما، مثله تشبيه، كهو تشبيه فجمعهما «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» أو يقولون الكاف زائدة أو مثل زائدة فليس كهو شيء «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» الله تبارك وتعالى جعل الأزواج والتوالد بسبب الأزواج سببا لكثرة الناس، فلهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة)[1] تزوجوا فإن خير هذه الأمة الذي هو المصطفى صلى الله عليه وسلم أكثركم نساء[2] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مفاتيح خزائنهما من المطر

---

1 – أخرج أحمد في مسنده عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول: تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة. مسند أحمد: مسند المكثرين/ (13080).

2 – أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: فتزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء. صحيح البخاري: كتاب النكاح /كثرة النساء (5069) وفي

والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَّشَاءُ﴾ امتحانا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة[1] نوح أول من أتى بالشريعة. إن الله بين لنا ما بيّن للأنبياء قبلنا ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الخليل ﴿وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد. أمر الله تبارك وتعالى بإقامة الدين، وإقامة الدين بالتوحيد وعدم التفرق. عدم التفرق ليس في الفروع، التفرق في الفروع ليس بمذموم (اختلاف أمتي رحمة)[2] لأنه من قلد عالما لقي الله سالما، ولكن التفرق في العقائد هو المذموم لأن العقيدة الصحيحة واحدة: تؤمن بالله لا تشرك به شيئا، لا شريك له ولا زوجة ولا ولد. وهو صلى الله عليه وسلم يقول: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ما أنا عليه وأصحابي)[3] ﴿كَبُرَ

رواية أحمد عن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس: تزوج فإن خيرنا كان أكثرنا نساء صلى الله عليه وسلم. مسند أحمد: من مسند بني هاشم (3327).

1 – (أول نبي أرسل نوح) ابن عساكر عن أنس حديث حسن. الجامع الصغير ج1/ رقم 2845.

2 – (اختلاف أمتي رحمة) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ج1/ (رقم 288). وقد تقدم في الدروس 9 و14 و20. وقال الثعالبي في تفسيره لقوله تعالى "ولا تفرقوا" يريد التفرق الذي لا يتأتى معه الائتلاف كالتفرق بالفتن والافتراق في العقائد، وأما الافتراق في مسائل الفروع والفقه فليس بداخل في هذه الآية بل ذلك هو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: (خلاف أمتي رحمة) وقد اختلف الصحابة في الفروع أشد اختلاف وهم يد واحدة على كافر. ج1/295.

3 – أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على

عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد ﴿مَنْ يَّشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُّنِيبُ﴾ يقبل على طاعته. الله تبارك وتعالى جعل الطريق إليه طريقين طريقة الاجتباء طريقة الجذب، وطريقة السلوك التوبة والإنابة إلى الله تبارك وتعالى. أما أهل الاجتباء والجذب فأحبهم الله بمشيئته فأخذ بقلوبهم وأوصلهم إلى حضرته من غير تكلف منهم بل قطع لهم المسافة بالمعونة لا بالمؤنة. هذه الأمة أمة محمد، ومحمد صلى الله عليه وسلم وصل إلى ما وصل إليه بالمعونة لا بالمؤنة، إبراهيم كابد المؤنة "إني ذاهب إلى ربي سيهدين" موسى كابد المشقة "ولما جاء موسى لميقاتنا" هذا بعدما صام أربعين يوما هذا كله بالمؤنة بخلاف "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى" هذا بالمعونة لا بمؤنة العبد، والأمة "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" الإراءة من الله لا من مؤنة العبد، وهذه طريقة الاجتباء. فالسالك يهديه إلى الحق، ومن أحبه واجتباه جذبه وأوصله إلى المراد بدون تكلف. فهما قسمان: سالك ومجذوب، فالسالك ما لم يجد جذبا فهو محجوب ولو عبد عبادة الثقلين وعلِم علم الأولين والآخرين حفظ المذاهب، محجوب من أهل الظاهر ليس له في الولاية شيء،

ثلاث وسبعين فرقة) وللترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي) سنن أبي داود: كتاب السنة/ باب شرح السنة (3980) وفي سنن الترمذي: كتاب الإيمان/ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (2565). وقد تقدم في الدروس 9، 14، 17، 26، و34.

والمجذوب لابد له من السلوك. مجذوب غير سالك انتفع بنفسه ولا ينفع غيره. قال الشيخ الأكبر:

لا تقتدي بالذي زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله[1]

وإن كان صحيحا ما يأتي به من الخبر من الله لا يُقتدى به، فهو مجذوب مسلوب أبتر إن لم يسلك، وإن سلك فهو الكامل. والسالك المجذوب كامل، مجذوب سالك كامل، سالك غير مجذوب ظاهري، مجذوب غير سالك مجذوب أبتر. والأنبياء كلهم مجذوبون، أخذهم الله من طريق الاجتباء ولكن كلهم رباه الحق في وقت فنائه يرجعه إلى شريعته. تجد الكفار كلما جاء نبي يرمونه بالجنون. الجنون فقد العقل فقط سواء من نوراني أم من ظلماني. إذا خطف عقل الإنسان نور رباني فهذا خطف نوراني ولكن العقل مفقود، فهو كأنه مجنون. وإن خطف عقله بشيء ظلماني فهذا هو المجنون. والكفار لا فرق عندهم بين الخطفين ولكن من فقد العقل فقط رموه بالجنون، فتجدهم رموا كل نبي بالجنون، مع أنهم كلهم في حال وصوله كمل في الحال ورجع إلى الدعوة إلى الله تبارك وتعالى. إبراهيم رأى كوكبا قال هذا ربي لا يعني أن الكوكب هو الله، هذا يعني مشهوده، رأى القمر قال هذا ربي،

---

1 – هذا البيت من أبيات أوردها الشعراني في كتابه الأنوار القدسية ج2/ ص6 وعزاها للشيخ محيي الدين في أول الباب الواحد والثمانين ومائة من الفتوحات وهي:

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله فقم بها أدبا بالله بالله
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم على الدلالة تأييدا على الله
كالأنبياء تراهم في محارهم لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهم حال تولهم عن الشريعة فاتركهم مع الله
لا تتَّبعْهم ولا تسلك لهم أثرا فإنهم ذاهلون العقل في الله
لا تقتدي بالذي زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

رأى الشمس بازغة قال هذا ربي. لو عنى الشمس لقال هذه في المرة الأخيرة، الشمس مؤنثة ولكن هذا ربي؛ وهذا إشارة إلى شيء قريب ولو كان ذلك الكوكب البعيد أو ذلك القمر البعيد أو تلك الشمس لقال بإشارة بعيدة وبتأنيث في المرة الأخيرة. ولكن هو رأى كوكبا قال هذا ربي، رأى القمر قال هذا ربي، رأى الشمس قال هذا ربي، والله يقول "وما كان من المشركين" هذا لو أراد إبراهيم أن الكوكب إله والقمر إله والشمس إله لكان من المشركين وهو ما سماه القرآن إلا وقال "وما كان من المشركين" وفي الحين كمل ورجع إلى الحق "إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين" وموسى "إنني أنا الله" رباه في الحين "وما تلك بيمينك يا موسى" أفاق فرأى يمينه فرأى عصا "قال هي عصاي" اشتغل بالحسيات "ألقها" ألقاها صارت ثعبانا صار يخاف، هذا ليس مجذوبا الآن، صحا "اذهب إلى فرعون". ﴿وَمَا تَفَرَّقُواْ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُواْ الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من محمد صلى الله عليه وسلم ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريبة ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ﴾ الإشارة ترجع إلى ما شرع الله للأنبياء قبلنا "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا" «فَلِذَلِكَ فَادْعُ» أي إلى ذلك فادع الناس، ادع الناس إلى ذلك التوحيد وعدم التفرق في التوحيد ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ استقم عليه كما أمرك الله. هذا كان أثقل شيء على النبي صلى الله عليه وسلم، خوطب بـ«استقم كما أمرت»[1] لأن قوة النبي صلى الله عليه وسلم اقتضت من الحق تبارك وتعالى أن

---

1 – نقل النووي عن ابن عباس في قوله تعالى "فاستقم كما أمرت" قال: ما نزلت على رسول الله صلى الله

يكلفه هذا التكليف الثقيل «استقم كما أمرت» لابد أن يستقيم كما أمره الله. ولما رأى هو صلى الله عليه وسلم ضعفنا نحن خاطبنا بقوله: (استقيموا ولن تحصوا)[1] أي لم تطيقوا، (اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا)[2]، قوة النبي صلى الله عليه وسلم اقتضت أن يؤمر بالاستقامة كما أُمر لا ينقص منه شيئا ونحن ضعفاء نستقيم ما استطعنا. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ بأن أعدل في الحكم ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ فكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ لا

عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قالوا: قد أسرع إليك الشيب فقال: شيبتني هود وأخواتها. شرح النووي لصحيح مسلم: كتاب الإيمان /باب جامع أوصاف الإسلام(55). وقد تقدم في الدرس26.

1 – أخرج أحمد وابن ماجه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن). سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها /باب المحافظة على الوضوء (273) وفي مسند أحمد: مسند الأنصار/ من حديث ثوبان (21344).

2 – أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحتجر حصيرا بالليل فيصلي عليه ويبسطه بالنهار فيجلس عليه فجعل الناس يثوبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون بصلاته حتى كثروا فأقبل فقال: يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل. صحيح البخاري: كتاب اللباس/ باب الجلوس على الحصير ونحوه (5862) وفي صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها /باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره (1302). وفي رواية أخرى للبخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله قال: (أدومها وإن قل) وقال: (اكلفوا من الأعمال ما تطيقون). صحيح البخاري: كتاب الرقاق /باب القصد والمداومة على العمل(6465). سبق تخريجه في الدرس الرابع والأربعين.

خصومة بيننا وبينكم ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.
تدبروا يا إخواني في هذه الآية، أقول لو لم ينزل من القرآن إلا هذه الكلمات العشر لكفى العبد «فَلِذَلِكَ فَادْعُ» هذه جملة ادع الناس إلى التوحيد «وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» عشر جمل تمسَّكْ بها طول حياتك ستغنيك عن دراسة الكتب "فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير" مختصر جدا وفيه علم الأولين والآخرين ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ نبيَّه ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ بالإيمان لظهور معجزاته وهم اليهود ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ فكلما خاطبه بـــ"وما يدريك" ما أعلمه، وما في القرآن من قوله "وما أدراك" فقد أعلمه[1]. وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل إنسان: «ما يدريك لعل الساعة قريب» لم يقل قريبة لأن التأنيث المجازي من شاء أثبته ومن شاء حذفه ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون متى تأتي ظنا منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾

---

1 – نقل البخاري في الصحيح في باب فضل ليلة القدر بعد ذكر سورة القدر: قال ابن عيينة ما كان في القرآن ما أدراك فقد أعلمه وما قال وما يدريك فإنه لم يعلمه. صحيح البخاري: كتاب صلاة التراويح/ باب فضل ليلة القدر (ترجمة الباب) تقدم في الدرس41.

برِّهِم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهْوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ كسبها وهو الثواب ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة أو أكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ بلا تضعيف بل ما قسم له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ العاملان يعملان واحد يعمل للدنيا وواحد يعمل للآخرة. من عمل للآخرة ضاعف الله له الأجر وكفاه أمر الدنيا، ومن عمل للدنيا لم يجد من الدنيا إلا ما قسم له وخسر الآخرة، (يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك)[1] «وما له في الآخرة من نصيب» ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ شياطينهم ﴿شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ الدِّينِ﴾ شرعوا أي الشركاء للكفار من الدين الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق، لأن الجزاء يكون يوم القيامة فقط ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ في الدنيا ﴿وَهْوَ﴾ الجزاء ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾ أنزهها بالنسبة إلى ما دونهم ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ تبشيرا ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الجنة وما فيها من النعيم ويكفي مبالغة في سعة نعيم الجنة أن لهم فيها ما يشاءون. هذا تبشير المؤمنين الذين آمنوا ﴿وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ﴾ إن قوما من المدينة جمعوا

---

[1] – عن عبد الله بن مسعود قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يقول الله عز وجل للدنيا: يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي يا دنيا من خدمك" معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري/ باب ذكر النوع الخامس والعشرين من علم الحديث. وتقدم في الدروس 29، 30، 39.

كثيرا من الأموال وأتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكافأة لهدايته لهم فقال الله «قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ» ﴿عَلَيْهِ﴾ على التبليغ ﴿أَجْرًا﴾ ما بلغهم الرسالة طالبا للأجر منهم ﴿إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي هي قرابتكم فإن له في كل بطن من قريش قرابة. المودة في القربى فسرها العلماء بتفسيرين: أن تودوه هو لقرابته منهم أي تحبوني لقرابتي لكم، أو «إلا المودة في القربى» إلا أن تودوا قرابتي[1] أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم: آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، كلهم داخلون في هذا، والشرفاء الحسنيون والحسينيون أولاد فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، المقصود بآل البيت هم لأن الله تبارك وتعالى لما أنزل "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت" كما تقدم أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم كساء خيبريا وأحاط به نفسه وعليا وفاطمة والحسن والحسين وقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي)[2] فأهل البيت هم أولئك.

---

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله إلا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس عجلت إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن /باب قوله: "إلا المودة في القربى" (4818) قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث بعد كلام: والحاصل أن سعيد بن جبير ومن وافقه كعلي بن الحسين والسدي وعمرو بن شعيب فيما أخرجه الطبري عنهم حملوا الآية على أمر المخاطبين بأن يوادوا أقارب النبي صلى الله عليه وسلم، وابن عباس حملها على أن يوادوا النبي صلى الله عليه وسلم من أجل القرابة التي بينهم وبينه، فعلى الأول الخطاب عام لجميع المكلفين، وعلى الثاني الخطاب خاص بقريش...إلى آخر كلامه.

2 – أخرج الترمذي في سننه عن عطاء بن أبي رباح عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" في بيت أم سلمة فدعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم عند موته (تركت فيكم كتاب الله وأهل بيتي)[1] ولن يفترقا، من ترك كتاب الله منهم فقد خرج من آل البيت، لن يفترقا حتى يردا

بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله، قال: أنت على مكانك وأنت على خير. سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة الأحزاب (3129) ولمسلم في صحيحه من كتاب الفضائل دون ذكر قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم هؤلاء أهل بيتي). تقدم في الدرس41. وأخرج أحمد في مسنده عن عطاء بن أبي رباح قال: حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي والحسين والحسن فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيبري قالت وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله عز وجل هذه الآية "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال: إنك إلى خير إنك إلى خير. مسند أحمد: حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم (25300).

1 – أخرج الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما). سنن الترمذي: كتاب المناقب /باب مناقب أهل البيت (3720). ولأحمد في مسنده عن زيد بن ثابت بلفظ: (إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض جميعا) وفي رواية: (إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض). مسند الأنصار/ حديث زيد بن ثابت عن النبي (20596-20667).

علي الحوض كتاب الله وعترتي. (أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)[1]

[..][2] ﴿وَمَنْ يَّقْتَرِفْ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فَإِنْ يَّشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وقد فعل حتى صبر الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ﴾ يثبته ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ المتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب من فضائل علي بن أبي طالب (4425).

2 – هنا أجاب مولانا الشيخ على سؤال ذي صلة بالموضوع بقوله: [يدخلون في القرابة القريبة لكن ليسوا هم الشرفاء المصطلح عليهم، محمد بن الحنفية وأولاده من بني هاشم ولكن ليسوا من آل البيت، حتى أولاد النبي صلى الله عليه وسلم أولاد زينب، الشرفاء الزينبيون ليسوا أولاد زينب بنت الرسول زوجة أبي العاص، وإنما زينب بنت فاطمة من علي لأن النبي صلى الله عليه وسلم تبنى أولاد فاطمة جعلهم أبناء ألحقهم بذريته حيث أنه ما عاش له ولد ذكر أقامهم مقام أبنائه].

لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ هو النار ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ الله تبارك وتعالى لو أجرى الرزق على وفق ما يتمنى كل إنسان لبغى الناس جميعا وأفسدوا في الأرض ولكن الله لا ينزل الرزق وفق أمانيهم بل وفق حكمته، يعلم أن لله عبادا ما يصلحهم إلا الفقر ولو استغنوا لهلكوا، ولله عبادا ما يصلحهم إلا الغنى ولو افتقروا لهلكوا[1] فأنزل بقدر ما يشاء يعلم المستحق للبسط والمستحق للضيق ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ يئسوا ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ يبسط مطره ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود عندهم. الولي من أسمائه تبارك وتعالى والولي اسم فاعل أو اسم مفعول. الولي الذي هو الله يتولى أحوال عباده أو يتولاه العبد، ينصر العبدَ أو يطيعه العبدُ. والولي العبد اسم فاعل بمعنى المواظب على عمل الخير أو اسم مفعول بمعنى من تولى الله جميع أموره. ويكفي أن سماه باسمه. الله حلّى الولي ثلاثة أسماء من أسمائه تبارك وتعالى: المؤمن اسم من أسمائه والإيمان الحقيقي معرفة الله، والعالم من أسمائه والولي من أسمائه. كيف يشترك معه في الأسماء إلا بفنائه عن نفسه وبقائه هو وحده تبارك وتعالى؟ إن لم يقع هذا فلا يمكن أن يشترك مع الله في اسمه، فلهذا قالوا: دائرة الولاية أوسع من دائرة النبوءة، فكل نبي ولي ولا

1 – ورد به حديث عن عمر أخرجه السيوطي في الجامع الكبير من رواية الخطيب: أتاني جبريل فقال: يا محمد ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى ولو أفقرته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ولو أغنيته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالسقم ولو أصححته لكفر، وإن من عبادي من لا يصلح إلا بالصحة ولو أسقمته لكفر. الجامع الكبير/حرف الهمزة مع التاء ج1/ص11. وفي كنز العمال: الفصل الرابع في الرباعيات (43433). تقدم في الدرس39.

عكس، فالولي يطلق على النبي، كل نبي فيه بحر نبوة وبحر ولاية. ولما جاء آخر الأنبياء وختم النبوءة فتح الولاية الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق صلى الله عليه وسلم؛ الولي اسم لله واسم لعبد الله. والولاية قسمان: صغرى وكبرى. فالصغرى كل من اتصف بصفة من الصفات التي مدحتها الشريعة المحمدية. مدحت الطاعة مدحت الصلاة وقيام الليل والصيام والزهد والكرم والورع والعفاف، من اتصف ببعض هذه الصفات فهذا ولي الشريعة. إن لم يكن عارفا بالله فهو ولي بالولاية الصغرى. والولي الذي معناه العارف بالله الذي وصل إلى هنالك هذا ولي بالولاية الكبرى. والولي الكبير يزاحم الولي الصغير في أعماله، والولي الصغير لا نصيب له فيما عند الولي الكبير ﴿وَمِنْ ءايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ﴾ فرّق ونشر، وهو كل ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ فرق جميع الكائنات، ومتى شاء جمعهم فهو قادر على جمعهم. بينا أخطب في مسجد مصر في الجامع الأزهر - وكان الروسي الذي ركب السفينة ودار في الفضاء في الآفاق قد رجع - طلب المصلون معي أن أتكلم في هذا الحادث في خطبتي فقلت: قال الله تبارك وتعالى "يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان" "يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس" وهذا هو الذي وقع، السفينة التي دارت في الفضاء ترجع محرقة الجوانب مسودة من آثار الحرق وأول سفينة طارت في أقطار السماوات والأرض سفينة روسيا اسمها في اللغة الروسية 'سلطان' "لا تنفذون إلا بسلطان" وقلت لهم والله تبارك وتعالى يقول "ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير" بث كثيرا في السماء وكثيرا في الأرض ومتى شاء جمعهم لأنه قادر على ذلك. وقال الله

تبارك وتعالى "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس" قلت: بعد ظهور هذه المعجزات لا أتوقع منهم إلا أن يؤمنوا بالله أو قرب هلاكهم. وأما محاولتهم الوصول إلى القمر والسكنى فيه والحلول فيه متمكنين فهذا ما لا يكون إلا بطاعة الله، لا يصلون إلى هذه الغاية أبدا حتى البارحة كان يحاوله أمريكا وفشلوا أيضا ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ كسبتم من الذنوب ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ كل ما أصاب الإنسان فمن باب ذنوبه مع أن الله يعفو عن كثير. ريئ جرح في يد علي بن أبي طالب، قيل له ما هذا؟ قال هذا مما كسبت يدي ويعفو عن كثير ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فتفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ وَمِنْ ءايَاتِهِ الْجَوَارِي﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال في العظم ﴿إِنْ يَّشَأْ يُسْكِنِ الرِّيَاحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يغرقهن بعصف الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُواْ﴾ من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ فلا يغرق أهله ﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءايَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ﴾ أثاث ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ﴾ موجبات الحدود من عطف البعض على الكل. إن الله تبارك وتعالى وعد عباده الصالحين وهم الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، والتوكل ثقة القلب بالله تبارك وتعالى لا ينافي الدخول في الأسباب. التوكل ثم التسليم ثم التفويض، التوكل أن يكون العبد واثقا بأن الله هو المعطي وهو المانع، سواء دخل في الأسباب أم لا. والتسليم أن يتمنى أن يقع كذا ولا يقع كذا ولكن كلما وقع ما

يخالف مراده سلم لله. التسليم بعد صدور القضاء. والتفويض أكمل من هذا كلا، المفوض ترك الأمر لله ما شاء فعل، وكل ما فعل فهو حسن عنده. قبل وقوع الشيء وبعده سواء. المسلّم لا يرضى إلا بعد صدور القضاء يرضى بما قضى الله، على أنه كان يتمنى غير هذا. والمفوض يختار ما اختار الله قبل صدور القضاء وبعده سواء «وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ» بعد المتوكلين عباد الله الذين لا يرتكبون موجبات الحدود. يرتكبون الصغائر ويجتنبون الكبائر فإن الله يغفر الصغائر باجتناب الكبائر. العينان تزنيان، والأذنان تزنيان، واللسان يزني، واليدان تزنيان، والقدمان تزنيان، ولكن الفرج هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه. زنى العين النظر، وزنى السمع الاستماع، وزنى اللسان النطق، وزنى القلب التمني، وزنى اليدين اللمس، وزنى القدمين السعي، ولكن إذا لم يدخل الفرج فقد كذب ذلك كلا، وإذا دخل صدق ذلك كلا[1] فزنت جميع الجوارح. لا تزني جميع الجوارح إلا بزنى الفرج أعاذنا الله من شره. ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ إذا غضبوا تجاوزوا ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه ﴿وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ﴾ أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الدولة الإسلامية الأمر فيها بالشورى يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ الذين إذا ظلموا انتقموا ممن ظلمهم. من ضربهم ضربوه ومن هجاهم هجوه. هذا الانتصار بعد البغي. البادي أظلم ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ الإنسان إذا ظُلم فانتقم قدر ما ظلم

---

1 - (أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه. صحيح البخاري: كتاب القدر/ باب وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون 6612. صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره 4801.

فلا حرج عليه. إذا قال: أخزاك الله، تقول أخزاك الله فقط ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الود بينه وبين المعفو عنه ﴿فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ هذا أكمل الانتصار ليس به باس، ولكن من عفا وأصلح حتى غرس المودة بينه وبين من ظلمه فذلك أجره على الله ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ البادين. ولكن من بدأ بالظلم فهو المبغض عند الله تبارك وتعالى، أعاذنا الله من ذلك ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ مؤاخذة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ الذين بدأوا ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بالمعاصي ﴿أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ من معزوماتها، بمعنى المطلوبات شرعا ﴿وَمَنْ يُّضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَّلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ﴾ يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ هل من سبيل إلى رجوع إلى الدنيا ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ على النار ﴿خَاشِعِينَ﴾ خائفين متواضعين أين التكبر الذي كانوا عليه؟ ﴿مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ضعيف النظر مسارقة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءامَنُواْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره بدفع عذابه عنهم ﴿وَمَنْ يُّضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة ﴿اسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد لا إله إلا الله والعبادة ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَّأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجأون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ إنكار لذنوبكم إن أنكر اللسان تكلمت جميع الجوارح ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم بل ما عليك إلا

البلاغ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةٌ﴾ بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قدموه. وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ﴾ كفور للنعمة ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ هذا هو الملك ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَّشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَّشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ يجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَّشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ الله تبارك وتعالى مالك السماوات والأرض وخالقهما والمتصرف فيهما كيف شاء هو الملك الحق يهب للإنسان إناثا إن شاء كما فعل للوط ليس عنده إلا بنات «ويهب لمن يشاء الذكور» كما فعل لإبراهيم لم تولد له بنت، أولاده كلهم ذكور "أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا" كما فعل لمحمد صلى الله عليه وسلم له أولاد ذكور وإناث "وَيَجْعَلُ مَنْ يَّشَاءُ عَقِيمًا" كما فعل لعيسى ويحيى. بدأ بالإناث تأنيسا للبنات، لأن الابن يفتخر على البنت دائما أنه أكمل منها، والناس يرغبون في الأبناء أكثر منهم في البنات، قدم الله الإناث في الآية تأنيسا لهن. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له حجابا من النار)[1] ومن يمن

---

1 – أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندي شيئا غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها و لم تأكل منها ثم قامت فخرجت، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته فقال: (من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار). صحيح البخاري: كتاب الزكاة/ باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة (1418) وفي صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب /فضل الإحسان إلى البنات (4763) ولفظه : (من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار). وعند الترمذي: (من ابتلي بشيء من البنات فصبر عليهن كن له حجابا من النار). سنن الترمذي: كتاب البر والصلة /باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات (1836).

المرأة تبكيرها بالأنثى[1]، البنت إذا كانت أول ما تلد إناثا فذلك علامة على بركتها ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا﴾ تكليم الله للخلق ما يمكن إلا من هذه الطرق: أن يوحي إليه وحيا في المنام أو بإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ﴾ أو يسمع الكلام ولا يرى ﴿أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً﴾ ملكا كجبريل ﴿فَيُوحِيَ﴾ الرسول إلى المرسل إليه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ الله ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي؟ فقال: أحيانا يأتيني الوحي مثل صلصلة الجرس وهو أشده[2]، يأتي الملك كأن عنده مقمعة من حديد يضرب على قلب النبي فيسمع الصوت. إذا تم حفظ الآية هكذا طبعت في قلبه، وهو أشد الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، تقول عائشة: ولقد رأيته يوحى إليه في اليوم الشديد البرد وإن جبينه ليتفصد عرقا[3] وأحيانا يأتيني الملك فيكلمني شفاها، يواجهه الملك ويقرأ الآية فيسمع منه ويحفظ، وتارة يسمع كلام الحق من وراء حجاب بلا واسطة الملك، وتارة يأتيه جبريل على صورة إنسان فيلقنه الآية، كل هذه أنواع من الوحي.

---

1 - "إن من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى" نقله القرطبي والثعالبي عن واثلة بن الأسقع وقال الثعالبي حكاه عنه الثعلبي ونقله الألوسي عن قتادة. القرطبي ج48/16، تفسير الثعالبي ج117/4، روح المعاني ج54/25.

2 - أخرج الشيخان واللفظ للبخاري وهو الحديث الثاني في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول) قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا. صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي/ باب بدء الوحي(2) وفي صحيح مسلم: كتاب الفضائل /باب عرق النبي في البرد وحين يأتيه الوحي (4303-4304).

3 - الحديث السابق.

الرسول صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل ستة وعشرين ألف مرة. تعلمون الفرق بينه وبين غيره، فموسى أتاه ست مرات فقط وهو من أجلّ المرسلين مقاما. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ قرآنا سمي القرآن الروح لأن القلوب تحيى به ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ ما كان يحفظ القرآن، ما حفظه إلا بالوحي ﴿وَلاَ الْإِيمَانُ﴾ الشرائع ما كان يعلم شرائع القرآن قبل الوحي، ليس الإيمان على ظاهره، أما الإيمان بالله فكل نبي ولاسيما هو يولد مفتوحا عليه، أول قدم للنبي هو الإيمان، لا يمر عليه كفر أصلا، إذاً الإيمان هنا فهم الشرائع كما يسمى بعض الأعمال إيمانا "ما كان الله ليضيع إيمانكم" أي صلاتكم إلى بيت المقدس ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ تدعو بالوحي ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الرسول صلى الله عليه وسلم يهدي بالوحي إلى الصراط المستقيم الذي هو دين الإسلام "إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ" «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ». قلت لكم محمد محمدان، محمد الصغير بشر من قريش من بني هاشم يحب ما يحبه بنو هاشم، هذا لا يهدي من أحب، فلم يهتد أبو طالب؛ ومحمد الكبير الذي هو خليفة عن الله تبارك وتعالى كل ما أحب أحبه الله هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع. «ألا إلى الله تصير الأمور» يقول المفسر[1] احترق مصحف فلم تحترق هذه الآية «أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ» وغرق مصحف فانمحى كله إلا قوله «أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ»

---

1 – المفسر هو الصاوي في حاشيته على الجلالين ج46/4 نقلا عن سهل بن أبي الجعد.

الأمور تصير إلى الله، ترجع إلى الله في المستقبل عند العلماء وفعلا وحالا عند من يعرف.

سورة الزخرف

مكية وقيل إلا "واسأل من أرسلنا" الآية تسع وثمانون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْكِتَابِ﴾ قسم بالقرآن ﴿الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه لأنكم من العرب ﴿وَإِنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ عندنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكمة بالغة ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنكُمُ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾ إمساكا فلا تؤمرون ولا تنهون؟ كنتم تظنون أن الله يخلقكم ويترككم كمثل البهائم فقط لا تؤمرون بشيء ولا تنهون ﴿إِن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ مع أنكم مشركون بالله ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك. هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَى﴾ سبق في الآيات ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك. فعاقبة قومك كذلك، كما هلك الكفار قبلهم فهم سيهلكون لا محالة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ هم مقرون بهذا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ فراشا كالمهد ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾ طرقا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم. كل قرية تسمى ستعرفون طريقا توصلكم إليها وتلك السبل إنما وضعها الله، ليست منكم ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفانا، ولو شاء لجعله طوفانا مطرا مستمرا، والناس يحبون المطر وإذا استمر أياما ملوا منه ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ﴾ مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياء ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُۥا﴾ تستقروا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكّر الضمير وجمع الظهر نظرا للفظ ما ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ إن الله تبارك وتعالى خلق لنا من الإبل ما نركب، والإنسان عندما يركب الإبل يتذكر نعمة الله تبارك وتعالى ويقول: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ من قال هذا أوان ركوبه على الدابة فإن الله يكفي الدابة ثقل الركوب، ما تشعر الدابة بركوب صاحبها عليها[1] وإذا ركب ولم يذكر الله يكون ذلك تعبا عليها، يركب هو ويركب الشيطان معه. ركب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال: سبحان الله والحمد لله والله أكبر سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين. ثم ضحك فقيل له: لم ضحكتَ؟ فقال رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا

---

1 – قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارقي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم يقول اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل اللهم اصحبنا في سفرنا وأخلفنا في أهلنا. تفسير ابن كثير ج125/4.

وضحك[1]. وقال إن العبد إذا قال هذا غفر الله له ذنوبه وأوجب له الجنة. وهذه الدواب خلقها الله إكراما للبشر، والركوب من خاصية البشر لا ترى شيئا من خلق الله يركب إلا الإنسان "ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر" يركبون في البر على الحيوانات، على الأنعام وفي البحر على الفلك، وإكرام هذه الدواب واجب بأن لا تضع الرحل على الدابة إلا وقت الركوب فقط، بعض الناس يضع الرحل زمنا طويلا وينتظر الركوب وذلك ليس بأدب، إنما الأدب عندما تضع السرج على الدابة تسرع في الركوب وتركب باسم الله وتسير بها رفقا، وإذا كان في أرض مخصبة تخليها تارة للرعي، وإذا كان في أرض جدب تسرع السير للخروج منها قبل أن تحب أن تأكل و لم تجد ما تأكل[2]. كان رجل ممن قبلنا عاش ثمانين سنة لم يعمل خيرا قط، فسافر مرة، فاشتد به العطش فمر ببئر في الفلاة فأخذ خشبا وحبالا حتى ربط سلما وصل إلى الماء فدخل في البئر عن طريق السلم حتى وصل

---

1 - أخرج الترمذي في سننه: عن علي بن ربيعة قال شهدت عليا أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله ثلاثا فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ثم قال الحمد لله ثلاثا والله أكبر ثلاثا سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت ثم ضحك فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك سنن الترمذي: كتاب الدعوات/ باب ما يقول إذا ركب الناقة (3368). وفي سنن أبي داود: كتاب الجهاد/ باب ما يقول الرجل إذا ركب (2235).

2 - أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض وإذا سافرتم في السنة فأسرعوا عليها السير، وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فإنها مأوى الهوام بالليل. كتاب الإمارة/ باب مراعاة مصلحة الدواب في السير والنهي عن التعريس في الطريق (3552).

إلى الماء وشرب حتى روي وخرج فوجد كلبا ينهش الأرض من شدة العطش أي يأكل الثرى من شدة العطش، فرحمه وقال هذا وقع له مثل ما وقع لي و لم يقدر أن يفعل كما فعلت وكان عنده خف فعاد إلى البئر وملأ الخف من الماء وصب للكلب وشرب حتى روي، ومات في ذلك اليوم وتنازعه الملائكة ملائكة العذاب وملائكة الرحمة، ملائكة العذاب قالوا لم يعمل خيرا قط، لابد أن نأخذه إلى النار، فقال الله بل سقى لي كلبا فاتركوه، فغفر الله له وأدخله الجنة قالوا: يا رسول الله سقاء الكلب فيه أجر؟ قال: في كل كبد رطبة أجر[1]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم جالسا يوما فأتى بعير توجه إلى الرسول فتعرض له الناس، قال الرسول: خلوه، فتركوه فأتى وهمهم بكلام وذهب، فقال الرسول: من مالك هذا؟ قيل: فلان، لشاب من الأنصار، قال: ادعوه، فدعوه فقال له: أنت مالك هذا الجمل؟ قال: نعم. قال: شكا إلي جملك أنك تجيعه وتتعبه لا تعطيه ما يأكل، وتواصل عليه العمل دائما، فقال: تائب لله يا رسول الله. فرجع وصار يحسن على جمله ويكلفه أقل مما كان يكلفه[2]. قال حتى الذبح إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وإذا قتلتم فأحسنوا

---

1 – عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال: (في كل كبد رطبة أجر). متفق عليه. صحيح البخاري: كتاب الأدب /باب رحمة الناس والبهائم (6009) وفي صحيح مسلم: كتاب السلام/ فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (4162) وفي رواية أخرى للبخاري في كتاب الوضوء (174): (فشكر الله له فأدخله الجنة).

2 – عن عبد الله بن جعفر قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثا لا أخبر به أحدا أبدا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل،

القتلة[1]، يعني الذبح برفق تحدد السكين حتى يكون حديدا ليسرع بالقتل قبل أن يؤلمه وتذبح ذبحا سريعا حتى لا يحس بالموت. ﴿وَجَعَلُواْ لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً﴾ حيث قالوا الملائكة بنات الله ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ قالوا الملائكة بنات الله، من قال لكم إن الله يتخذ لنفسه بنات؟ أيتخذ بنات ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ أنتم ﴿بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً﴾ جعل له شبها، الرحمن له بنات وكلنا إذا بشر ببنت ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مغتم من شدة الغم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غما، كيف ينسب هذا إلى الله تبارك وتعالى؟ أنتم تكرهون البنات وتنسبوها إلى الله تبارك وتعالى؟ ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُاْ فِي الْحِلْيَةِ﴾ المرأة خلقتها غير كاملة بحيث يمكنها أن تكون كالرجل في عدم الحلية والزينة، هي لابد أن تكمِّل زينتها بالحلي، لابد من شيء تجعله في قدميها ويديها وأصابعها وعنقها وأذنيها وشيء من فروعها لتتكمل بهذا ليست كالشاب يبقى لا حلي له وهو جميل ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ وفي الخصومة تضعف البنت عن أن تبين

فدخل يوما حائطا من حيطان الأنصار فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه قال بهز وعفان فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن وذرفت عيناه فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سراته وذفراه فسكن فقال: من صاحب الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: هو لي يا رسول الله فقال (أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه). أخرجه أحمد في مسنده: مسند أهل البيت/ حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (1654) وأبو داود في سننه: كتاب الجهاد/ ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (2186).

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته. صحيح مسلم: كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان /باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة (3615).

حجتها لضعف الأنوثة، تريدون أن تجعلوا هذا لله تبارك وتعالى؟ هو لا يتخذ ولدا ولو كان يتخذ ولدا لكان ابنا على الأقل ﴿وَجَعَلُواْ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ من قال لهم إن الملائكة إناث؟ ﴿أَشْهِدُواْ﴾ في قراءةٍ أَشَهِدُوا ﴿خَلْقَهُمْ﴾ رأوا الملائكة ورأوهم إناثا؟ ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ هم شهدوا أن الملائكة إناث والله يكتب هذه الشهادة ويقيمها عليهم حجة يوم القيامة ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في الآخرة فيترتب على هذا السؤال العقاب لأنه كذب ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أتوا بشبهة أخرى، قالوا إنا عبدنا الملائكة بمشيئة الله، هذا حق وهو راض بذلك إذاً، لما كان بمشيئته فهو راض، وهذا كذب، هم قالوا كلمة وبنوا عليها أخرى، والكلمة حق والتي بنوا عليها كذب، جعلوا الحق بمنزلة الخلق، إن الله تبارك وتعالى شاء شركهم وعبادتهم للأصنام ومعاصيهم، لولا أنه شاء هذا ما كان، ونحن معشر المخلوقين إذا شئنا شيئا سنرضى به لأننا لا نشاء إلا شيئا فيه منفعتنا وليس فيه مضرتنا، فالإنسان لا يشاء إلا ما فيه منفعته، فإذاً كل ما شاء الإنسان فهو راض به، والحق بعكس ذلك. الله لا يكون إلا ما شاء، ولكن هو يشاء شيئا ولا يرضى به، "إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر" هو الذي شاء الكفر ولكن لا يحبه، هو الذي خلق الكافرين وهو عدو للكافرين "فإن الله عدو للكافرين" هو الذي خلق المعصية وشاءها ولكنه لا يحبها، هو الذي خلق الطاعة والتوبة والطهارة ويحبها "إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين"، "لو شاء الرحمن ما عبدناهم" هذا صحيح، ' فهو بهذا راضٍ ' كذب ﴿مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون ﴿أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ لا ﴿بَلْ قَالُواْ إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا

وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ هذه كلمة سابقة. ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَافِرُونَ﴾ قال تعالى ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ من المكذبين للرسل ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ عاقبتهم الهلاك فقط، السعيد من اتعظ بغيره، إذا نظر الإنسان إلى إنسان فعل شيئا وهلك يتجنبه هو، هذا هو العاقل، وهم ما فعلوا ذلك، سلكوا عين الطريق التي سلك من قبلهم من الكفار فهلكوا، هم لا عقل عندهم. كان ملك من الملوك سأل في ملإ: ما هو أطيب اللذات؟ أجابته بنت صغيرة عنده: أطيب اللذات الجماع والخمر والمملكة، فقال اقتلوها صبية في هذه السن تعرف خبر الجماع؟ لابد أن أقتلها، قالت: لا والله ما اختبرته ولكن سلني. قال: ولِم قلتِ؟ قالت: رأيت أمي إذا حملت هذا الذي يصيبها من الحمى والمشقة وإذا أخذها الطلق تكاد تموت وعندما طهرت من نفاسها رأيتها معك على الفراش فعلمت أن هذا الذي تكابد من المشقة لولا أن الجماع لذيذ لتركته، من هذا فقط؛ والخمر رأيت السكران يكابد كل ويل وبعد ذلك يعود إلى شرب الخمر، والمملكة رأيت أمراءك كل يوم تأخذ أميرا وتحبسه وتضربه وتصلبه وتقتله ومع ذلك الناس يبادرون يطلبون محله ولم يتعظوا بما وقع فيه فعلمت أن هذا لذيذ فأجازها[1]. السعيد من اتعظ بغيره ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ يرشدني ﴿وَجَعَلَهَا﴾ كلمة التوحيد المفهومة من قوله "إني ذاهب إلى ربي سيهدين" ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ذرية إبراهيم فلا يزال فيهم من يوحد الله إلى يوم القيامة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه إلى دين

---

1 - روح البيان ج8/ 363.

إبراهيم أبيهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ المشركين ﴿وَءَابَاءَهُمْ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَافِرُونَ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم من القريتين من أي منهما، لو كان القرآن نزل على الوليد بن المغيرة بمكة أو على عروة بن مسعود الثقفي بالطائف[1]، نعم أولئك كبراء أعزاء أغنياء، وأما محمد هذا شاب مسكين ليس عنده شيء، يتيم أبي طالب فقط يأتينا بالقرآن؟ لا نقبل هذا القرآن، فليأتنا على طريق الوليد بن المغيرة أو على طريق عروة بن مسعود الثقفي، قال تعالى ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ يقسموها حتى ينظروا فيمن يستحق النبوة ممن لا يستحقها ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ القاسم هو الله والذي اختار لنبوته هو محمد صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء الذين تعظموهم للمال والجاه لا يزنون عند الله جناح بعوضة فجعلنا بعضهم أغنياء وبعض فقراء ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ﴾ الغني ﴿بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ إن الله تبارك وتعالى قسم الأرزاق فجعل بعض الناس أغنياء وبعضا فقراء، وبعض الناس أرباب درجات وجاه والبعض ليسوا كذلك ليكون الغني الذي لم يهتد يسخر بالفقير ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ التي هي الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ وَلَوْلَا أَنْ يَّكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَّكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ التقسيم جرى هكذا ولولا أن الله رحيم بالخلق وعلِمَ حبهم للدنيا حتى أنه لو زاد في هذا لكفر الناس جميعا، لولا ذلك لجعل لكل

1 – ابن كثير ج4/128.

كافر بيتا من فضة وبيتا من ذهب وسقفا من فضة وسقفا من ذهب ودرجا يرقون بها إلى دورهم من الفضة والذهب حتى يعلموا أن الدنيا ليست بشيء عند الله تبارك وتعالى. ترى الدنيا يسوقها الله إلى كل فاسق، إلى كل كافر، إلى كل فرعون، إلى كل نمرود، ساق الله الدنيا إليهم. وتجد أولياء الله، أنبياء الله، أهل طاعته أكثرهم فقراء ليس عندهم شيء يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تبارك وتعالى لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)[1]. إن الله كلم بعوضة من البعوض أن يبيع لها الدنيا بجناح لها منكسر فامتنعت البعوضة قالت إن جناحها المنكسر أغلى عندها من الدنيا وما فيها، لا ترضى، فقال الله: لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء. إن الله تبارك وتعالى خاطب نبيه "ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا" مسلم موحد يقرأ فاتحة الكتاب لاسيما ويزيد عليها سورة الإخلاص مثلا، إن ظن أن الله أعطى أحدا أكبر مما أعطاه فقد حقّر كبيرا وكبّر صغيرا. الخير كله للمؤمنين، ما يفعل الله بعبده المؤمن إلا خيرا إن أعطاه مالا شكر الله، وإن منعه مالا صبر وكل هذا خير له

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) سنن الترمذي: كتاب الزهد/ باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل (2242). وورد بلفظ (... ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها قطرة أبدا) في سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب مثل الدنيا (4100). تقدم في الدروس10و11.

في الآخرة[1]، والآخرة خير وأبقى. «لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون» يعلون إلى السطح ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا﴾ من فضة ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فضة ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفًا﴾ ذهبا ﴿وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كل هذا ليس بشيء، متاع قليل، عما قليل يفنى ﴿وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ جعلنا الله وإياكم منهم. ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ يعرض ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ القرآن ﴿نُقَيِّضْ﴾ نسبب ﴿لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ الإنسان إذا قرأ القرآن فر منه الشيطان وإذا لم يقرأ القرآن قارنه الشيطان ويوقعه في كل ما لا خير فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ العاشين ﴿عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَانَا﴾ يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له ﴿يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ ليت بيني وبينك أيها الشيطان بُعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ أنت، قال الله تعالى ﴿وَلَنْ يَنفَعَكُمْ﴾ العاشين تمنيكم وندمكم ﴿الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ تبين لكم ظلمكم بالإشراك ﴿أَنَّكُمْ﴾ مع قرنائكم الشياطين ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ لا، ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ لا، ﴿وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لا، فهؤلاء لا يؤمنون أبدا ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ في الآخرة ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ قادرون ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ﴾ شرف ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عن القيام بحق هذه

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له. صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق/ باب المؤمن أمره كله خير (5318).

النعمة ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ غيره ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ سل أهل الكتاب قبلك فقال الرسول: لم أشك ولم أسأل[1] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ﴾ القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ يستهزئون بموسى ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من آيات العذاب كالطوفان وما بعده ﴿إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أراهم العصا واليد والسنين المجدبة والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات وطمس المال في سورة يونس[2] تسع آيات شاهدوها وكلما رأوا آية وهي أكبر مما قبلها كفروا بها ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وأخذهم الله بتلك الابتلاءات ليرجعوا عن كفرهم ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى لما رأوا العذاب عند كل عذاب يقولون هذا ﴿يَاأَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ العالم الكامل بالسحر هذا مدح عندهم، إذا عظموا إنسانا يصفونه بالسحر، قولهم يا أيها الساحر هذا تعظيم لموسى عندهم لأنهم في وقت الاحتياج إلى موسى يمدحونه بالسحر ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ كل آية تبتدئ يوم السبت إلى يوم السبت فإذا دعا موسى رفعت ويبقون في عافية شهرا كاملا، فتأتي أخرى حتى مضت الآيات جميعا فلم يرجعوا عن كفرهم ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقضون عهدهم ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ افتخارا ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ جمع القبط ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ ألست أنا ملك مصر؟

---

1 – قال قتادة بن دعامة: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا أشك ولا أسأل) وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري. ابن كثير ج433/2. وقد تقدم في الدرس 24.

2 – "ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الأليم" يونس 88.

﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ النيل ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيَ﴾ نيل مصر يجري تحت قصوري ﴿أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي؟ قال واحد من الصالحين: قبحه الله يفتخر بها والله ما خلقها ما خلق مصر ولا خلق النيل[1]. ولى عمر بن الخطاب أحدا من الصحابة على مصر لما فتحها، فلما دنا منها ونظر إليها قال هذه القرية التي افتخر بها عدو الله فرعون؟ "أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي"، استقال من منصبه تحقيرا لما يفتخر به فرعون، ورجع قال والله لا أدخلها لا حاجة لي فيها[2]. ﴿أَمْ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْ هَذَا﴾ موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ أنا خير من موسى، موسى حقير ضعيف ليس عنده سوار من ذهب ﴿وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾ للكنة في لسانه ﴿فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ إن كان كبيرا لِم لم يكن عنده حلي؟ عادتهم كل ملك وكل كبير يلبس أساورة من ذهب وفضة حتى يعلموا أنه ملك. فرعون في يديه أساورة، وموسى ليس في يديه سوار ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ هلا صحبه الملائكة ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ استفز فرعون ﴿قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ دعاهم إلى الغي فاستجابوا فكذبوا بموسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعة الله ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فلما غضب الله انتقم منهم فأغرقهم في اليم ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ صيرهم كأنهم مضوا سابقا ﴿وَمَثَلاً لِّلْآخِرِينَ﴾ وبقوا عبرة إلى يوم الدين ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ سبب نزول هذه الآية لما نزلت

---

[1] – نقل في روح البيان عن الحافظ بن أبي الفرج بن الجوزي قوله: ويحه افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه. روح البيان ج378/8.

[2] – ذكر القرطبي في تفسيره ج16/ 99 أن عبد الله بن طاهر وليها فخرج إليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال: أهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال أليس لي ملك مصر؟ والله لهي أقل عندي من أن أدخلها، فثنى عنانه.. وفي روح البيان ج8/ 378.

"إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم" قال المشركون رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى ومع عزير ومع الملائكة. قال تعالى ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ يضحكون فرحا بما سمعوا. قال لهم ابن الزبعرى - كان من الجبابرة الفصحاء - قال لهم ورب الكعبة أو ورب العزى سأحج محمدا - صلى الله عليه وسلم- قال: يا محمد تعلم أن النصارى عبدوا عيسى واليهود عبدوا عزيرا وبنو ملجم من العرب عبدوا الملائكة؟ قال: نعم. قال: إذا كان هؤلاء في النار فنحن نرضى بأن تكون آلهتنا معهم في النار[1] ﴿وَقَالُواْ ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾ هذا قالوه خصومة بالباطل فقط، وإلا فقد علموا أن "ما" تطلق على غير العاقل و"من" تطلق على العقلاء، لو أراد الله عيسى وعزيرا والملائكة لقال إنكم ومن تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ

---

1 - قال محمد بن إسحاق في السيرة: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون" الآيات. ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى التميمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد وقد زعم محمد أناّ وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته، سلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده، فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم. فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فإنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته) تفسير ابن كثير ج4/ 132. وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج103/16: لو تأمل ابن الزبعرى الآية ما اعترض عليها لأنه قال "وما تعبدون" ولم يقل "ومن تعبدون" وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل.

خَصِمُونَ﴾ شديدو الخصومة ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ولكن عيسى ليس إلا عبدا لله فقط ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ لوجوده من غير أب ﴿مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كالمثل لغرابته يُستدل به على قدرة الله تعالى ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ بدلكم ﴿مَلاَئِكَةً﴾ لو شاء الله لجعل سكان الأرض ملائكة فيرسل إليهم ملكا ﴿فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ بأن نهلككم ﴿وَإِنَّهُ﴾ عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تُعلم بنزوله، إذا نزل عيسى علمنا أن الساعة قد قربت ﴿فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ لا تشكن فيها. إيجاد عيسى بدون أب دليل على قدرة الله تبارك وتعالى فقط، ليس إلاّ، إن الله خلق البشر على أربعة أوجه من الخلق: منهم من ليس له أب ولا أم هو آدم قال له كن فكان، ومن له أب وليس له أم كحواء خلقت من ضلع آدم، خرجت من ذكر يمكن أن نقول إن لها أبا ولكن ليس ثمة امرأة؛ وخلق بشرا من أم بلا أب هو عيسى؛ والأولاد الباقون من أب وأم. هذه أربعة أقسام أوجدها من البشر تدل على قدرته تعالى. إن فعل شيئا فعل ضده وتلك عادة الله خلق السماوات وخلق الأرض، خلق الليل وخلق النهار، خلق الكافر وخلق المؤمن، هكذا، ما أشد حماقتهم حيث يظنون أن عيسى لما لم يكن له أب فهو ابن لله، أين آدم؟ آدم ليس له أب ولا أم، هذا أغرب من خبر عيسى ﴿وَاتَّبِعُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ وَلاَ يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيّن العداوة ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾

بوقت مجيئها ﴿الْأَخِلَّاءُ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ كانوا أصدقاء في الدنيا على الكفر والمعصية فصاروا أعداء يوم القيامة ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الذين كانوا أصدقاء على الإيمان والطاعة بقوا متحابين في الله فإنهم أصدقاء أبدا. الصديق من يسد خلتك وتسد خلته، أي من ترجو منه منفعة أو يكف عنك مضرة. ما دمت تثق في صديقك أنه جالب لك منفعة ودافع عنك مضرة تكون الصداقة. وإذا انعكست القضية فرأيت منه ضررا ومنعك من منفعة يصير الصديق عدوا طبعا. فالأخلاء لما أتوا يوم القيامة ودخلوا النار تيقنوا أن ذلك من أصدقائهم في الدنيا هم الذين حملوهم على الكفر وحملوهم على المعاصي حتى دخلوا النار فصاروا أعداء لهم. وأهل الجنة لما رأوا الكرامات والنعيم المقيم الذي وجدوه رأوا أن ذلك بصحبتهم مع أصدقائهم في الدنيا الذين كانوا يشتركون معهم على الإيمان والطاعة، فدامت صداقتهم. المتحابون في الله يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله[1]. إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء لقربهم من الله تبارك وتعالى وهم المتحابون في الله المتزاورون في الله المتباذلون في الله المتجالسون في الله، ينتقون ذكر الله كما ينتقي بعضكم التمر، يجتمعون لا لرحم تجمعهم ولا لمال يقتسمونه، بل في ذات الله، هؤلاء هم المتحابون في الله[2] بقوا متحابين إلى الأبد، جعلنا الله وإياكم منهم. ﴿يَاعِبَادِي لَا خَوْفٌ

---

1 - أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي. صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب في فضل الحب في الله (4655).

2 - أخرج أبو داود في سننه عن عمر بن الخطاب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى) قالوا: يا رسول

عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ تسرون وتكرمون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ نظرا ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لاَ يُفَتَّرُ﴾ يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ساكتون سكوت يائس ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ هُمُ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْاْ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ يقولون هذا مدة عمر الدنيا مرتين[1] ﴿قَالَ﴾ بعد تلك المدة ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ مقيمون في العذاب ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ﴾ أهل مكة ﴿بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ أَمْ أَبْرَمُواْ أَمْرًا﴾ في كيد محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ فرضا ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾

الله تخبرنا من هم قال: (هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"). سنن أبي داوود: كتاب البيوع/ باب في الرهن (3060) وانفرد به أبو داود. تقدم في الدروس21 و24 و40. وأخرج السيوطي في الجامع الصغير: عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض وجوههم نظر الناظرين يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقربهم من الله تبارك وتعالى هم جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله فينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكل التمر أطايبه. الجامع الصغير ج2/ (رقم 5625).

1 – جاء في تفسير الطبري عن قتادة: "اخسئوا فيها ولا تكلمون" قال: بلغني أنهم ينادون مالكا فيقولون "ليقض علينا ربك" فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ثم يقول "إنكم ماكثون" قال ثم ينادون ربهم فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يقول "اخسئوا فيها ولا تكلمون" قال فييأس القوم فلا يتكلمون بعدها كلمة. تفسير الطبري ج18/60.

للولد، لو كان لله ولد لكان أول عبد لذلك الولد محمد صلى الله عليه وسلم، أو «فأنا أول العابدين» الجاحدين لذلك الولد[1] ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّى يُلاَقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ معبود ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ معبود ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تقدير خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالحهم ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ الله ﴿الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن عبادته ﴿وَقِيلَهُ﴾ قال قيله ﴿يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ شكا النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشا لم يؤمنوا ﴿فَاصْفَحْ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلاَمٌ﴾ هذا قبل الأمر بالقتال ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

---

1 – قال ابن حجر في شرحه للحديث رقم 4819 من صحيح البخاري : ومن طريق السدي "إنْ" بمعنى لو أي لو كان للرحمن ولد كنت أول من عبده بذلك لكن لا ولد له، ورجحه الطبري. وقال أبو عبيدة "إنْ" بمعنى ما في قول، والفاء بمعنى الواو، أي ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين. وقال آخرون معناه إن كان للرحمن في قولكم ولد فأنا أول العابدين أي الكافرين بذلك والجاحدين لما قلتم.

سورة الدخان

مكية وقيل إلا "إنا كاشفو العذاب"

وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حمٓ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان. نزل فيها من أم الكتاب، من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا﴾ في تلك الليلة ﴿يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً﴾ رأفة بالمرسَل إليهم ﴿مِن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ إِنَّا كَاشِفُواْ الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى عليه السلام ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله تعالى ﴿أَنْ أَدُّواْ إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَأَن لاَّ تَعْلُواْ عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّيَ ءَاتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ لما توعدوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَاعْتَزِلُونِ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ فَاسْرِ بِعِبَادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾. صدق الله العظيم.

الدرس السادس والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري لنا بهذا المحضر
ولتعطفي بنظرة تأتي لنا بالظفر

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكنا ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ اطمأن بذلك فأغرقوا. لما تجاوز موسى وقومه حتى توسطوا البحر وصل فرعون وجنوده، ووجدوا الطرق مفتوحة أمامهم فسلكوا حتى لما توسطوا البحر خرج موسى وبنو إسرائيل معه جميعا حتى لم يبق منهم أحد، ولم يبق من قوم فرعون أحد لم يدخل البحر أراد موسى أن يضرب البحر ثانية فأمره الله أن يترك البحر رهوا وينظر ماذا يفعل الله بأعدائه "إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ" فأغرقوا، طبق الله عليهم البحر فغرقوا عن آخرهم ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ متعة ﴿كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ تركوا خمسة أشياء يحبونها جدا تركوا جناتهم، وعيونهم وزروعا ومقاما كريما ونعمة. النَّعمة بالفتح التنعم وبالكسر الإنعام[1]. كانوا يتنعمون فيها فخرجوا من ذلك كلا. ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر كما أخبرناك ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أعطيناها ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ هم بنو

---

1 – قال القرطبي: النعمة بالفتح التنعيم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وامرأة منعمة ومناعمة بمعنى والنعمة بالكسر اليد والصنيعة والمنة وما أنعم به عليك. الجامع لأحكام القرآن ج16/138.

إسرائيل. هلك القبط وتركوا هذه الأشياء وورثها بنو إسرائيل الذين آمنوا بموسى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ هلكوا وكانوا يعتقدون أنهم عظماء، والعظيم إذا مات يصفه الواصفون أن السماء والأرض تبكي عليه. وهم ماتوا وما بكت عليهم السماء والأرض. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم إن كل مؤمن له بابان في السماء: باب يأتي منه رزقه، وباب يصعد فيه عمله الصالح، فإذا مات تفقدته السماء وبكت عليه[1]. وأما الكافر الذي ليس له عمل صالح يصعد في السماء فإذا مات لم تشعر السماء بموته ولم تبك عليه. وفرعون وقومه بخلاف ما كانوا يظنون أنهم عظماء ماتوا وما بكت عليهم السماء والأرض ﴿وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة. السماء والأرض تبكيان على المسلم. البقاع التي يتعبد فيها من المساجد ومحال ذكر الله، كل هذه البقاع تبكي على المسلم إذا مات ويبكي عليه بيت الله والبقاع المقدسة بخلاف الكافرين[2] «وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ» مؤخرين للتوبة ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ من عذاب فرعون ﴿إِنَّهُ﴾ فرعون ﴿كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ وصفه الله بأنه كان عاليا من المسرفين حيث زكى نفسه وقال إنني من المسلمين، الدعوى

---

1 – أخرج الترمذي في صحيحه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مؤمن إلا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فذلك قوله عز وجل: "فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين". سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن /باب ومن سورة الدخان (3178).

2 – نقل الطبري في تفسيره ج125/25 عن ابن عباس قوله: "فما بكت عليهم السماء والأرض" الآية قال ذلك أنه ليس على الأرض مؤمن يموت إلا بكى عليه ما كان يصلي فيه من المساجد حين يفقده وإلا بكى عليه من السماء الموضع الذي كان يرفع منه كلامه فذلك قوله لأهل معصيته "فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين" لأنهما يبكيان على أولياء الله.

الباطلة هكذا مآلها عند الله تبارك وتعالى ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ بني إسرائيل ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم ﴿وَءَاتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ﴾ الموت التي بعدها الحياة ﴿إِلاَّ مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ موت بعدها حياة ما نعرفها، ما نعرف إلا الموت الأولى. لما كنا نطفا وصرنا بعد ذلك أحياء، نعم ذلك وقع ولكن لا يعود. الموتة الأولى لما كنا نطفا فأحيانا الله صرنا بشرا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية ﴿فَأْتُواْ بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كان هذا البعث الذي يقول الأنبياء، فاتوا بآبائنا. قال تعالى ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نبي أو رجل صالح[1] ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ تُبَّع مِلك من ملوك اليمن كان يسير بجيشه حتى مر بأرض المدينة ومعه العلماء الذين قرأوا الكتب القديمة. فبقي عشرة من العلماء بالمدينة أهم لا يتجاوزون تلك البلدة فهي مهاجر النبي الذي يخرج في آخر الزمان، سألهم تبع فأخبروه الخبر فكتب رسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه على دينه إن مات فهو مؤمن به ويسلم عليه، فتوارثوا هذا الكتاب حتى لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم دفعوا له هذا الكتاب[2]، فقرأه صلى الله عليه

---

1 – في تفسير الخازن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبي، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لا تسبوا تبعا فإنه كان رجلا صالحا. الخازن ج115/4. ونقل القرطبي عن ابن عباس قوله كان تبع نبيا. القرطبي ج146/16.

2 – جاء في تفسير ابن كثير: قال سعيد بن جبير: كسا تبع الكعبة، وكان سعيد ينهي عن سبه، وتبع هو تبع الأوسط واسمه أسعد أبو كريب بن مليكرب اليماني. ذكروا أنه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة أن هذه البلدة مهاجر نبي في آخر الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند أهل المدينة، فكانوا

وسلم فقال إن الله ليبعثه أمة وحده، والعشرة الذين آمنوا بالنبي وسكنوا المدينة بقوا يتناسلون إلى أن خرج أبو أيوب الأنصاري من صلب أحدهم فنزل النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب الأنصاري محل الرجل الذي كان يستعد لنزول النبي صلى الله عليه وسلم[1]. ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ﴾ محقين في ذلك وذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ كفار مكة ﴿لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة سمي يوم الفصل يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم ﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾ لا يدفع قريب عن قريبه أو صديق عن صديقه

يتوارثونه ويروونه خلفا عن سلف، وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره وهو:

شهدت على أحمـــد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيـــرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه ... وفرجت عن صدره كل غم

وذكر قتادة أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: لا تسبوا تبعا فإنه قد كان رجلا صالحا. وعن أبي زرعة - يعني عمرو بن جابر الحضرمي - قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا تبعا فإنه قد كان أسلم). تفسير ابن كثير ج145/4. وقد أورد القرطبي نقلا عن ابن إسحاق وغيره أنه كان في الكتاب الذي كتبه: أما بعد فإني آمنت بك وبكتابك الذي أنزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك ورب كل شيء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك فبها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فإني من أمتك الأولين وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام، ثم ختم الكتاب ونقش عليه "لله الأمر من قبل ومن بعد" وكتب على عنوانه: إلى محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الأول. تفسير القرطبي ج146/16.

1 - راجع روح البيان ج383/7.

العذابَ إذا كانوا غير مؤمنين ﴿وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منه ﴿إلاَّ مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون، فإنهم يشفع بعضهم في بعض ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه من الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ هي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أبي جهل وأصحابه ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كدردي الزيت الأسود ﴿تَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ من الغليان ﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة. كان أبو جهل لما ذكر القرآن شجرة الزقوم وأنها تنبت في النار جمع صناديد قريش قال لهم أما رأيتم محمدا يخبركم عن نار تأكل الحجارة، وبعد هذا يذكر شجرة تنبت في هذه النار ما يمكن هذا، ودعا الأَمَة وقال لها: زقميني، آتيني بزقوم فأتت بالتمر مع الزبد والعسل، قال كلوا هذا هو الزقوم الذي يهددكم به محمد[1]. فلهذا خص بالذكر هنا. شجرة الزقوم هذه طعام أبي جهل تغلي في البطون كغلي الحميم ﴿خُذُوهُ﴾ يأمر الله الزبانية بأخذ أبي جهل، إذا قال خذوه يتبادر مائة ألف ملك كلهم في يده سلسلة يبتدرونه يكتفونه[2] ويأتون به ﴿فَاعْتُلُوهُ﴾ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ من الحميم الذي لا يفارقه العذاب ﴿ذُقْ﴾ ثم يقال له ذق العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ بزعمك. كان يقول للرسول صلى الله عليه وسلم ما فيها أعز مني ولا أكرم، فوالله فهو يقسم بالله مع كونه لا يؤمن به، فوالله لربك يعجز عن أن يذلني في مكة هذه، أنا أعز من في مكة. فلهذا خوطب تهكما به وسخرية ذق العذاب إنك أنت العزيز الكريم؛ ما فيها أعز مني ولا أكرم فوالله إن ربك ليعجز

---

1 – راجع القرطبي ج85/15. تقدم في الدرس 42.

2 – جاء في تفسير القرطبي عند تفسير قوله تعالى خذوه فغلوه قيل يبتدره مائة ألف ملك ثم تجمع يده إلى عنقه. تفسير القرطبي ج18/ 272.

عن أن يذلني وأنا في مكة[1]. ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ترون ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ تشكون فيه ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مُقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ عادة القرآن كلما ذكر وعيدا أردفه بوعد ليجمع العبد دائما بين الخوف والرجاء؛ خوف ليس معه رجاء قنوط من رحمة الله، ورجاء ليس معه خوف أمن من مكر الله، فلا بد من الجمع بين الخوف والرجاء فترى القرآن كلما أتى بوعيد أردفه بوعد وكلما أتى بوعد كذلك أردفه بوعيد، لما كان هذا للكفار، كان هذا للمتقين «فِي مُقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ» وعد المتقين أن لهم دورا حسانا طيبة، والدار لا تطيب إلا بشرطين: الأمن أولا من كل مخوف، ثم النعم التي يشتهيها الإنسان مجموعة عنده. إذا أمن الإنسان ووجد ما يحب فهو في دار طيبة. فوصف أهل الجنة أنهم في «مقام أمين» يأمنون من كل خوف «في جنات وعيون» ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وصف كونهم يجدون كل ما يحبون بأوصاف باهرة: الجنات والعيون ولباس من سندس: ما رق من الديباج، وإستبرق: ما غلظ من الديباج ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ مع أحبائهم لا ينظر أحد إلى قفا بعض. ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر كما أخبرت ﴿وَزَوَّجْنَاهُم

---

1 - قال قتادة: نزلت في أبي جهل وكان قد قال: ما فيها أعز مني ولا أكرم، فلذلك قيل له: "ذق إنك أنت العزيز الكريم" وقال عكرمة: التقى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو جهل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله أمرني أن أقول لك أولى لك فأولى فقال: بأي شيء تهددني والله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئا إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه على قومه. تفسير القرطبي ج151/16. ونقل في الدر المنثور قال الأموي في مغازيه: حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل فقال (إن الله أمرني أن أقول لك: "أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى" قال فنزع ثوبه من يده وقال ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم. قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل "ذق إنك أنت العزيز الكريم". الدر المنثور ج418/7.

بِحُورٍ عِينٍ﴾ لهم أزواج حور عين نساء بيض واسعات الأعين، حور أي بيض، "عين" واسعات الأعين، أو حور يحير جمالهن العقل، عين واسعات الأعين حسانها ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ هذه الدار طيبة جمعت بين الأمن وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ وهم لا يموتون فيها، خالدون ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ تفضلا منه. (لن يدخل أحدكم الجنة عملُه. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)[1] هذا لا ينافي العمل، ولكن الإنسان مخلوق وعمله مخلوق، إن الله هو الذي أوجدك وأوجد عملك عندك، هو الذي يوجد الأشياء عند الأشياء لا بها، فأعمالنا أعماله تبارك وتعالى عندنا لا بنا، إذاً الأعمال ليست هي التي أدخلتنا الجنة، إنما فضله تبارك وتعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك لتفهمه العرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إن الله تبارك وتعالى من فضله وكرمه يسر تلاوة القرآن علينا وهو كلامه هذا "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا" لولا أن الله يسره على الأمة ما أطاق أحد منا أن ينطق بحرف واحد من هذا القرآن ولكن فضلا منه وكرما يسر هذا القرآن، حتى الصبي منا يقرؤه ﴿فَارْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ هلاكك وهذا قبل الأمر بجهادهم.

---

1 – أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لن يُدخل أحدا عملُه الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: لا ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنا فلعله أن يزداد خيرا وإما مسيئا فلعله أن يستعتب) صحيح البخاري: كتاب المرضى/ باب تمني المريض الموت (5673)، وفي صحيح مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار/ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله (5037). تقدم في الدرسين18 و24.

سورة الجاثية

مكية إلا "قل للذين آمنوا الآية" وهي ست أو سبع وثلاثون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ في صنعه ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في خلقهما، ﴿لَآيَاتٍ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ لكل الخلق ولكن المؤمنين هم المنتفعون بها فخصوا بالذكر. الآيات كلا لكل الخلائق حيث لا ينتفع بها إلا المؤمنون ذكر أنها للمؤمنين، كقوله "هدى للمتقين" والقرآن هدى للجميع ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ في خلق كل منكم من نطفة ومن علقة ثم من مضغة إلى أن صار إنسانا ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ إن من تفكر في خلق الله تبارك وتعالى ما بث من دابة إن كان عبدا موقنا يرى أن هذا من دلائل قدرته تبارك وتعالى. لم يقل للموقنين كما قال في الآية الأولى للمؤمنين، لأن الموقنين أقل، أهل الإيمان أهل اليقين منهم قليل فقال "لقوم يوقنون" ﴿وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة ﴿ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليل فيؤمنون به. في الآية الأولى قال للمؤمنين في الثانية لقوم يوقنون، في الثالثة لقوم يعقلون. لأن المراتب هكذا، كل آية أدق مما قبلها، فالعقلاء الذين قال الله فيهم "وما يعقلها إلا العالمون" هم القليلون، الكفار ليس عندهم عقل أصلا "قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير" يقول الرسول صلى الله

عليه وسلم: (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الخالق)[1] هذا في حق العامة، وقال: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)[2] ذكر المقداد بن الأسود: دخلت على أبي هريرة وسمعته يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة). ثم دخلت على ابن عباس فوجدته يقول سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (تفكر ساعة خير من عبادة سبع سنين) ثم دخلت على أبي بكر الصديق فسمعته يقول: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)[3]. ثم أتيت الرسول صلى الله عليه وسلم وقلت له ما سمعت من القوم، فقال: صدقوا ادعهم لي، فدعاهم فقال: (ما قلت يا أبا هريرة؟) قال: سمعتك تقول تفكر ساعة خير من عبادة سنة. قال: (فيم تفكرك؟) قال: أتفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار. قال: (تفكرك خير من عبادة سنة، يا ابن عباس فيم تفكرك؟) قال: أتفكر في الموت وما بعد الموت، قال: (تفكرك خير من عبادة سبع سنين، ويا أبا بكر فيم تفكرك؟) قال: أتفكر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم كيف ينجيهم الله من العذاب وأسال الله أن يجعلني من العظمة بحيث أملأ النار وحدي حتى لا يدخل أحد من أمة محمد

---

1 - أخرج السيوطي في الجامع الصغير ج1/ رقم 3346: (تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره). أبو الشيخ عن ابن عباس. وفي كشف الخفاء بلفظ: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله) رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما. حرف المثناة الفوقية (1005).

2 - (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) كشف الخفاء/ حرف المثناة الفوقية (1004).

3 - أخرج الديلمي من وجه آخر مرفوعا عن أنس تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة. وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكرة ساعة خير من عبادة ستين. الدر المنثور ج410/2. وللسيوطي في الجامع الصغير بلفظ: فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة. وورد عن ابن عباس وأبي الدرداء بهذا اللفظ في كشف الخفاء (1004).

النار. والله لو وجدت خلقة عظيمة أملأ بها النار حتى لا يجد واحد من الأمة محلا في النار لطاب لي. قال صلى الله عليه وسلم: (تفكرك يا أبا بكر خير من عبادة سبعين سنة). والتفكر في الخلق يوصلك إلى الخالق، وتفكر العامة في الخالق يعطيهم معنى يحملهم على الكفر، إذا تفكروا في ذات ليس لها رجل ولا رأس ولا يدان ولا سمع ولا بصر، وليس لها بداية ولا نهاية، إذا أراد عامي أن يتفكر في هذا يتفكر في شيء كبطيخ كبير. الله تبارك وتعالى من شبهه بالمخلوقات كفر. أما العارف فله أن يتفكر فيما هنالك ﴿تِلْكَ ءايَاتُ اللَّهِ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ بعد حديثه وهو القرآن ﴿وَءايَاتِهِ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ كفار مكة. من لم يؤمن بهذا القرآن يؤمن بأي شيء؟ لا يؤمن أبدا ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم ﴿يَسْمَعُ ءايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرا عن الإيمان به ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءايَاتِنَا﴾ القرآن ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ مهزوءا بها ﴿أُوْلَئِكَ﴾ الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ﴾ أمامهم ﴿جَهَنَّمُ وَلاَ يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ﴾ من المال والفعال ﴿شَيْئًا وَلاَ مَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ هَذَا﴾ هذا القرآن ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِن رِّجْزٍ﴾ عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ موجع ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيره، خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ تبارك وتعالى، سخرها كائنة منه تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

فيؤمنون. كان الرشيد عنده كاتب نصراني أو طبيب نصراني يستعمله لمعرفته بالطب وهو مسيحي، وكان الرشيد يحبه فدعاه إلى الإسلام مرارا فأبى، ويوما ألح عليه الرشيد ويحك ما يمنعك من الإيمان؟ قال يمنعني من الإيمان آية في كتاب الله توافق عقيدتي. قال: وما تلك الآية؟ قال: "وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" القرآن يصرح أن عيسى روح من الله تبارك وتعالى وهذا لا يصدق إلا اذا كان جزء منه فهو ابنه، وهذه عقيدتي والقرآن مصرح بهذا فلهذا أنا أمكث على ديني. جمع الرشيد العلماء فقال أجيبوه آتوني بجواب لهذا الخبيث، فتحير العلماء وقالوا هنا شيخ مروزي متبحر في علم التفسير ادعه لعله يفرج عليك. فجاء الشيخ فسأله قال: سبحان الله إن الله تبارك وتعالى قدّر في أزله أن هذا الخبيث يلقي علي هذه الشبهة في مجلسك وليس عندي جوابه الآن، ولكن علي ألاّ آكل ولا أشرب حتى آتي بجواب، افتحوا لي بيتا، ففتحوا له بيتا فدخل في البيت وحده، فقرأ من أول القرآن حتى وصل إلى هذه الآية "وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه" فقال: افتحوا، افتحوا، فقال: إن كان "وروح منه" يقتضي أن عيسى جزء من الله فجميع ما في السماوات وما في الأرض جزء من الله تبارك وتعالى، حيث أنه لما قال "وروح منه" قال: "وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه" فأقر النصراني بهذا وأسلم[1]. ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ سبب نزول هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق غزوة المريسيع، فلما كانوا في أثناء القتال كانت هنالك بئر يُستقَى منها فأرسل عبد الله بن أبي بن سلول المنافق رأس المنافقين خادمه ليأتيه بالماء من البئر، فأتى غلام عمر

1 – انظر الصاوي في حاشيته على الجلالين ج261/1، وفي روح البيان ج2/ 328.

بن الخطاب جهجاه فجلس على البئر وقال: لا يدخل دلو البئر إلا بعدما يمتلئ سقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسقاء أبي بكر وسقاء عمر، فنهى الناس عن البئر حتى ملأ الأوعية الثلاثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فتأخر إتيان غلام عبد الله، فلما أتى ليلا قال له ما أخرك؟ قال: جلس جهجاه غلام عمر بن الخطاب على البئر ونهى الناس عن البئر حتى يملأ سقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسقاء أبي بكر وسقاء عمر. فقال: أوَ فعلوا ذلك؟ هؤلاء يجري فيهم المثل العربي: سمن كلبك يأكلك، ولكن لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل[1]، ما بقي محمد بالمدينة وأصحابه إلا بما نجري عليهم من النفقات، إذا قطعنا عنهم الرزق سيخرجون من المدينة، فلما سمعوا بهذا الكلام طلب عمر بن الخطاب أن يأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطع رأس هذا الكلب قال: مرني يا رسول الله أقتله، هذا منافق كافر قال كذا في اليوم الفلاني وقال كذا وقال كذا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه)[2] فأتى ولده عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان صالحا، فقال: يا رسول الله

---

1 – جاء في تفسير القرطبي عن ابن عباس أن الآية نزلت في عمر مع عبد الله بن أبي في غزوة بني المصطلق فإنهم نزلوا على بئر يقال لها المريسيع فأرسل عبد الله غلامه ليستقي وأبطأ عليه فقال: ما حبسك؟ قال: غلام عمر بن الخطاب قعد على فم البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر وملأ لمولاه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل سمن كلبك يأكلك. فبلغ عمر رضي الله عنه قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجه إليه ليقتله فأنزل الله هذه الآية. تفسير القرطبي ج16/ 161

2 – أخرج الشيخان عن عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا في غزاة قال سفيان مرة في جيش فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا: يا

إذا أردت أن يقتل أبي فمرني أنا أقتله وآتيك برأسه، ذلك أسلم لأنه إذا قتله أحد غيري ربما أثار فتنة بين القرباء، وأما أنا إذا أردت أقتله الآن وآتيك برأسه، فنزلت هذه الآية[1]. فلما رجع عبد الله بن أبي إلى المدينة وجد ولده في باب الدار سل سيفه ومنعه من دخول الدار وقال: لا تدخل بيتك اليوم إلا إذا أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في دخولك، ستعلم أنك أنت الأذل ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأعز[2] فبقي ذليلا حقيرا إلى وسط الليل سمع بالخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى ولده الصالح أن يتركه يدخل بيته، فقال له: الآن تدخل بيتك

رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها فإنها منتنة، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (4905) وفي صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ نصر الأخ ظالما أو مظلوما (4682).

1 – نقل ابن حجر عن ابن إسحاق قوله: بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: بلغني أنك تريد قتل أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فقال بل ترفق به وتحسن صحبته. قال فكان بعد ذلك إذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين ينكرون عليه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر: (كيف ترى؟) ووقع في مرسل عكرمة عند الطبري: أن عبد الله بن عبد الله بن أبي قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، قال: (لا تقتل أباك). فتح الباري شرح حديث جابر في صحيح البخاري من كتاب تفسير القرآن/ باب قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (4905).

2 – ذكر القرطبي في جامعه أن عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول قال لأبيه: والذي لا إله إلا هو لا تدخل المدينة حتى تقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأعز وأنا الأذل فقاله. القرطبي ج 18/ 129.

حتى تعلم أنك الأذل فنزلت «قُل لِّلَّذِينَ ءامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ» لا يقتلوهم ﴿لِيَجْزِيَ﴾ الله ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ الكفار ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل لنفسه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ إساءته ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ بين الناس ﴿وَالنُّبُوءَةَ﴾ لموسى وهارون ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات كالمن والسلوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم ﴿وَءَاتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿فَمَا اخْتَلَفُواْ﴾ في بعثته كانوا مصدقين بأن نبيا يأتي في آخر الزمان هو سيد الأنبياء والمرسلين فما اختلفوا ﴿إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا﴾ لبغي حدث ﴿بَيْنَهُمْ﴾ حسدا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ طريقة ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة الله ﴿إِنَّهُمْ لَن يُّغْنُواْ﴾ يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ المؤمنين ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ معالم يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ﴾ اكتسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الذين اجترحوا السيئات اكتسبوها يظنون أن الله يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم؟ لا، «ساء ما يحكمون» وهذا بين الكفار والمؤمنين. إن الله لا يساوي بين الكافرين والمؤمنين في الآخرة أو بين المؤمنين الذين يكتسبون السيئات والمؤمنين الذين يعملون الصالحات، فلهذا صارت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين. بكى عابد صالح بات يردد هذه الآية إلى الصباح، وبكى

غيره وبكى غيره[1]. إن الله يقول إن الذين يعملون السيئات من المعاصي لا يسوي بينهم وبين الذين يعملون الصالحات. هذا حكم لا يمكن، أهل الطاعات يرفعهم في الدرجات العلى وأهل المعاصي يعاملهم بقدر عملهم ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن. الإنسان إذا عبد غير الله فإنما يعبد هواه فقط. إذا أحب حجرا يقول هذا ربي، وإذا أحب حجرا آخر ترك الأول وعبد غيره. ليس المعبود حقيقة هو الحجر، إنما المعبود الهوى. ولهذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ما تحت قبة السماء إله يعبد أعظم من هوى متبع)[2] والهوى أشد الأشياء، الإنسان يصاحبه هوى ونفس وشيطان وملَك. الخواطر التي تتردد على قلب العبد الواردات أربعة أقسام: وارد يرد من الله تبارك وتعالى ووارد يرد من قبل الملَك، ووارد من الشيطان

---

1 – جاء في تفسير الخازن: قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته قام ذات ليلة حتى أصبح أو قارب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي "أم حسب الذين اجترحوا السيئات..الآية". تفسير الخازن ج13/4. ونقل القرطبي عن بشير قوله: بت عند الربيع بن خيثم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية فمكث ليله حتى أصبح لم يعدها ببكاء شديد. وقال إبراهيم بن الأشعث: كثيرا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها ثم يقول ليت شعري من أي الفريقين أنت؟ وكانت هذه الآية تسمى مبكاة العابدين لأنها محكمة. تفسير القرطبي ج 16/ 166 وورد مثله في تفسير الثعالبي ج145/4 وفي روح المعاني ج151/25.

2 – أخرج السيوطي في الجامع الكبير ج699/1: (ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع) لأبي نعيم في الحلية والطبراني في الكبير عن أبي أمامة. وللقرطبي في تفسيره قال أبو أمامة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما عبد تحت السماء إله أبغض إلى الله من الهوى. تفسير القرطبي ج16/ 167.

ووارد من النفس. الوارد الإلهي لا يأمرك إلا بخير ولا يأمرك بشيء إلا وفعلته قهرا لأنه قهار، هو إذا أتى يقهرك على مراده سواء أتاك بشوق مقلق أو بخوف مزعج فعلى كل حال هذا الذي يأمرك به من الخير لابد أن تفعله، إذا أتى وارد يأمر بالخير بهذه القوة فاعلم أنه وارد إلهي؛ ووارد ملَكي، الملَك لا يأمرك إلا بالخير وليس له قوة القهر، يُحسِّن لك أن تفعل كذا وكذا، إن فعلت فعلت وإلا فهو أمَرك بالخير؛ ووارد شيطاني لا يأمرك إلا بالشر؛ ووارد نفساني يأمرك بالشر أيضا كيف تميز بين الواردين؟ النفسي والشيطاني متشابهان، الشيطان يأمرك بكذا إن فعلته وإلا أمرك بكذا غيره وإلا كذا غيره: اشرب الخمر، اقتل نفسا، افعل كذا، افعل كذا، لأن السيئات كلا متساوية عنده، إن امتنعت من شيء وفعلت غيره سواء عنده. إذا جاءك وارد يأمرك بشر ولا يلجّ بل يأمرك بشر وينتقل إلى شر آخر وإلى آخر فهذا الشيطان. والنفس تأمرك بشر ولا تتركك أبدا حتى تفعله هي لجوج، تعلقت بكذا أن تفعله إن رفضت تعود إليك وإن رفضت تعود مرة ثانية لا تتركك حتى تفعل ما تريد هي أقوى الأعداء. الأعداء أربعة: الدنيا والهوى والشيطان والنفس. إذاً من عبد صنما فإنما عبد هوى نفسه فقط ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ الله علم أن هذا العبد أهل للضلالة لا يستحق غير الضلالة فأضله غير مخطئ بل عالم ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ فلم يسمع الهدى و لم يعقله ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ ظلمة فلم يبصر الهدى ﴿فَمَنْ يَّهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ لما أضله الله هكذا أي إنسان يقدر على هدايته؟ لا أحد. ﴿أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ وَقَالُواْ﴾ منكِرو البعث ﴿مَا هِيَ﴾ الحياة ﴿إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ البعث لم يكن إنما نبقى في الدنيا هكذا فقط إذا مات الآباء بقي الأبناء كأن الآباء لم يموتوا هذا هو البعث، أما بعث من مات فلا يمكن ﴿نَمُوتُ﴾ نحن ﴿وَنَحْيَا﴾ بأبنائنا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ وما ثم إله

يميت ويحيي، إنما الدهر فقط، مرور الزمان هو الذي يميت الإنسان، ما ثم إله؛ هذه عقيدة فرعون كان دهريا ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ ولكن هذا الذي قالوا لم يعلموه ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ هذا إن كان حقا فهم لم يعلموه. ورد (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)[1] الدهر إن كان على حقيقته فيصح هذا المعنى الذي قالوا ولكن هم لم يعلموا، قالوا شيئا عن جهل فقط ولهذا كفروا ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتُواْ بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ حين كنتم نطفا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد أجلكم ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أحياء ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم القائلون ما ذُكِر ﴿لاَ يَعْلَمُونَ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الكافرون يظهر خسراهم بأن يصيروا إلى النار وفقدوا نعيم الجنة ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ﴾ كل أهل دين ﴿جَاثِيَةً﴾ على الركب أو مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ كتاب أعمالها ويقال ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَذَا كِتَابُنَا﴾ ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نثبت ونحفظ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيقال لهم ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَاتِي﴾ القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ كافرين ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لكم أيها الكفار ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر). كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها/ باب النهي عن سب الدهر (4169). وفي صحيح البخاري: قال أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله: يسب بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار). صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب لا تسبوا الدهر (6181).

نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أنها آتية ﴿وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ في الدنيا جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُون وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾ نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ بترككم العمل للقائه ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منها ﴿ذَلِكُم بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾ من النار ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ الوصف بالجميل على وفاء وعده في المكذبين ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالَم ما سوى الله وجُمع لاختلاف أنواعه ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كائنة فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم. (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما ألقيته في النار ولا أبالي)[1].

---

[1] – أخرج أبو داود عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار). سنن أبي داود: كتاب اللباس/ باب ما جاء في الكبر (3567). وقد تقدم في الدرس 37.

سورة الأحقاف

مكية إلا "قل أرايتم إن كان من عند الله" الآية وإلا "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل" الآية وإلا "ووصينا الإنسان بوالديه" الثلاث آيات

وهي أربع أو خمس وثلاثون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حمٓ﴾ الله أعلم بمراده ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ أول السورة مشابه لأول سورة الجاثية. إن الله تبارك وتعالى أخبرنا في السورتين أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما، وما خلقهما إلا بالحق لنستدل بهما على قدرة الله تبارك وتعالى ووحدانيته ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فنائهما. خلقهما ليفنيهما وذلك يوم القيامة. قال المعتزلة الضالة إن الله لما ذكر «ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق» دل هذا على أن الباطل ما خلقه الله، كل ما بين السماوات والأرض من الباطل ليس من مخلوقات الله فَضَلُّوا. ليس هذا معنى الآية. الله تبارك وتعالى خلق الحق وخلق الباطل ولكن ما خلق الباطل إلا بالحق، الباطل باطل ولكن خلقه الله بالحق، والحق حق وخلقه الله بالحق، ما خَلَقَ بالباطل ولكن خَلَقَ الباطلَ. لو قال ما خلق إلا حقا نعم لكان ما قالوا له معنى، ولكن قال ما خلق ما خلق إلا بالحق سواء الحق والباطل، كلاهما خلقه الله بالحق. وهذا ظاهر أن من نظر في السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم واختلاف الليل والنهار والحوادث التي تأتي حادثة بعد أخرى علم أن هذه حوادث والحوادث لابد لها من محدث، فلابد أن هنالك إلها يدبر أمر السماوات والأرض وما بينهما، وهذا العلم حق. والله تبارك وتعالى خلق كل شيء بالحق فالحق هو الحق والباطل باطل، جاء الحق

وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، كأن لم يكن، فمن هنا يشاهد العارف ويسمع كل كلام من الحق تبارك وتعالى ويرى كل شيء حقا، وهناك فتنة للمبتدي إذا سمع كلاما يعلم أن هذا من الله تبارك وتعالى. سئل الجنيد: ما آخر ما جرى بينك وبين الله؟ قال: لقيني الآن لما كنت قريبا من القرية وضربني وقال يا سارق. إذا قال يا سارق وأنت لست بسارق فهذا حق. الكلمة حق خلقها الله، والمعنى الذي دلت الكلمة عليه هو الكذب. إذا قال: مات زيد ولم يمت، 'مات زيد' هذه كلمة خلقها الله حق وقعت والكذب إنما هو معنى الكلمة لا نفس الكلمة. كل كلام على هذا حق، ولكن المعنى ربما كان حقا وربما كان غير حق. وكل فعل حق لأنه لو لم يخلقه الله ما كان. الله تبارك وتعالى ذكر أنه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق. والمشاهدون يرون شيئا فوق هذا «وأجل مسمى» ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّا أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ تعبدون ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ لا شيء ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشارك ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ مع الله ﴿اِئْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ منزل ﴿مِن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ الإنسان إذا قال قولا وطُلب منه دليل يأتي بدليل من النقل أو العقل، أنتم ادعيتم وجود غير الله تبارك وتعالى والعقل لا يقبل هذا لأنه هو المنفرد بالإيجاد، فالعقل يعطي أن المنفرد بالإيجاد هو الذي يستحق أن ينفرد بالعبادة، آتوا بنقل، آتوا بكتاب منزل قبل هذا القرآن يثبت إلها غير الله هذا لا يوجد أو بقية أثرٍ مَّا تدل على وجود إله غير الله. لم يجدوا شيئا ما وجدوا دليلا عقليا ولا وجدوا دليلا نقليا ولا وجدوا أثرا يؤيد ما ادعوا من الشرك بالله ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غيره ﴿مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهم الأصنام تعبدون آلهة إذا دعوتموهم لا يستجيبون

لكم ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ مساكين لم يعلموا أنكم عبدتموهم. ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ إذا جاء يوم القيامة تعادي الأصنام عابديها لأنهم السبب في دخولهم النار ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ يقولون ما عبدونا قط أو لا علم لنا، ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ أهل مكة ﴿ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بين ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ القرآن ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ لا تقدرون على دفعه ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَفَى بِهِ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به فلم يعاجلكم بالعقوبة ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ لست أول رسول، الرسالة ليست بدعة إن الأنبياء سبقوني ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ﴾ لا أعلم ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أأُخرَجُ من بلدي أم أُقتل كما فُعِل بالأنبياء قبلي، أم تُرمَوْن أنتم بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ لا أدري. ارتد كثير من المنافقين بهذه الآية أن النبي لما لم يعرف كيف مآله فكيف نحن؟[1] فارتدوا ولكن لم يعلموا، والله تبارك وتعالى علّمه بعد ذلك علم الأولين والآخرين وزاد عليه ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ وهذا دليل أنه لا يبتدع شيئا. كل ما أتاه فوحي من الله تبارك وتعالى. لولا هذا الوحي ما عرف شيئا هذا لا ينافي أنه عرف كل شيء. ﴿وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ﴾ جملة حالية

---

1 – نقل القرطبي عن عطاء عن ابن عباس أن اليهود شتموا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزل قوله تعالى "وما أدري ما يفعل بي ولا بكم" وقالوا: كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به؟ فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى "إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر". تفسير القرطبي ج16/ 259

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام[1] ﴿عَلَى مِثْلِهِۦ﴾ عليه ﴿فَآمَنَ﴾ هو ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هذه الآية نزلت بالمدينة والسورة مكية لأن عبد الله بن سلام إسلامه في المدينة المنورة لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ذهب إليه في أول يوم من هجرته وقال إن رأيت منه آية أومن به، فلما نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشهّد قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله. قيل له قلت إنك تطلب آية؟ قال وجهه كفاني آية هذا ليس بوجه كذاب[2] وقال: لما رأيته عرفته أشد من معرفتي لولدي "يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" قال عرفته أكثر من معرفتي لابني، لأن ابني لم أدر هل خانتني أمه

---

1 - أخرج البخاري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام قال وفيه نزلت هذه الآية وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله الآية. صحيح البخاري: كتاب المناقب /باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه (3812).

2 - أخرج الترمذي في سننه عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه وقيل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب وكان أول شيء تكلم به أن قال (أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) قال أبو عيسى هذا حديث صحيح، سنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2409). تقدم في الدرس13. وقال ابن حجر في شرحه لترجمة باب مناقب عبد الله بن سلام: أسلم أول ما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة .. وغلط من قال إنه أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: كتاب المناقب /باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه.

أم لا، وهذا لما رأيته تبينت أنه هو المذكور في التوراة[1]. لم يكفهم هذا الرجل شهادة. وقال سعد بن أبي وقاص: ما رأيت ماشيا يمشي على الأرض والرسول يقول إنه من أهل الجنة غير عبد الله بن سلام هذا[2]، لعل هذا قبل تبشير العشرة بالجنة «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءامَنُواْ﴾ في حقهم ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ﴾ القائلون ﴿بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ عادة المتمردين يرون الأشياء بالعزة والمال والجاه، قالوا هذا القرآن لو كان خيرا لوجدوه هم لأهم أعظم منهم وأتم جاها وأكثر مالا ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ التوراة ﴿إِمَامًا﴾ قدوة ﴿وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ مشركي مكة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ﴾ على الطاعة ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أمرناه أن يحسن إليهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا﴾ مشقة ﴿وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ على مشقة ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا﴾ الإنسان حمله وفصاله ثلاثون شهرا. هذه الآية تدل على أن أقل مدة الحمل ستة

---

1 – قال القرطبي: وروى أن عمر قال لعبد الله بن سلام: أتعرف محمدا صلى الله عليه وسلم كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر بعث الله أمينه في سمائه على أمينه في أرضه بنعته فعرفته وابني لا أدري ما كان من أمه. الجامع لأحكام القرآن ج2/ 163.

2 – أخرج البخاري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال وفيه نزلت هذه الآية "وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله الآية". صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه (3812). تكرر شاهدا لأمرين مختلفين.

أشهر، لأن مدة الإرضاع ذكرها القرآن "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين" حولين كاملين أربعة وعشرون شهرا. إذا كان مدة الحمل والإرضاع ثلاثين شهرا، فلم يبق إلا ستة أشهر، إذاً أقل مدة الحمل ستة أشهر هذا أتى به الوحي، وذكره الرسول صلى الله عليه وسلم، ووافق التجربة، أقل مدة الحمل ستة أشهر[1]. قال جالينوس إنه كان يراقب أحوال الحمل، كان طبيبا حكيما، فرأى مولودا ولد على رأس مائة وأربعة وثمانين يوما هذه ستة أشهر وأربعة أيام، الله تبارك وتعالى يجري بحكمته الأشياء على سبعة سبعة. أسبوع إثر كل أسبوع يغير شيئا فيما يجري في هذا العالم. الدنيا سبعة أيام. الإنسان يجمع الله خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، أربعين يوما علقة، أربعين يوما مضغة ثم ينفخ فيه الروح كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، وهذه هي الحكمة في كون المرأة تعتد بأربعة أشهر وعشرا إذا مات بعلها عنها. أربعون ثلاث مرات أربعة أشهر، وزيد عشرة أيام احتياطا، إذا وقعت النطفة في الرحم تفرقت، وإذا أراد الله أن يخلق إنسانا من هذا المني استدارت النطفة كالكرة حتى تستقر في محل الرحم بعد ستة أيام تصير كالزبدة، بعد ستة أيام من يوم دخول الرحم، هذه سبعة أيام. فهنالك إذا نظرت

---

1 – ورد في تفسير القرطبي ج5/ 262 قوله: وقد استنبط علي رضي الله عنه مدة أقل الحمل وهو ستة أشهر من قوله تعالى "وحمله وفصاله ثلاثون شهرا" وقوله تعالى "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين" فإذا فصلنا الحولين من ثلاثين شهرا بقيت ستة أشهر.

2 – ورد حديث صحيح بذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه: قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق: إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح...الحديث. صحيح البخاري كتاب بدء الخلق/ باب ذكر الملائكة (3208) وفي صحيح مسلم: كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (4781). تقدم في الدروس6، 8، 26.

في المني يحدث فيه نقط ثلاث نقطة حمراء فوقه ونقطة حمراء في وسطه، ونقطة حمراء في الجانب الأيمن. النقطة الحمراء فوق ستصير هي الدماغ والحمراء وسط المني ستصير هي القلب والتي بالجانب ستصير هي الكبد وإذا مر أسبوع ثان هذه نقط الدم تسري في المني، قبل سبعة أيام يصير المني كله دما يصير علقة، بعد سبعة أيام يصير مضغة، تتجزأ أجزاؤها، الأعضاء تتجزأ شيئا شيئا، وإذا تم جمع الجنين وتقديره في مدة ثلاثين يوما أو في مدة خمسة وثلاثين، أو في أربعين أو في خمسة وأربعين على اختلاف ما يجري، إذا تم خلق الجنين في مدة ثلاثين يوما إذا زدت عليها ثلاثين يوما هذا شهران، وضعف ذلك أربعة أشهر نفخ فيه الروح، إذا تم هذا الجمع – نطفة علقة مضغة – إذا تم هذا في ثلاثين يوما أضف عليها ثلاثين يوما أخرى، هذا شهران ينفخ فيه الروح في شهرين، وإذا زدت أربعة أشهر على شهرين خرج الجنين، هذا هو السبب في كون الولد قد يولد بعد ستة أشهر، وإذا تأخر حتى لم يتم اجتماع الجنين في ثلاثين بل في خمسة وثلاثين أي زدنا أسبوعا آخر، إذا زدت خمسة وثلاثين أخرى كم هذا؟ خمسة وثلاثون مرتين شهران وعشرة أيام إذا زدت عليه أربعة أشهر وعشرين يوما يكون سبعة أشهر خرج الجنين، فلهذا يولد الولد أيضا في سبعة أشهر. وإذا لم يتم اجتماع الجنين إلا في أربعين زد عليها أربعين أخرى هذه ثمانون، شهران وعشرون يوما زد عليه ضعف ذلك خمسة أشهر وعشرة أيام، الجميع ثمانية أشهر، خرج الجنين ولن يعيش في الغالب. المولود في ثمانية أشهر لا يعيش إلا في مصر[1]، وإذا لم يتم اجتماع الجنين إلا بعد خمسة

---

1 – قال السيوطي في الدر المنثور ج498/5: أخرج ابن عساكر من طريق عكرمة رضي الله عنه عن ابن عباس قال وضعت مريم لثمانية أشهر ولذلك لا يولد مولود لثمانية أشهر إلا مات لئلا تسب مريم بعيسى.

وأربعين يوما أضف عليها خمسة وأربعين يوما أخرى تصير تسعين يوما ثلاثة أشهر أضف عليها ضعفها ستة أشهر يخرج الجنين في تسعة أشهر وهذا هو الغالب، الغالب أن الولد يولد على تسعة أشهر، فعلى هذا يكون أقل مدة الحمل ستة أشهر وربما سبعة أشهر، وربما ثمانية أشهر ولن يعيش، وربما تسعة أشهر وهو الغالب. وكون الولد إذا ولد على سبعة أشهر يعيش وإذا ولد على ثمانية أشهر لا يعيش هو أن الجنين تكمل خلقته في ستة أشهر فينجذب للخروج مدة الشهر السابع يحاول أن يخرج فإذا خرج في الشهر السابع خرج سالما ابن سبعة أشهر لا باس به، فإذا مضى ذلك الشهر وهو كابد الخروج شهرا كاملا ولم يخرج بقي ضعيفا عليلا، فإذا خرج في الشهر الثامن يموت غالبا. وإذا ولد المولود يعيش سبعة أعوام هذا أسبوع، إذا بلغ سبعة أعوام تبدلت خلقته غلظت بعض أعضائه نال بعض القوة، سقطت أسنانه الضعيفة وتبدلت بأسنان قوية، وأصبح له عقل يمكنه أن يدخل المدرسة ويتعلم، زد عليه سبعة أعوام أخر يكون قد بلغ، غلظ صوته وارتفعت حنجرته وتغيرت رائحة إبطه، ونبت شعر عانته وربما احتلم إن كان ذكرا أو حاضت إن كانت بنتا، فلهذا مدة البلوغ خمسة عشرا عاما[1]، مذهب الشافعي وهو أرجح الأقوال. زد سبعة أعوام يصير ابن واحد وعشرين سنة صار رجلا جميل الصورة

ونقل الألوسي في روح المعاني عن أرسطو قوله: ..وقلما يعيش الولد في الثمان إلا في بلاد معينة مثل مصر. روح المعاني ج18/26.

1 – أخرج الشيخان عن ابن عمر قال عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني. صحيح البخاري: كتاب الشهادات/ باب بلوغ الصبيان وشهادتهم (2664) وفي صحيح مسلم: كتاب الإمارة/ باب بيان سن البلوغ (3473) قال النووي في شرحه: هذا دليل لتحديد البلوغ بخمس عشرة سنة، وهو مذهب الشافعي والأوزاعي وابن وهب وأحمد وغيرهم.

نبتت له لحية قوي عقله، وقويت شهوته وعرف مقاصد العقلاء، زد سبعة أعوام يصير ابن ثمانية وعشرين عاما، أربعة أسابيع قدر مدار القمر ثمان وعشرون ليلة استكمل نموه ونشوءه زدنا سبعة أعوام يصير ابن خمس وثلاثين سنة هذا قد بلغ أشده. في الغالب الإنسان إذا وصل إلى هذه السن بلغ أشده ولكن الناس متفاوتون ربما تأخر بلوغه الأشد سنزيد خمسة أعوام نستكمل أربعين سنة فيبلغ أشده. فلهذا تجد الولد عندما بلغ أربعين سنة تم عقله وقوته وانتهى نموه لا يزداد بعد، بل يصير في الانتقاص خفيا، إلا في المعنى عقله وقوته وإقباله على الله يزداد في هذه السن إن أراد الله به خيرا، ولكن جسمه ينتقص من هذه المدة، قوته النفسانية تنتقص شيئا فشيئا ربما علاه الشيب ولكن قوته الإلهية تزداد، لهذا ما بعث الله نبيا إلا على رأس أربعين سنة إلا قليلا نادرا لا حكم عليه كعيسى ويحيى ويوسف ما بقي من الأنبياء كلهم بعثوا على أرس أربعين سنة، هذا محل بلوغ الرجل قوته المعنوية الكاملة لأنه بلغ الأشد، فلهذا قال "حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة" بلوغ الأشد كان حقه أن يقع عند خمس وثلاثين سنة ولكن إن تأخر حتى بلغ أربعين سنة فقد بلغ أشده. ولدت امرأة في زمن عمر على ستة أشهر فحاول عمر أن يرجمها فقال علي لا رجم عليها، قال: ولم؟ قال هذه الآية "وحمله وفصاله ثلاثون شهرا" "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين" حولان كاملان إذا أسقطا من ثلاثين شهرا بقي ستة أشهر هي أقل مدة الحمل. فقال عمر: لا عشتُ في قرن ليس فيه أبو الحسن. جرب أن الحمل يولد بعد ستة أشهر قبل ستة أشهر ما يمكن. التجربة ما قبلته والقرآن ما قبِله، القرآن تكلم في أقل مدة الحمل وأكثر مدة الحمل ما تكلم فيه ولكن شوهد أن مولودا ولد بعد أربع سنين من حمله، وقد نبتت له أسنان، وبعد

خمس سنوات، فعلى هذا أخذ مالك أن أكثر مدة الحمل خمس سنوات، والأئمة الباقون يقولون لا حد فيه، يمددونه إلى عشر سنوات والقرآن لم يحدد في هذا شيئا. إذا بلغ الإنسان أربعين سنة وقاه الله من المصائب الثلاث: الجنون والبرص والجذام، إن لم تكن سبقت له هذه الأمراض لا يمكن أن تقع فيه بعدُ. وإذا بلغ خمسين سنة هوّن الله عليه الحساب، وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله إنابة يحبه عليها، وإن بلغ السبعين أحبه الله، وإن بلغ الثمانين تقبل الله منه الحسنات ومحا عنه السيئات، وإن بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته[1]. والشيب أول من شاب من بني البشر إبراهيم، الشيب قبل إبراهيم لم يوجد فلما رأى الشيب في لحيته قال: يا رب ما هذا؟ بدلت خلقي؟ قال: هذا وقار يا إبراهيم ونور. قال: يا رب زدني وقارا ونورا[2]. من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة[3] ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو خمس وثلاثون سنة أو ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ

---

1 – أخرج أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة آمنه الله من أنواع البلايا من الجنون والبرص والجذام وإذا بلغ الخمسين لين الله عز وجل عليه حسابه وإذا بلغ الستين رزقه الله إنابة يحبه عليها وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء وإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته ومحا عنه سيئاته وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في الأرض وشفع في أهله). مسند أحمد: مسند المكثرين من الصحابة (5369).

2 – أخرج مالك عن سعيد بن المسيب أنه قال: كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم أول الناس ضيف الضيف وأول الناس اختتن وأول الناس قص الشارب وأول الناس رأى الشيب فقال: يا رب ما هذا؟ فقال الله تبارك وتعالى: وقار يا إبراهيم، فقال: يا رب زدني وقارا. الموطأ: كتاب الجامع/ باب ما جاء في السنة في الفطرة (1437).

3 – أخرج الترمذي في سننه عن سالم بن أبي الجعد أن شرحبيل بن السمط قال: يا كعب بن مرة حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحذر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة. سنن الترمذي: كتاب فضائل الجهاد/ باب ما جاء في فضل من

سَنَةً﴾ تمامها وهو أكثر مدة الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ قيل هذا نزل في أبي بكر لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم أسن منه بسنتين[1] ﴿أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فكلهم مؤمنون طلب أبو بكر أن يصلح الله ذريته فأسلم أولاده كلهم ولم يبق منهم كافر[2] ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُوْلَئِكَ﴾ القائلون هذا القول أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُواْ وَيُتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ لقوله تعالى "وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات" ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا﴾ كافر يقول هذه الكلمة لوالديه ﴿أَتَعِدَانِنِيَ أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ ولم تخرج ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يسألانه الغوث يقولان ﴿وَيْلَكَ﴾ هلاكك ﴿ءَامِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ هذا في كافر، والقول بأنه نزل في عبد الرحمن بن أبي بكر كذب أنكرته عائشة[3]، لما أرسل معاوية

شاب شيبة في سبيل الله (1558) وللنسائي في سننه: كتاب الجهاد/ باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله عز وجل (3093).

1 – ذكره الطبري في تفسيره ج26/17 والقرطبي ج16/ 194.

2 – نقل القرطبي عند قوله تعالى: "وأصلح لي في ذريتي" قول ابن عباس: فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده ولم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم هو وأبواه وأولاده وبناته كلهم إلا أبو بكر. تفسير القرطبي ج16/ 195.

3 – أخرج البخاري في صحيحه عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا فقال مروان إن هذا الذي أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما

إلى مروان أن يأمر الناس أن يبايعوا يزيد ابنه على أنه هو الخليفة بعده قال عبد الرحمن بن أبي بكر جئتم بها هرقلية؟ ليس هذا في الإسلام تبايعون لأولادكم؟ ليس هذا في الإسلام إنما جئتم بها هرقلية. قال أيها الناس إن هذا الرجل هو الذي يقول فيه القرآن «وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي» سمعت بذلك عائشة قالت: كذب عدو الله ما نزلت فينا إلا براءتي ولكن هو الذي حضرت الرسول صلى الله عليه وسلم يلعن أباه وهو في صلبه إذ ذاك[1] ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَاسِرِينَ وَلِكُلٍّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَاتٌ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ بسبب أعمالهم ﴿وَلِنُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ جزاءها ﴿وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ﴾ بأن تكشف لهم يقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الكفار يعاقبهم الله على تنعمهم في الدنيا لأن المبالغة في التنعم تشغل العبد عن طاعة الله تبارك وتعالى. كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول إن

أتعدانني فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذري. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب "والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني" (4827).

1 – أخرج الحاكم في المستدرك عن محمد بن زياد قال: لما بايع معاوية لابنه يزيد قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر، فقال: أنزل الله فيك: "والذي قال لوالديه أف لكما" الآية، قال: فبلغ عائشة رضي الله عنها فقالت: كذب والله ما هو به ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله عز وجل. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب الفتن والملاحم/ باب ذكر أبغض الأحياء إلى رسول الله (4832)

البذاذة من الإيمان إن البذاذة من الإيمان[1]، الإنسان يتبذذ في بعض الأيام، يتقشف، يذهب بقدميه حافيا في بعض الأوقات. قال عمر لما أتى لبيت المقدس وصنع له خالد طعاما جيدا ووضعه بين يديه قال نحن نأكل هذا وفقراء المسلمين الذين ماتوا وما ملأوا بطونهم من خبز شعير ولما ماتوا ما وجدنا ما نكفنهم فيه حتى جعلنا عليهم الإذخر، قال خالد: أولئك في الجنة، قال: أيأخذون الجنة ونبقى نحن في هذا؟ شتان ما بيننا، وبكى وقال ارفعوا الطعام، قال له: أمير المؤمنين لا يعرف الطعام، قال له عمر: هذا لباب البر في صغار المعزى ولكني خشيت أن يقال "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا". لما جاهد الصحابة وفتحوا البلاد حتى وصلوا إلى القدس وجدوا راهبا كبيرا فحاربوه مدة ولم يفتح لهم فخرج لهم الراهب قال لهم هذا القصر إنما يفتحه رجل إذا رأيته أعرفه ولا أقاتله، وما دام ذلك الرجل لم يأت فنحن بخير، فكتبوا إلى عمر فخرج عمر، ركب بعيرا له أجرب مقطوع الذنب فحل رث، لبس مرقعته قميصه الذي فيه اثنتا عشرة رقعة وخرج حاملا سقاءين من التمر والماء على بعيره يتصدق على المساكين الذين لقيهم حتى وصل إلى محل أتاه راهب فنظر إليه فأسلم. فأتى عمر إلى بيت أبي عبيدة بن الجراح فنزل فيه، ما رأى فراشا ما رأى شيئا من الآلات قال يا أبا عبيدة بيتك ما رأيت فيه شيئا من الأثاث، قال: فيه الدنيا بحذافيرها، فيه طستي أتطهر به، وفيه سيفي أقاتل به العدو، فالدنيا تبع لهذا، فرح عمر بهذا وصنعوا له هذا الطعام وأتوه به فأجابهم بالجواب

---

[1] – أخرج أبو داود في سننه: عن أبي أمامة قال ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عنده الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تسمعون ألا تسمعون إن البذاذة من الإيمان إن البذاذة من الإيمان. سنن أبي داود: كتاب الترجل/ – (3630) وفي سنن ابن ماجه: كتاب الزهد/ باب من لا يؤبه له (4108).

المتقدم، فلما آن وقت الملاقاة خرج عمر وقال آتوني ببعيري قالوا: أنت أمير المؤمنين وهؤلاء أعداء الله يرونك تركب هذا البعير الأجرب الهزيل المقطوع الذنب؟ هذا لا يليق لابد أن تكرم الإسلام بأن نأتيك بفرس جيد تركبه حتى تلقى هؤلاء، قال: لا باس، فأتوه بفرس جيد، فلما ركب عمر تحرك الفرس هكذا يمينا وشمالا أسقط نفسه وقال: سبحان الله العظيم كاد أن يهلكني هذا الفرس لما تحرك أحسست في نفسي شيئا من الكبر والعظمة لا يعلمه إلا الله، فركب البعير قالوا: البس لباسا أو اجعل رداء جميلا فوق لباسك هذا، قال: دعوني فلما وقف بين يدي الراهب قال هذا هو الذي قرأنا في الكتب أن فتح بيت المقدس على يديه فلا نقاتله، قبلنا. فدخل عمر وكتبوا العهود. مسجد عمر في القدس ملتصق بالكنيسة، تخرج من الكنيسة وتدخل مسجد عمر. حدثتهم في القدس فقلت لهم انظروا العدالة في الإسلام، هذا عمر حين كان مع الراهب لكتابة الصلح في نفس الكنيسة حان وقت الصلاة فقال له الراهب تصلي في الكنيسة؟ قال عمر: إذا صليت في الكنيسة عندما أرجع يأخذها منك المسلمون ويجعلونها مسجدا، أُبقي لك كنيستك وأخرج أنا أصلي خارجها، خرج عمر وصلى في باب الكنيسة فلما ذهب بنى الصحابة مسجد عمر في محل صلاته ملتصقا بالكنيسة، كنيسة القيامة في القدس ملتصقة بمسجد عمر، هذا من عدالة الإسلام. فلما فعل ذلك رجع إلى المدينة. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا يودع نساءه ثم يودع عائشة خصوصا ثم يودع فاطمة، آخر من يودع من أهله فاطمة بنته ثم يذهب إلى المسجد يصلي ركعتين للوداع ويخرج إلى سفره، وإذا رجع أول ما يسلم عليه المسجد يبدأ بالمسجد يصلي تحية المسجد ثم يدخل على فاطمة ثم على عائشة ثم على سائر نسائه. هذه عادته صلى الله عليه وسلم، ويوما من الأيام خرج رسول الله صلى الله

عليه وسلم مسافرا فأتوا بهدايا إلى فاطمة، فاتخذت قُلبين من الذهب والفضة تحلت بهما، ولبست لباسا حسنا وجعلت ستارة على بابها ونمرقة وفراشا حسنا وكست ابنيها الحسن والحسين لباسا جميلا فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد تحية المسجد فسبق إلى بيت فاطمة على العادة فلما دخل خرج وما سلم عليها وما كلمها. فتفكرت قالت: هذا ما رأيته قط، رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني ما يحدثني بشيء أي شيء، نظرتْ فخلعت الحلي من يديها واللباس من ابنيها وجمعت هذا كلا وقالت: اذهبوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا له إن هذا صدقة على أهل الصفة[1]. قالوا له: فاطمة تقرئك السلام وتقول إن هذه صدقة على أهل الصفة، فقال صلى الله عليه وسلم: بأبي أنت وأمي فداك أبي وأمي، أفاطمة قالت لك هذا؟ تصدق بهذا وأتى إلى فاطمة وقال: أنت سيدة نساء الأمة[2] كما أني سيد الرجال أتعلمين لم سماك الله فاطمة؟ لأنك فطمت نفسك من

---

1 - أخرج أبو داود في سننه عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة وأول من يدخل عليها إذا قدم فاطمة فقدم من غزاة له وقد علقت مسحا أو سترا على بابها وحلت الحسن والحسين قلبين من فضة فقدم فلم يدخل فظنت أن ما منعه أن يدخل ما رأى فهتكت الستر وفككت القلبين عن الصبيين وقطعته بينهما فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما يبكيان فأخذه منهما وقال يا ثوبان اذهب بهذا إلى آل فلان أهل بيت بالمدينة إن هؤلاء أهل بيتي أكره أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا يا ثوبان اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج. سنن أبي داود: كتاب الترجل/ باب ما جاء في الانتفاع بالعاج (3680).

2 - قوله عليه الصلاة والسلام: (يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة) ورد من حديث عائشة رضي الله عنها، متفق عليه في صحيح البخاري: كتاب الاستئذان/ باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به (6285) وفي صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (4488). ولفظه عند الحاكم: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في مرضه الذي توفي فيه: (يا فاطمة ألا

الدنيا. لِم سميتِ البتول؟ لأنك تبتلت إلى الله تبارك وتعالى، بشرها كثيرا من البشارات. كان عمر يقول لأصحابه: أو كلما اشتهى أحد منكم شيئا اشتراه وأكله فقط؟ أما تخافون أن يقال لكم: "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا"؟[1] «فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ» ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هود عليه الصلاة والسلام ﴿إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللَّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ تصرفنا ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنه يأتينا ﴿قَالَ﴾ هود ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ إليكم ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابا عرض في أفق السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ العذاب ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ﴿فَأَصْبَحُواْ لاَ تَرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ يا أهل مكة من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ

ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين) قال الحاكم هذا إسناد صحيح ولم يخرجاه هكذا. المستدرك: كتاب معرفة الصحابة/ باب ذكر مناقب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (4791).

1 – تفسير القرطبي ج202/16 وفي الموطأ مثله مع اختلاف يسير. الموطأ: كتاب الجامع/ باب ما جاء في أكل اللحم (1467).

سَمْعًا﴾ أسماعا ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ من الإغناء ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِئُون وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى﴾ كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ كررنا الحجج البينات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَلَوْلاَ نَصَرَهُمْ﴾ دفع عنهم العذاب ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا﴾ متقربا به إلى الله ﴿ءَالِهَةً﴾ أصناما ﴿بَلْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ وَذَلِكَ﴾ قرباهم ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾ أملنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ إن الله تبارك وتعالى أمال جماعة من الجن جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ﴾ قال جن نصيبين أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة[1] وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة يصلي بأصحابه الفجر. فصرف الله جماعة من الجن استمعوا منه القرآن فآمنوا به مرات، مرة أمره الله تبارك وتعالى أن يخرج إلى جن نصيبين بنينوى فخرج معه عبد الله بن مسعود فلما قرب من المحل الذي يلتقي فيه بالجن خط له خطا وقال له: لا تخرج من هذا الخط إذا خرجت من هذا الخط لا تلقاني إلا في يوم القيامة. فبقي وذهب النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود فرأيت الأصوات ينسلون ينسلون حتى اجتمع عليه نفر كبير حتى صرت ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخفت عليه وكدت أن أخرج أتطلبه، فتذكرت ما قال لي أني إن خرجت من خطه لا ألقاه إلا في يوم القيامة فبقيت. فنزل الجن فصار النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ لهم القرآن ويؤمنون وهم سبعون ألفا فآمنوا. الليل كله

---

1 – ذكر ابن حجر في شرحه للحديث رقم 4921 من فتح الباري أقوالا عن عددهم منها: سبعة من أهل نصيبين قاله ابن عباس، وتسعة في رواية عمر بن قيس. ونقلهما القرطبي عن ابن عباس وزر بن حبيش وقال قال قتادة: إنهم من أهل نينوى. القرطبي ج16/213.

مشتغل في هذا فما انصرف إلا بعد أن صلى بهم الفجر[1] ومرة دخل رجل قال عمر قال الرسول صلى الله عليه وسلم: مشية جني ونغمته ورب الكعبة فدخل شخص فقال له الرسول من أنت؟ قال أنا هامة بن أهيم بن لاقيس بن إبليس، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم سبحان الله ليس بينك وبين إبليس إلا أبوان؟ قال نعم، قال كم أتى عليك من العمر؟ قال أكلت عمر الدنيا كلا عندما كان قابيل يقتل هابيل أنا حاضر معه وأنا الذي ناولته الحجر الذي دمغ به رأس هابيل. قال له صلى الله عليه وسلم: بيس ما فعلت. قال ولكن تبت إلى الله من ذلك، وأدركت نوحا وركبت معه في السفينة وكنت مع إبراهيم حين ألقي في النار وكنت مع موسى وعلمني سورا من التوراة وكنت مع عيسى وعلمني سورا من الإنجيل وقال لي إذا لقيت محمدا فأقرئه مني السلام قال الرسول صلى الله عليه وسلم: وعلى عيسى السلام فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم سورا من القرآن، قال عمر توفي

---

1 - أخرج الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا: "إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا" فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: "قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن" وإنما أوحي إليه قول الجن. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب قال ابن عباس لبدا أعوانا (4921) وفي صحيح مسلم: كتاب الصلاة/ باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن (681).

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخبرنا بموته فتحققنا أنه ما زال حيا هذا في زمن عمر[1]. قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: وما لباسك من ذلك الوقت إلى الآن؟

---

1 - أخرج السيوطي في الجامع الكبير ج1125/2 عن عمر قال: بينما نحن قعود مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبال من جبال تهامة إذ أقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام، ثم قال: نغمة جن وغنتهم، من أنت؟ قال: أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فما بينك وبين إبليس إلا أبوان؟ قال: نعم. قال: فكم أتى عليك من الدهر؟ قال: قد أفنيت الدنيا عمرها إلا قليلا، قال: ما علم ذلك؟ قال: ليالي قتل قابيل هابيل كنت غلاما ابن أعوام أفهم الكلام وأمر بالآكام، وآمر بإفساد الطعام وقطيعة الأرحام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بئس عمل الشيطان المتوسم والشاب المتلوم، قال: ذرني من الترداد إني تائب إلى الله عز وجل، إني كنت مع نوح في مسجده مع من آمن به من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني، وقال لا جرم إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، قلت يا نوح إني ممن أشرك في دم السعيد هابيل بن آدم فهل تجد لي عند ربك توبة؟ قال: يا هام همّ بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة إني قرأت في ما أنزل الله عز وجل علي أنه ليس من عبد تاب إلى الله عز وجل بالغا ذنبه ما بلغ إلا تاب الله عليه، قم فتوضأ واسجد لله سجدتين، ففعلت من ساعتي ما أمرني به، فناداني ارفع رأسك فقد نزلت توبتك من السماء فخررت لله ساجدا حولا، وكنت مع هود في مسجده مع من آمن من قومه، فلم أزل أعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني فقال: لا جرم إني على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، وكنت مع صالح في مسجده مع من آمن به من قومه فلم أزل أعاتبه على قومه حتى بكى عليهم وأبكاني وكنت زوارا ليعقوب، وكنت من يوسف بالمكان المكين، وكنت آلف إلياس في الأودية وأنا ألقاه الآن، وإني لقيت موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال: إن لقيت عيسى ابن مريم فأقرئه مني السلام، وإني لقيت عيسى ابن مريم فأقرأته من موسى السلام، وإن عيسى قال لي: إن لقيت محمدا فأقرئه مني السلام فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عينيه فبكى، ثم قال: وعلى عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك يا هامة بأدائك الأمانة قال: يا رسول الله افعل بي ما فعل موسى بن عمران فإنه علمني من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم {إذا وقعت الواقعة} و{المرسلات} و{عم يتساءلون} و{إذا الشمس كورت} و{المعوذتين} و{قل هو الله أحد} وقال: ارفع إلينا حاجتك يا هامة ولا تدع زيارتنا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه

قال لباسي هذا، إنما أمتك تتسخ ملابسهم لذنوبهم فقط ومن لم يعص الله لا يتسخ لباسه. هذا «وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ» ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُواْ﴾ قال بعضهم لبعض ﴿أَنصِتُواْ﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَّوْاْ﴾ رجعوا ﴿إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُواْ يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى﴾ هم كانوا على دين اليهود ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه كالتوراة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ إلى الإسلام ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُواْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ بعضها لأن منها المظالم ولا تغفر إلا برضى أصحابها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم ﴿وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يعجز الله بالهرب ﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾ لمن لا يجيب ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ من دون الله ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُوْلَئِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾ يعلموا، منكرو البعث ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يعجز عنه ﴿بِقَادِرٍ﴾ قادر ﴿عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها يقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ فَاصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ﴾ ذووا الثبات والصبر على الشدائد ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ قبلك. أولوا

إلينا فلسنا ندري أحي أم ميت. وفي كنز العمال: كتاب خلق العالم من قسم الأفعال/ خلق الجن (15229).

العزم من الرسل هم خمسة "منك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم"[1] ﴿وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لقومك نزول العذاب ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ هذا القرآن ﴿بَلاَغٌ﴾ تبليغ من الله ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ﴾ لا يهلك عند رؤية العذاب ﴿إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الكافرون. أولوا العزم من الرسل مدحهم الله بالعزم وعندهم أخلاق طيبة غير العزم. وآدم هو أول خليفة ولكن قال "فنسي ولم نجد له عزما" وخمسة ذكر أنهم أولوا العزم أولهم نوح جعل من أولي العزم لأنه مكث ألف سنة إلا خمسين عاما يعظ قومه ويذكرهم ويدعوهم إلى الله ويضربونه حتى يظنون أنه مات يلقونه خارج القرية فإذا جاء السحَر أفاق ورجع إلى دعوته مدة ألف إلا خمسين عاما، هذا له عزم. وإبراهيم أوقدت له النار فألقي فيها فتعرض له جبريل قال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا. قال: سل الله، قال: علمه بحالي يغني عن سؤالي[2]. قال الله "قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم" هذا له عزم. وموسى كابد أهوال

---

1 – نقل البغوي ضمن أقوال قول ابن عباس وقتادة: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة. ثم قال: قلت ذكرهم الله على التخصيص في قوله "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم" وفي قوله تعالى "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا" الآية. تفسير البغوي ج176/4 وبمثله قال النسفي في تفسيره ج297/3. والثعالبي ج220/3.

2 – جاء في تفسير الطبري: وروى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك، قال: ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي. تفسير الطبري: سورة الأنبياء / قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم.. وفي القرطبي ج303/11. تقدم في الدرس 44.

فرعون مدة أربعين سنة حتى أغرقه الله في البحر وما مل من دعوته. وعيسى كذلك كابد إذاية اليهود فأرادوا قتله حتى رفعه الله إلى السماء، ومحمد كابد مشقة قريش أبي لهب وقومه فهؤلاء قال الله تبارك وتعالى في حقهم إنهم أولوا العزم من الرسل وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم[1].

سورة محمد

أو سورة القتال مدنية إلا "وكأي من قرية" الآية أو مكية

وهي ثمان أو تسع وثلاثون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آخر السورة وأول هذه السورة واحد ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ "فهل يهلك إلا القوم الفاسقون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله" ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أحبط الله أعمالهم ما هم من الأعمال كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرون لها ثوابا في الآخرة لأن شرطها مفقود هو الإيمان ﴿وَالَّذِينَ

---

1 - في الجامع الصغير للسيوطي روى ابن عساكر عن أبي هريرة: خيار ولد آدم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد صلى الله عليه وسلم. الجامع الصغير رقم 3981. وورد في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج263/3: عن أبي هريرة قال: خير بني آدم نوح وإبراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم أولو العزم من الرسل. قال القرطبي: وهذا نص من ابن عباس وأبي هريرة في التعيين. وقال الألوسي في روح المعاني: أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عنه أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وظاهره القول بأنهم أربعة وهذا أصح الأقوال، وقال الجلال السيوطي: إن أصحها القول بأنهم خمسة هؤلاء الأربعة ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين، وأخرج ذلك ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس وهو المروي عن أبي جعفر وابن عبد الله من أئمة أهل البيت رضي الله تعالى عنهم. روح المعاني ج35/26.

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَءامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ إن الله تبارك وتعالى أخبر أن الكفار أضل أعمالهم لأنهم لم يؤمنوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد «كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» ﴿ذَلِكَ﴾ الإضلال ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ اتَّبَعُواْ الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّبَعُواْ الْحَقَّ﴾ اتبعوا الحق فكفر الله عنهم سيئاتهم غفر لهم وأعطاهم الجنة «وَأَنَّ الَّذِينَ ءامَنُواْ اتَّبَعُواْ الْحَقَّ» ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ يبين أحوالهم فالكافر يحبط عمله والمؤمن يُغفر زَلَلُهُ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ اقتلوهم، في سورة الأنفال "فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان" وفي هذا استعمل المصدر «فَضَرْبَ الرِّقَابِ» الزموا ضرب رقابهم أي اقتلوهم فقط، عبر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّواْ﴾ أمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا ﴿الْوَثَاقَ﴾ ما يوثق به الأسرى إذا قتلتم حتى قتلتم غالبهم فاشتغلوا بالأسارى إذا أسرتم ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ فإما أن تمنوا عليهم منّا بعد ذلك بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾ تفادوهم بمال ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ﴾ أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾ حتى يسلموا ويلقوا السلاح ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال إن الله ابتلى المؤمنين بتكليف الجهاد وهو يكفي وحده لهلاك الكفار ولكن أمر بالجهاد ابتلاء منه تبارك وتعالى ﴿وَلَكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَاتَلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُّضِلَّ﴾ يحبط ﴿أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ إن الله تبارك وتعالى وعد المسلمين وعدا حسنا هو أن يغفر لهم سيئاتهم، والمغفرة سببها الإيمان، الإيمان مستوجب للمغفرة ورزق كريم الذي هو نعيم الجنة سببه الأعمال الصالحة فبالعمل الصالح وصلوا إلى النعيم

وبالإيمان كفرت سيئاهم «وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ إن تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ يثبتكم في المعترك ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ هلاكا وخيبة من الله تبارك وتعالى ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ذَلِكَ﴾ التعس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأعمالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ من أهل مكة ﴿أَمْثَالُهَا﴾ سيهلكون أيضا ﴿ذَلِكَ﴾ نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾ الله ناصر الذين آمنوا ووليهم والكافرون ليس لهم ناصر ولا ولي ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ مكة ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ هي أهل مكة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ كم من قرية أشد قوة من أهل مكة وأهلكها الله تبارك وتعالى كذلك أهل مكة سيهلكون ﴿فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة وبرهان ﴿مِن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فرآه حسنا وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في عبادة الأوثان ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ الأنهار الأربعة التي ربما ترددت في الكتاب هذا ذكرها ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ نهر في الجنة من ماء طيب لا يتغير أبدا يسير مع ولي الله في الجنة إن جلس فالنهر حوله وإن طلع على فراشه فالنهر معه أينما أراد الماء ينصب عليه الماء على أحسن حال ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ وأنهار من لبن أيضا ليس لبن الضروع بل أنهار من اللبن تجري من أرض الجنة يسير مع ولي الله

حيث سار في الجنة لا يتغير أبدا لأنه لم يخرج من لحم ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ وأنهار كذلك تجري من الخمر اللذيذة ليست كخمر الدنيا التي فيها السكْر والصداع ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ بخلاف عسل الدنيا فإنه لخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هذا ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ شتان ما بينهما ﴿وَسُقُواْ مَاءً حَمِيمًا﴾ شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ أهل النار يعذبون بالنار مع شدة حرقهم يعذبون بالجوع والعطش وكلما طلبوا طعاما يؤتون بطعام إذا أكلوه تقطعت أمعاؤهم من شدة الحر، وإذا طلبوا شرابا أعطوا ماء حميما يشوي الوجوه إذا استقبله الوجه سقط جلد الوجه عليه من شدة حرارته وإذا شربوه قطع أمعاءهم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ كفار مكة ﴿مَنْ يَّسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في خطبة الجمعة وهم المنافقون ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ﴾ علماء الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ المنافقون يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يضبطون شيئا من كلامه لعدم حضور قلوبهم في ذلك وإذا خرجوا يقولون «مَاذَا قَالَ ءَانِفًا» يستهزئون بهذا ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فعلى هذا الإنسان إذا جلس في مجلس القرآن لا يخرج بحاله أبدا لابد أن يخرج بزيادة إيمان أو بنقصانه ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ألهمهم ما يتقون به ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون كفار مكة ﴿إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَا أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، كان من علامة قيام الساعة بعثة النبي صلى الله عليه وسلم[1]،

1 – يشهد له قوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيح عن أنس: بعثت أنا والساعة كهاتين. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب قول النبي بعثت أنا والساعة كهاتين (6504).

وانشقاق القمر، والدخان، هذه الآيات الصغرى خرجت، والكبرى المهدي وعيسى ويأجوج ومأجوج والدجال وشروق الشمس من مغربها هذه الخمس إذا ظهرت منها واحدة تبين أن العالم دخل في تغير كبير[1] ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ إذا أتى يغلق باب التوبة ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ دم يا محمد على علمك بذلك النافع في يوم القيامة "اعلم أنه لا إله إلا الله" العلم قبل العمل. سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال فقال: العلم، قالوا: عن العمل نسأل، قال: العلم، قالوا: سألنا عن العمل وأجبت عن العلم. قال: إن قليل العمل مع العلم ينفع وكثير العمل مع الجهل لا ينفع[2]، فالعلم هو الإمام والعمل تابع له.

---

1 - قال ابن حجر في فتح الباري كتاب الرقاق/ باب قول النبي : «بعثت أنا والساعة كهاتين» (6504): فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة.

2 - أخرج السيوطي في الجامع الصغير (أفضل الأعمال العلم بالله، إن العلم ينفعك معه قليل العمل وكثيره، وإن الجهل لا ينفعك معه قليل العمل ولا كثيره). للحكيم عن أنس، الجامع الصغير (1240). وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال: كتاب العلم/ الباب الأول في الترغيب فيه. الديلمي عن مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي عن عبادة بن الصامت عن أنس (28940).
وفي تخريج أحاديث الإحياء قال الحافظ العراقي: الحديث: (قيل له يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ فقال العلم بالله عز وجل، فقيل أي العلم تريد؟ قال صلى الله عليه وسلم : العلم بالله سبحانه، فقيل له: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم، فقال صلى الله عليه وسلم: إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله، وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله) أخرجه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف. الإحياء: المجلد الأول: كتاب العلم /الباب الأول. وقد تقدم في الدرس33

(فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)[1]، والعلم حيث ذكر في القرآن فالمراد العلم النافع ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ لأجله، استغفر لذنبك لتستن بك أمتك وقد فعله صلى الله عليه وسلم قال: (إنه ليغان علي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) وفي رواية مائة مرة[2]. والغين ما يغطي قلب الإنسان فيغفل عن الله وهذا مستحيل في حق النبي صلى الله عليه وسلم فما هو هذا الغين؟ وقف سائل بمجلس أستاذ يدرس فقال له ما معنى هذا الحديث (إنه ليغان علي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) وفي رواية مائة مرة؟ فلم يعرف الجواب، وفي الليل رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال له: قل له غين أنوار لا غين أغيار. فانتبه فجاء السائل قال له: غين أنوار لا غين أغيار، قال له: صلّ على من علمك الجواب، هذا السائل الخضر ويعلم أن

---

1 – أخرج الترمذي في سننه عن أبي أمامة الباهلي قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير. سنن الترمذي: كتاب العلم/ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (2609). وفي سنن الدارمي من حديث مكحول: كتاب المقدمة/ باب من قال العلم الخشية وتقوى الله (291).

2 – (إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) عن الأغر المزني، صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (4870). وفي صحيح البخاري: عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة) كتاب الدعوات/ باب استغفار النبي في اليوم والليلة (6307). وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه "واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات" فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة) قال هذا حديث حسن صحيح ويروى عن أبي هريرة أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة). سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن/ باب من سورة محمد (3182). تقدم في الدرسين 12 و22.

الجواب أتى من النبي صلى الله عليه وسلم فغينه صلى الله عليه وسلم هو ترقيه في المقامات، هو في كل نفَس يترقى إلى مقام أعلى من مقامه الأول وإذا ترقى إلى المقام الجديد يعلم من الآداب مع الله تبارك وتعالى وخدمته ما لم يكن يعلم قبل، فيعلم أنه كان مقصرا في حق الله تبارك وتعالى فيستغفر الله[1] ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ استغفر لذنبك ذنب أمتك وللمؤمنين والمؤمنات إكراما لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ متصرفكم لأشغالكم ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم الله يعلم متقلبكم في دنياكم ومثواكم في أخراكم، متقلبكم في بيوتكم ومثواكم في قبوركم. الله تبارك وتعالى مع عبده مهما ذكره فإن ذكره في نفسه ذكره في نفسه وإن ذكره في ملإ ذكره في ملإ خير من ملئه أو أعظم من ملئه[2]. واعلم أن كل صاحب وكل حبيب وكل صديق وكل قريب لابد أن ينساك في بعض الأوقات، فحبيبك الذي لا ينساك في أي وقت من الأوقات، في ليلك، في نهارك، في نومك، في يقظتك، في طاعتك، في معصيتك، في شكرك، في كفرك، في غفلتك، في تذكرك، لا ينساك أبدا، ذاك هو الله تبارك وتعالى، لا ينساك أبدا، إن

---

1 – قال الصاوي في حاشيته على الجلالين في شرح الغين وأنه غين أنوار: المراد به أنوار تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره منها صلى الله عليه وسلم أنه دائما يترقى في الكمالات، فكلما ارتقى إلى مقام رأى أن الذي كان فيه بالنسبة للذي ارتقى إليه ذنب فيستغفر الله منه. الصاوي ج90/4 –المنار.

2 – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة. صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى: "ويحذركم الله نفسه" (7405). وفي صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار / باب الحث على ذكر الله (4832). تقدم في الدروس 5، 6، 11، 18، 20، 21، و39.

لم تقدر على أن لا تنسه أبدا فلا أقل من أن تأخذ بعض الأوقات تتذكره فيها، فالأوراد لا بأس بها عكس ما يقول المنكرون ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ لم تنسخ ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ طلبه ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شك وهم المنافقون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفا منه وكراهية يخافون من القتال ويكرهونه جدا، المنافقون لازم لهم الجبن دائما ﴿فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ حسن ذلك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ لعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَن تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُواْ أَرْحَامَكُمْ﴾ تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغي والقتال ﴿أُوْلَئِكَ﴾ المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ عن طريق الهدى ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ فلا يفهمونه ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ زين لهم ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ أي وعدهم أو أضلهم ﴿ذَلِكَ﴾ إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُّخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ أحقادهم على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ عرفناكهم ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ علاماتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ والله لتعرفنهم ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ بمعنى إذا تكلموا عندك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَاْ﴾ نظهر

﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ من طاعتكم وعصيانكم ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم قوم انفلتوا من أسارى بدر ﴿وَشَاقُّواْ الرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يبطلها من صدقة وصلة رحم ونحو ذلك، ونزل في المطعمين من أصحاب بدر وهم الذين كانوا يطعمون الكفار مقاتلة قريش وهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأبو جهل بن هشام وغيرهم، كان منهم العباس بن عبد المطلب[1] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُواْ أَعْمَالَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا تَهِنُواْ﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُواْ إِلَى السَّلْمِ﴾ الصلح ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ الغالبون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَالَكُمْ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الاشتغال فيها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ﴾ الرسول ﴿أَمْوَالَكُمْ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ لدين الإسلام ﴿هَاأَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ما فرض عليكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ يقال بخل عليه وعنه ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُواْ أَمْثَالَكُمْ﴾ في التولي.

---

[1] – ورد في تفسير البغوي ج247/2: قوله تعالى "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله" أي ليصرفوا عن دين الله قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر.

سورة الفتح

مدنية تسع وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ نزلت في الحديبية، خرج النبي صلى الله عليه وسلم عام ستة من الهجرة إلى مكة يقصد العمرة هو وأصحابه ألف وأربعمائة[1] وساق سبعين بدنة لهديه وساق قومه سبعمائة بدنة حتى وصلوا إلى الحديبية مرحلة من مكة فأرسل عثمان إلى قريش يخبرهم أنه أتى لزيارة البيت، ما أتى لحرب، فحبسوا عثمان، فأشاع الشيطان أن عثمان قتل فدعا النبي صلى الله عليه وسلم للمبايعة فبايعوه، وخافت قريش فأطلقوا عثمان ورجع فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترطوا معه شروطا أنه يرجع إلى العام القابل ويتركون له البيت ويخلون له البلدة ثلاثة أيام فيفعل ما يشاء، وبعد خروجهم يرجعون إلى منازلهم فذبح الرسول صلى الله عليه وسلم هداياه ورجع وقومه في حزن شديد من رجوعهم ولم يصلوا إلى البيت، وفي الليل أنزل الله عليه هذه السورة فقال إن الله أنزل علي سورة لهي أحب إلي من الدنيا وما فيها، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس[2] فنزلت هذه السورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا لك بفتح مكة ﴿فَتْحًا مُّبِينًا

---

1 – أخرج البخاري عن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية (4150).

2 – حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه

لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ أخبره تبارك وتعالى أنه فتح له فتحا كبيرا فتحا مبينا «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك» والفتح ليس هو السبب في الغفران، إن النبي صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قبل الفتح وبعد الفتح لأن مغفرته هي عصمته وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر، إنما ذكره الله ليجمع عليه هذه الخصال الآتية: «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك» إنعامه عليك «ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا» مجموع هذه كلا ما وقع إلا بفتح مكة فعدّ المغفرة معها، فلما نزلت «إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» ليغفر لك الله ذكر الفاعل هو الله في الجملة الأولى «ويتم نعمته عليك» لم يقل ويتم الله عليك «ويهديك صراطا مستقيما» لم يقل ويهديك الله صراطا مستقيما «وينصرك الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلت أم عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال: لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا. صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن/ باب "إنا فتحنا لك فتحا مبينا" (4833). وقال ابن حجر في شرحه: وجاء في رواية الطبراني من طريق عبد الرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود أن السفر المذكور هو عمرة الحديبية. وفي رواية مسلم عن قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال: لما نزلت إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله إلى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبية فقال لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب صلح الحديبية في الحديبية (3341).

نصرا عزيزا». الفصاحة تقتضي أن الفاعل يذكر في الجملة الأولى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» يغني عن ذكر الله في كل جملة، وذكره مرة ثانية مع النصر لأن النصر لا يكون إلا من عند الله، فلهذا لا نجد النصر في القرآن إلا مقرونا باسم الله «وينصرك الله نصرا عزيزا»، "نصر من الله وفتح قريب"، "إذا جاء نصر الله"، "وما النصر إلا من عند الله"، لم تجد نصرا إلا وهو مقرون مع اسم الله ليعلم كل مؤمن أن النصر لا يكون إلا من عند الله "إن ينصركم الله فلا غالب لكم".

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُواْ إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ لما قال: "إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" قال المؤمنون هنيئا لك يا رسول الله مريئا، أنت غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ونحن لا ندري[1]، قال: «ليدخل المؤمنين والمؤمنات» ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ «ليدخل المؤمنين والمؤمنات» كثيرا ما يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات وهنا ذكر المؤمنين والمؤمنات كما في سورة الأحزاب "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات .."الخ لأن هنالك ذكر نساء النبي صلى الله عليه وسلم فلو لم يذكر المسلمات لا تتيقن المسلمات أنهن يدخلن في هذا، وإذا ذكر صفة عامة لجميع المسلمين والمسلمات لا يحتاج لذكر

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه "إنا فتحنا لك فتحا مبينا" قال الحديبية قال أصحابه: هنيئا مريئا، فما لنا؟ فأنزل الله: "ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار" صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية (4172).

المؤمنات لأهن يعلمن بديهة أهن دخلن في ذلك، ولكن لما كان هذه المغفرة سببها الجهاد، والجهاد يقوم به الرجال دون النساء، والقتال الرجال هم الذين يقاتلون فلو لم يذكر المؤمنات لتوهمت المؤمنات أهن ما دخلن في هذه المغفرة فلهذا صرح «لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ» كذلك المنافقون ذكرهم وذكر المنافقات، لأن المشركين والمنافقين الرجال هم الذين يقاتلون النبي صلى الله عليه وسلم، فلو لم يذكر المنافقات والمشركات لظنت المنافقات والمشركات أهن لم يدخلن في العذاب. فصرح القرآن أنه كما يدخل المؤمنين والمؤمنات الجنة فالمشركون والمشركات والمنافقون والمنافقات كذلك يدخلون في النار ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ لم يزل ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تعظموه ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ نزل في بيعة الرضوان ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ "من يطع الرسول فقد أطاع الله" ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ هذه يد المصطفى فوق أيدينا نفس يد الله تبارك وتعالى فوق أيدينا ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَنُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الله تبارك وتعالى رأى النبي صلى الله عليه وسلم فني عن نفسه حتى لم تبق منه بقية فأقامه مقامه، فيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد الله فلهذا نصلي على النبي حتى الله تبارك وتعالى يصلي على النبي لأنه لم تبق منه بقية،

فلهذا لا تجده يوم القيامة حيث يقول الأنبياء نفسي نفسي يقول نفسي نفسي لأنه لم يبق له نفس، يقول أمتي أمتي[1]. فلهذا السر الإنسان ما دام حيا لا يصلّى عليه ولا يصلى إليه وجه الإنسان لا يكون قبلة حتى أن المصلي إذا كان إنسان بين يديه بينه وبين القبلة يجب أن يوليه ظهره لا يوليه وجهه إلا إذا مات الإنسان، إذا مات صلينا عليه لأنه لم تبق منه بقية، حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لم تبق منه بقية صلينا عليه، إذا مات الإنسان و لم تبق منه بقية صلينا عليه «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما» ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ من ترك الخروج قال تعالى ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ من طلب الاستغفار ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ لم يزل ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّنْ يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ كنتم تظنون أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما يلقى صناديد قريش يهلك هو ومن معه ﴿وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يُستأصلون فلا يرجعون ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ نارا شديدة ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لم يزل متصفا بما ذكر ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون ﴿إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ﴾

---

1 – قول الأنبياء عليهم السلام يوم القيامة (نفسي نفسي) وقوله صلى الله عليه وسلم: (أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب) ورد في الصحيحين من حديث الشفاعة الطويل، أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه. صحيح البخاري: كتاب التفسير/ باب: "ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا" (4712). وفي صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (287).

مغانم خيبر التي وجدوها بعد رجوعهم من الحديبية ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُواْ كَلاَمَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم ﴿بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة أو مسيلمة الكذاب أو هم فارس والروم[1] ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَنْ يُّطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَّتَوَلَّ نُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ هو النار. صدق الله العظيم.

---

1 – انظر هذه الأقوال في تفسير القرطبي ج272/16.

الدرس السابع والأربعون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم ورضي الله تعالى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

يا همة الشيخ احضري   لنا بهذا المحضر

ولتعطفي بنظرة   تأتي لنا بالظفر

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة وهم ألف وثلاثمائة أو أربعمائة على الأصح أو ألف وخمسمائة[1]. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ستة من الهجرة يريد العمرة، ولما وصل إلى الحديبية بينه صلى الله عليه وسلم وبين مكة مرحلة واحدة أرسل إلى قريش شفقة عليهم يعلمهم أنه جاء لزيارة البيت ولا يريد حربا، ولما أرسل عثمان حبسوه عندهم وقالوا له أنت لك أن تطوف بالبيت وأما محمد فلا. قال: بيت يمنع منه محمد صلى الله عليه وسلم لا حاجة لي فيه، أبى أن يطوف بالبيت أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوقعت خلافات واشتباكات فشاع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

---

1 – تقدم في الدرس46 حديث البراء الذي قال فيه: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا. صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية (4150). ونقل ابن حجر في حديثه عن اختلاف الروايات في عدهم من طريق سعيد عن جابر أنهم كانوا خمس عشرة مائة ومن طريق عبد الله بن أبي أوفى أنهم كانوا ألفا وثلاثمائة، وقال: أما البيهقي فمال إلى الترجيح وقال: إن رواية من قال ألف وأربعمائة أصح.

عثمان الذي أرسل قد قتلته قريش[1]، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على يده اليسرى وقال هذه بيعة عثمان إن كان هذا الذي أخبرت به صحيحا فلن أرجع حتى أقاتلهم وأقتلهم عن آخرهم فبايعوني، فبايعه الصحابة كلهم على الموت، كلهم يبايع أنه يقاتل ولا يفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقتل، ألف وأربعمائة أو ألف وخمسمائة كلهم بايع على الموت[2]. فلما

---

1 - أخرج أحمد في مسنده من حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عمر ليبعثه إلى مكة فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بها من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز مني عثمان بن عفان قال فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان حتى أتى مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردف خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قتل. مسند أحمد: مسند الكوفيين/ باب حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم (18152).

2 - نقل ابن حجر في الفتح عن ابن إسحاق قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن عثمان قد قتل فقال: (لئن كانوا قتلوه لأناجزنهم، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه على القتال على أن لا يفروا. شرح الحديث رقم (4167) من صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية.

وجاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر عن مناقب عثمان رضي الله عنه قوله: كانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان. صحيح البخاري: كتاب المناقب/ باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه (3698). وأخرج الشيخان عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على الموت. صحيح البخاري:

سمعت قريش بذلك فزعوا وخافوا وأرسلوا رجالا للصلح بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عروة بن مسعود الثقفي أمير الطائف، قال لهم دعوني أذهب إلى الرجل وإذا رجعت لا تخالفوني في رأي رأيته لكم. أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمغيرة بن شعبة ابن أخيه هو حارس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم سل سيفه قائما على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عروة بن مسعود وعادة ملوك العرب إذا أراد ملك أن يكلم ملكا كلاما جدا عنده يأخذ بلحيته قبل أن يقول ما يريد قوله، فهمَّ عروة بن مسعود أن يأخذ بلحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربه المغيرة بن شعبة بصفحة سيفه وقال له إذا دنت يدك من لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلتك، فقال من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة ابن أخيك، قال له عروة يا: غدر، ما زلت أقضي غراماتك في الجاهلية وتكافئني بهذا؟ ثم تأمل في الصحابة وقال: يا محمد أنا ما رأيت رجالا للحرب، هؤلاء مساكين اجتمعوا حولك ليأكلوا عندك فقط ليس عندهم ما يأكلون، إذا دخلت حربا تفرقوا عنك، فقال له أبو بكر الصديق: امصص ببظر اللات، سب إلههم، قال من المتكلم؟ قالوا: هذا أبو بكر الصديق. قال: ليته كان غير أبي بكر، أبو بكر أحسن إلي إحسانا فيما مضى وما كافأته عليه، عادة العرب أن من أحسن إليك قبل المكافأة إذا فعل لك شيئا لا ترد عليه، فنظر يمينا وشمالا ورجع وقال لقريش: ما رأيت لكم خيرا في محاربة هذا الرجل، إني ذهبت إلى فارس ولقيت كسرى وذهبت إلى الروم ولقيت قيصر ما رأيت ملكا معظما في

كتاب المغازي/ باب غزوة الحديبية (4169) وفي صحيح مسلم: كتاب الإمارة/ باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة (3462).

قومه كمثل محمد، هؤلاء لا يتركون محمدا أبدا، إذا تكلم أنصتوا لما يقول، وعندما يفرغ من كلامه يمتثلون ما أمر به، إذا توضأ يقتتلون على فضلة وضوئه، من وجد منهم شيئا يتبرك به وإذا بصق كذلك. قالوا له جبنت فقط لما رأيت الرجل. قال: أجبن أنا؟ فركب راحلته ورجع إلى وطنه. فقام مائتان من شجعان قريش فيهم عكرمة قبل إسلامه فوقعوا على جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسروا جميعا وأتي بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم، قال لهم أنا لا أريد قتالا خلوا سبيلهم فرجعوا. مر به سهيل بن عمرو راجعا من سفر فكلمه الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ويل قريش أنهكتكم الحروب وأنتم ما زلتم تريدون الحرب، أنا جئت لزيارة البيت فقط السيف في غمده، وكل خطة فيها تعظيم بيت الله الحرام أنا أوافق عليها ولا أريد قتالا، وإن أبيتم إلا القتال فذاك. فذهب سهيل بن عمرو وأخبر قريشا قالوا له: ارجع أنت إليه حتى تأخذ منه صلحا فرجع سهيل، لما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم قال: سهل أمركم إن القوم يريدون الصلح الآن لو لم يريدوا الصلح ما بعثوا سهيلا بن عمرو. فأتى سهيل وقال: يطلبون منك أن ترجع هذا العام لا تأتي لمكة لأنهم عار عليهم أن تتحدث العرب أن محمدا دخل مكة عنوة، وإذا دخل بهذه الحالة يظنون أنه دخل عنوة ولا يدخل مكة عنوة أبدا، ولكن إن رجع يأتي في العام القابل ونخرج نحن لا نحب أن نراه، نخرج من بيوتنا وديارنا ونخلي له مكة ثلاثة أيام حتى يفرغ من عمرته ويرجع إلى بلده ونرجع إلى بيوتنا بشرط أن كل من أسلم على يديه في هذه المدة منا يرده إلينا ومن ارتد من أصحابه ولحق بنا يتركه لنا فقبل الرسول هذه الشروط كلا بيد أن النساء لا تدخل في هذا، قال لهم النساء لسن في هذا، المرأة إن أسلمت لا ترد لأنها حرام على الكفار فكتبوا هذا الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم" قال سهيل: لا نعرف "الرحمن الرحيم"

اكتب "باسمك اللهم" الذي كان يكتب آباؤنا. قال الرسول صلى الله عليه وسلم – علي هو الكاتب – اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا. قال: لا، "رسول الله" لا نقبله، محمد بن عبد الله فقط، قال والله إني رسول الله وإن كذبتموني فأنا محمد بن عبد الله، اكتب يا علي محمد بن عبد الله وامح رسول الله. قال علي تمحوه يد غير هذه اليد أنا يدي لا تمحو هذه الكلمة أبدا. لهذا قال الصوفية إن الأدب خير من امتثال الأمر. أمْره هو أن يمحو عليٌّ الكلمة والأدب يمنعه من ذلك فقال له هذا سيقع بك، نفس القضية ستقع لعلي، فوقعت له في الصلح بينه وبين معاوية لما كتب أمير المؤمنين قال معاوية: لا، علي بن أبي طالب فقط[1].

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم إذاً كلكم ينحر ما جاء به من الهدْي ويحلق رأسه ونرجع من هنا. بقي الصحابة جلوسا ما تحرك أحد خلاف عادتهم، فدخل على زوجته أم سلمة قال لها: كلمت القوم وكأنهم ما أحبوا هذا قالت له: تخرج أنت إلى هديك تنحر وتنادي حالقك يحلقك، لابد أن يفعلوا كما فعلت فخرج صلى الله عليه وسلم ولم يكلم أحدا نحر هديه وحلق رأسه فقام كل أحد وفعل كما فعل صلى الله عليه وسلم. القوم يحلق بعضهم بعضا وهم في غيظ شديد يكاد أن يقتل بعضهم بعضا من شدة الغضب. فقال عمر لأبي بكر: ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أنه رأى رؤيا أننا دخلنا مكة؟ قال أبو بكر: نعم لكن ما قال العام، قال إنه رأى رؤيا فقط، محقق أن رؤيا رسول الله صادقة لا محالة. فما

---

1 – انظره مفصلا في كتاب الخلفاء الراشدون لعبد الوهاب النجار ص426/ ط دار الفكر. وفي نور الأبصار نقلا عن علي كرم الله وجهه قول الرسول صلى الله عليه وسلم له: "إنك ستدعى لمثلها فتجيب". نور الأبصار ص108.

ملك عمر نفسه حتى أتى للرسول صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله ألم تخبرنا أنك رأيت رؤيا أنا ندخل المسجد الحرام؟ قال: نعم قلت لكم العام؟ قال لا، لم تقل العام. قال صلى الله عليه وسلم: تدخلون المسجد الحرام محقق. قال عمر: ألسنا على الحق والقوم على الباطل؟ قال: بلى. قال: ألست رسول الله حقا؟ قال: نعم. قال عمر: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا رسول الله ولا أخالف أمر الله[1].

---

1 - أخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول قال فانطلق حتى أتى قريشا قال: إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال: سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم،

فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ألستم بالوالد؟ قالوا بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد اقبلوها ودعوني آتيه قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها وإني لأرى أوشابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق: امصص ببظر اللات أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال له أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة فقال: أي غدر ألست أسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر فأخبرني أيوب عن

عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد سهل لكم من أمركم قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بل قد أجزناه لك قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله، قال فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قال قلت لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به قال: فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسكْ بغرزه فوالله إنه على الحق. قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة:

كان ابن عباس يقول يا قوم إياكم وآراءكم، اهموا آراءكم فإننا يوم الحديبية لو كان الأمر بيدنا لرددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أتى به، رأينا مخالف لما جاء به وتبين بعد ذلك أن رأيه هو الصواب[1]، المسلم المرتد اللاحق بالكافرين لا حاجة للمسلمين فيه، هو كافر فقط، لا إكراه في الدين. والمسلم الذي أسلم حقا من قلبه ورد إلى قريش يكون حبيبا في داخل أعداء لابد أن يكتسب أحباء كثيرين وذلك هو الذي فتح مكة. المسلمون لما ردوا دخلوا في مكة وهم قد حالفوا الرسول أيام الحديبية وكان قريش يزورون أكاذيب كثيرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جماعته، فظن الناس أنه كذلك، في تلك المدة اختلط قريش بالرسول وأصحابه فرأوهم من خيار الناس أو خيار الناس خلاف ما كانوا يسمعون. دخل الإيمان في قلوبهم فلما رجع المؤمنون وجاوروهم صاروا يدعوهم

يا نبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما...الحديث. صحيح البخاري: كتاب الشروط/ باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الصلح (2734).

1 – جاء في الصحيحين من حديث أبي وائل قول سهل بن حنيف يوم صفين: يا أيها الناس اهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه لرددته.. صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس (7308) صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ باب صلح الحديبية بالحديبية (3338). وفي كنز العمال عن عمر قال: اهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أراه على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما آلو عن الحق وذاك يوم أبي جندل والكتاب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل مكة. فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم (كذا) ترانا إذاً صدقناك بما تقول ولكن اكتب بما كنت تكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيت عليهم حتى قال: يا عمر إني قد رضيت وتأبى أنت. كنز العمال: كتاب الإيمان والإسلام من قسم الأفعال / الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة (1627).

سرا إلى الإسلام، ما أتى عام الفتح إلا والجل مسلمون. هذا هو الذي كان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل الصلح. ولما رجعوا من البيعة أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في فتح خيبر، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، تسعة حصون، فأعطى الراية لشخص وما فتحت وأعطاها لآخر وما فتحت وفي اليوم الثالث قال: غدا لأعطين الراية رجلا يفتح الله الحصون على يديه رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله[1]. أبو بكر وعمر كلاهما تمنى تلك الخصوصية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)، وفي الغد قال صلى الله عليه وسلم: أين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب؟ قال عمر هو أخذه رمد شديد لا يمكن أن يحضر. قال: ادعه لي فدعاه فتفل في عينيه فبرئ فعقد له الراية، راية خيبر، عقد له الرسول صلى الله عليه وسلم راية بيضاء مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله فدفعها لعلي قال: علام أقاتلهم؟ قال: على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن أبوا يؤدون الجزية وإلا فقاتلهم واقتلهم. فخرج علي يهرول حتى نصب الراية أمام الحصن وفيه بطل يقال له مرحب وأخوه كلاهما يقاتل ألفا فخرج أخو مرحب فقتله علي وخرج مرحب فقال لعلي إنه

---

1 - أخرج النسائي في السنن الكبرى عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبا بريدة يقول: حاصرنا خيبر، فأخذ اللواء أبو بكر ولم يفتح له، وأخذ من الغد عمر فانصرف ولم يفتح له، وأصاب الناس يومئذ شدة وجهد، فقال رسول الله : «إني دافع لوائي غدا إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح له» وبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غدا، فلما أصبح رسول الله صلى الغداة، ثم قام قائما، ودعا باللواء، والناس على مصافهم، فما منا إنسان له منزلة عند رسول الله إلا هو يرجو أن يكون صاحب اللواء، فدعا علي بن أبي طالب، وهو أرمد، فتفل في عينيه، ومسح عنه، ودفع إليه اللواء، وفتح الله له، قال: وأنا فيمن تطاول لها. سنن النسائي الكبرى: كتاب الخصائص/ باب ذكر منزلة علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الله عز وجل (8306).

مرحب شاكي السلاح كريه المنظر، فقال له علي: أنا الذي سمتني أمي حيدره، أنت رأيت البارحة في النوم أسدا يقتلك أنا ذلك الأسد، أنا الذي سمتني أمي حيدره[1]. فضرب بسيفه ترس علي فانكسر الترس فأخذ علي باب الحصن كان يفتحه أربعون رجلا أخذه علي بشماله وتترس به حتى قتل الرجل ضربه فسقط وفتح الحصن وألقى الباب فسقط من ورائه ثمانين ذراعا[2]. قوة إلهية. ففتحوا ذلك الحصن والحصون إلى آخرها وفيها كثير من النفقات والأمتعة والحيوان، كلهم حمل

---

1 - جاء في صحيح مسلم من حديث طويل عن سلمة بن عمرو بن الأكوع قال: أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي وهو أرمد فقال: (لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله) قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسق في عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه. صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير/ غزوة ذي قرد وغيرها (3372)..

وقال النووي في شرحه: حيدرة اسم للأسد وكان علي رضي الله عنه سمي أسدا في أول ولادته، وكان مرحب قد رأى في المنام أن أسدا يقتله فذكره علي رضي الله عنه ذلك ليخيفه ويضعف نفسه.

2 - نقل ابن حجر العسقلاني في شرحه للحديث رقم (4210) من صحيح البخاري: كتاب المغازي/ باب غزوة خيبر: عن ابن إسحاق من حديث أبي رافع قال: خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله برايته فضربه رجل من يهود فطرح ترسه، فتناول علي بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه حتى فتح الله عليه، فلقد رأيتني أنا في سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه». وللحاكم من حديث جابر «أن عليا حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا» والجمع بينهما أن السبعة عالجوا قلبه، والأربعين عالجوا حمله، والفرق بين الأمرين ظاهر، ولو لم يكن إلا باختلاف حال الأبطال.

أوقاره راجعا إلى المدينة. هذه بيعة الرضوان. «لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة» الله لا يرضى عن العبد إلا إذا رضي العبد عنه. رضى العبد عن الله تبارك وتعالى أن يرضى بقضائه ويسلم له ورضى الله عن العبد أن يغفر له ذنوبه ويدخله الجنة. نص هنا أنه رضي عن جميع أهل البيعة ألف وأربعمائة ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ وجدوا كثيرا من الغنائم في حصون خيبر لا سيما النفقات التي كانت تقل عندهم ﴿يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ لم يزل ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ متصفا بذلك ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم. لما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم الخروج إلى الحديبية أوصى على المدينة يخاف اليهود أن ينقضوا العهد فقذف الله في قلوبهم الرعب لم يتعرضوا لعائلات المسلمين بعدهم ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ طريق التوكل على الله تبارك وتعالى وتفويض الأمر إليه. إن الله تبارك وتعالى أعطاهم غنائم خيبر واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب من الغنيمة وأعتقها وتزوجها، عِتْقها صداقها[1]، من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما بات تلك الليلة أتى أبو أيوب الأنصاري بسيفه إلى باب خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: ما تريد؟ قال: جئت لأحرسك، هذه

---

1 – أخرج الشيخان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق صفية وجعل عتقها صداقها. صحيح البخاري: كتاب النكاح/ باب من جعل عتق الأمة صداقها (5086). وفي صحيح مسلم: كتاب النكاح/ باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها (2562).

المرأة التي عندك لا آمنها عليك، قتلتَ أباها وزوجها وعشيرتها كلا وهي تبيت معك في خيمة، أنا لا آمن هذا جئت لأحرسك. قال له الرسول صلى الله عليه وسلم حرسك الله في الدنيا والآخرة. بقي أبو أيوب وقبره محروس إلى يومنا هذا، في القسطنطينية[1] كل دولة تولت لابد أن يأخذوا عسكريا يحرس قبر أبي أيوب، دفن لما جاهد الصحابة قسطنطينة استشهد فحفروا قريبا من القرية ودفنوه قال لهم الملك: ما تفعلون؟ قالوا: ندفن صاحبنا هنا، ما أشد حماقتكم، تأمنون أن ننبش قبره ونحرقه؟ قال لهم الأمير إن فعلتم هذا سأقتلكم عن آخركم وأحرقكم جميعا وأحرق دوركم، فلما سمعوا هذا جعلوا حارسا على القبر يحرسه فبقيت تلك العادة إلى يومنا هذا، بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. فلما رجع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة معه صفية بنت حيي بن أخطب استأذنه أحد من الصحابة قال له أنا لي أموال وعيال في مكة أحب أن تأذن لي في كيفية أحصل على أموالي وأرجع

---

1 – أخرج الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية، بات أبو أيوب على باب النبي، فلما أصبح فرأى رسول الله كبر ومع أبي أيوب السيف، فقال: يا رسول الله كانت جارية حديثة عهد بعرس وكنت قتلت أباها وأخاها وزوجها، فلم آمنها عليك، فضحك رسول الله وقال له: خيرا. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك: كتاب معرفة الصحابة رضي الله تعالى عنهم / وليمة النبي على نكاح صفية (2861).

وجاء في سير أعلام النبلاء عن الأصمعي عن أبيه: أن أبا أيوب قبر مع سور القسطنطينية وبني عليه، فلما أصبحوا قالت الروم: يا معشر العرب قد كان لكم الليلة شأن. قالوا: مات رجل من أكابر أصحاب نبينا، والله لئن نبش لأضرب بناقوس في بلاد العرب. فكانوا إذا قحطوا، كشفوا عن قبره، فأمطروا...قال الواقدي: مات أبو أيوب سنة اثنتين وخمسين، وصلى عليه يزيد، ودفن بأصل حصن القسطنطينية. فلقد بلغني أن الروم يتعاهدون قبره، ويستسقون به. سير أعلام النبلاء: الطبقة الأولى/ فصل في بقية كبراء الصحابة/ أبو أيوب الأنصاري (179).

سالما، تأذن لي أن أقول ما شئت؟ قال له الرسول: قل ما شئت. فجاء إلى مكة وقال لقريش: ألا أخبركم بما كان؟ قالوا: وما هو؟ قال: محمد لما خرج من عندكم، أتى لخيبر وقاتلهم، وقُتل قومه عن آخرهم، وهزم شر هزيمة أموال الصحابة ها هي بأيدي اليهود يبيعوها برخص وأنا أحب أن أجد شيئا من الدراهم أتدارك ما قدرت عليه. فقاموا معه وباعوا له كل ما ملك من الضياع والدور وجمعوا له كل زاد وتهيأ خارجا، فسمع العباس بهذا الخبر وأتاه وقال له: ويلك ما تقول في رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال له أقول لك شيئا سرا ولكن احفظه عني حتى أخرج. قال له: نعم. قال له: الأمر بعكس ما قلتُه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح خيبر ووجد الغنائم وتركته عريسا ببنت ملكهم، ولكن لا تقل هذا إلا بعد أن أذهب أنا، فذهب حتى فات، لبس العباس أحسن ملابسه وأخذ عكازته وأتى يتبختر إلى القوم، قالوا: تجلد المصابين، انظروا العباس يتجلد. قال لهم تعرفون ما وقع؟ أخبرهم القضية بحالها. قالوا له: من أين لك هذا؟ قال: من عند الذي جاءكم الخبر من عنده[1]. «فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً

---

1 - أخرج أحمد في مسنده عن أنس قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال الحجاج بن علاط يا رسول الله إن لي بمكة مالا وإن لي بها أهلا وإني أريد أن آتيهم فأنا في حل إن أنا نلت منك أو قلت شيئا، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول ما شاء، فأتى امرأته حين قدم فقال: اجمعي لي ما كان عندك فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإنهم قد استبيحوا وأصيبت أموالهم، قال ففشا ذلك في مكة وانقمع المسلمون وأظهر المشركون فرحا وسرورا، قال وبلغ الخبر العباس فعقر وجعل لا يستطيع أن يقوم قال معمر فأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال فأخذ ابنا له يقال له قثم فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول حي قثم حي قثم شبيه ذي الأنف الأشم بني ذي النعم يرغم من رغم قال ثابت عن أنس ثم أرسل غلاما إلى الحجاج بن علاط ويلك ما جئت به وماذا تقول؟ فما وعد الله خير مما جئت به. قال الحجاج بن علاط لغلامه: اقرأ على أبي الفضل السلام وقل له فليخل لي

لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا» ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ذكر في هذه السورة "إنا فتحنا لك فتحا مبينا" وفتحا قريبا هنا وذكر في سورة النصر "إذا جاء نصر الله والفتح" الفتح على ثلاث مراحل فتح قريب، وفتح مبين، والفتح المطلق. لابد من الفناء في الأفعال والفناء في الصفات والفناء في الذات. الفناء في الأفعال فتح قريب والفناء في الصفات فتح مبين والفتح الأكبر هو الفناء في الذات. ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالحديبية ﴿لَوَلَّوُاْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن

في بعض بيوته لآتيه فإن الخبر على ما يسره فجاء غلامه فلما بلغ باب الدار قال أبشر يا أبا الفضل قال فوثب العباس فرحا حتى قبل بين عينيه فأخبره ما قال الحجاج فأعتقه ثم جاءه الحجاج فأخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد افتتح خيبر وغنم أموالهم وجرت سهام الله عز وجل في أموالهم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي فاتخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها وتكون زوجته أو تلحق بأهلها فاختارت أن يعتقها وتكون زوجته، ولكني جئت لمال كان لي هاهنا أردت أن أجمعه فأذهب به، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لي أن أقول ما شئت، فأخف عني ثلاثا ثم اذكر ما بدا لك. قال فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فجمعته فدفعته إليه ثم استمر به، فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج فقال ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه قد ذهب يوم كذا وكذا وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل لقد شق علينا الذي بلغك، قال: أجل لا يخزني الله ولم يكن بحمد الله إلا ما أحببنا فتح الله خيبر على رسوله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي لنفسه، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به. قالت: أظنك والله صادقا، قال: فإني صادق، الأمر على ما أخبرتك. فذهب حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصبني إلا خير بحمد الله، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر قد فتحها الله على رسوله، وجرت فيها سهام الله، واصطفى صفية لنفسه، وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثا، وإنما جاء ليأخذ ماله وما كان له من شيء هاهنا ثم يذهب. قال فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئبا حتى أتوا العباس فأخبرهم الخبر فسر المسلمون، ورد الله يعني ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين. مسند أحمد: مسند أنس بن مالك (11960).

تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ لما أراد عكرمة وجماعته أن يحاربوا جيش الرسول صلى الله عليه وسلم كف الله أيديهم، أخذهم خالد بن الوليد ﴿وَ﴾ كف ﴿أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ لما أوتي بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرحهم وخلى سبيلهم[1] ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ هذا في بطن مكة بالحديبية ﴿مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ لم يزل متصفا بذلك ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا﴾ محبوسا ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ مكانه الذي ينحر فيه عادة وهو الحرم ومن صُد نحر حيث بلغ ﴿وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَئُوهُمْ﴾ تقتلوهم مع الكفار لأُذن لكم في الفتح ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ﴾ إثم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنكم لم تشعروا بإسلامهم، لأذن لكم في الفتح. إن الله رد الرسول يوم الحديبية مخافة أن يقتل المسلمين والمسلمات في مكة لأنهم لا يعرفونهم بعد ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ﴾ لو تميز المسلمون عن الكفار ذلك اليوم ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة، نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أنفة الجاهلية التكبر بغير حق

---

1 – ذكر الثعالبي في تفسيره عند قوله تعالى: "وهو الذي كف أيديهم عنكم" الآية روي في سببها أن قريشا جمعت جماعة من فتيانها وجعلوهم مع عكرمة بن أبي جهل وخرجوا يطلبون غرة في عسكر النبي صلى الله عليه وسلم واختلف الناس في عدد هؤلاء اختلافا متفاوتا فلذلك اختصرته فلما أحس بهم المسلمون بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم خالد بن الوليد وسماه يومئذ سيف الله في جملة من الناس ففروا أمامهم حتى أدخلوهم بيوت مكة وأسروا منهم جملة فسيقوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فمن عليهم وأطلقهم. قال الواحدي وكان ذلك سبب الصلح بينهم. تفسير الثعالبي ج4/ 178

والتعصب للباطل، جعلوه ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا في القابل و لم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتى يقاتلوهم. الكفار جعلوا الحمية بأنفسهم والمسلمون أنزل الله سكينته عليهم. "ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم". المؤمنون الذين لهم المولى أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فتأيدوا وتقووا بذلك وانتصروا، والذين كفروا ليس عندهم مولى، فجعلوا الحمية فقط بدل السكينة، فهزموا ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ ألزم الله المؤمنين هذه الكلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله[1]، سميت كلمة التقوى لأنها سببها، هي الصدق وهي كلمة الإخلاص والكلمة الطيبة، وكلمة التوحيد ﴿وَكَانُواْ أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ هم أهل لها. إن الله تبارك وتعالى عرف من كان أهلا لهذا السر الأكبر وهم الصحابة فألزمهم هذه الكلمة. من هنا أخذ الشيوخ أن السر لا يعطى إلا لمن يستحقه، من كان أهلا له، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تحدثوا بها غير أهلها فتظلموها)[2]. كان مريد يتردد عند شيخ ويطلب منه سرا،

---

1 - أخرج الترمذي في سننه عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم "وألزمهم كلمة التقوى" قال: لا إله إلا الله. سنن الترمذي: كتاب التفسير/ باب من سورة الفتح (3188). وفي رواية لأحمد عن حمران بن أبان أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار. فقال له عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: أنا أحدثك ما هي، هي كلمة الإخلاص التي أعز الله تبارك وتعالى بها محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله. مسند أحمد: مسند العشرة المبشرين بالجنة/ مسند عثمان بن عفان (419).

2 - قال في الدر المنثور ج2/ 213: أخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن عيسى بن مريم قام في بني إسرائيل فقال: يا معشر الحواريين لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها

يطلب منه أن يعلمه الاسم الأعظم، حتى ألح عليه، فأخذ الشيخ عصفورا وجعله في إناء وغطاه بثوب، وقال له احمل لي هذا إلى تلميذي الذي في البلد الفلاني فحمل الإناء خفيفا حتى توسط الطريق قال هذا الإناء خفيف أي شيء فيه؟ فرفع الثوب فطار العصفور، ورجع إلى الشيخ صار الشيخ يضحك يقول له: من لم يكن أهلا لأن يحمل عصفورا كيف يحمل سرا؟[1] وكان تلميذ يطلب من الشيخ أيضا أن يعلمه الاسم الأعظم وصار الشيخ يسوفه حتى ألح عليه، قال له: اخرج إلى خارج البلدة تظل هناك يوما كاملا، وكل ما رأيت فأخبرني به. فخرج المريد وجلس، ورجع في الليل. قال له: ماذا رأيت؟ قال: رأيت شيخا كبارا مسكينا يحتطب يعيش بحطبه إذا باع حطبه يأكل، فأتاه عسكري وضربه وأخذ منه الحطب، وأذله في ملإ وهو شيخ كبار. قال له: هذا يسوءك؟ قال: نعم يسوءني جدا. قال: لو كنت تعلم الاسم الأعظم تقرؤه وتدعو على هذا العسكري؟ قال له: نعم. قال: ذلك الشيخ صاحب الحطب هو الذي علمني الاسم الأعظم[2]. لابد من الأهلية «وكانوا أحق بها وأهلها» ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ لم يزل متصفا بذلك ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ويحلقون ويقصرون فأخبر بذلك ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار في الحديبية ورجعوا وشق ذلك عليهم

فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.. . وفي تفسير القرطبي قوله: يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تضعوها في غير أهلها فتظلموها. تفسير القرطبي ج185/2.

1 - ذكره في روح البيان ج51/9.

2 - روح البيان ج338/1.

وراب بعض المنافقين نزلت هذه الآية ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ هذه الرؤيا صادقة لا محالة. ستدخلون المسجد الحرام إن شاء الله. الله قال هذه الكلمة تعليما لنا، وأما هو فلا يشك في وعده، قال ابن عباس: من ملك الأمر وعلم قال إن شاء الله، فكيف أنت الذي لم تملك ولم تعلم؟ فلابد أن تقول إن شاء الله في المستقبل ﴿لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا في العام القابل ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ دين الحق ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ على جميع الأديان ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ محمد رسول الله. الله أرسل رسوله محمدا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أصحابه من المؤمنين ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحموهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد. هذه صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن الله تبارك وتعالى لما تجلى للأرواح في يوم أخذ الميثاق وجد صفوف الأنبياء أول الصفوف ومحمد على رأسهم يقول لا إله إلا الله، حتى تلقّى الأنبياء كلا هذه الكلمة منه، فقال الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله محمد رسول الله. فقرن ذكره بذكره من ذلك اليوم إلى يومنا هذا، فلهذا يقول (كنت نبيا عالما بنبوتي وآدم بين الماء والطين)[1] وغيره من

---

1 – (كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) للسيوطي في الجامع الصغير عن ابن عباس وقال حديث صحيح. الجامع الصغير ج2/ حديث رقم 6424. وفي صحيحي ابن حبان والحاكم عن العرباض بن سارية مرفوعا (إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته) وفي دلائل النبوة للبيهقي ج70/1 عن العرباض بن سارية السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إني عند الله في أم الكتاب

الأنبياء لم يكن نبيا ولا عالما بنبوته إلا بعد نبوته، والرسول صلى الله عليه وسلم كان نبيا بالفعل عالما بنبوته وآدم بين الماء والطين وهو نبي الأنبياء، هو آخرهم وهو أولهم، فلهذا قال "محمد رسول الله" والذين معه هم أصحابه، وصفهم بأنهم رحماء بينهم. رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[1]، (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله)[2] (مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[3] هذه صفة المؤمنين. ﴿تَرَاهُمْ﴾ تبصرهم ﴿رُكَّعًا

لخاتم النبيئين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك: دعوة إبراهيم وبشارة عيسى قومه ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام).

1 - أخرج الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. سنن الترمذي: كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في رحمة الناس (1847). وفي سنن أبي داود: كتاب الأدب/ باب في الرحمة (4290).

2 - أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل). صحيح مسلم: كتاب الفضائل/ باب رحمته صلى الله عليه وسلم وتواضعه وفضل ذلك (4283)، ولفظ البخاري: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس). صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب قول الله تبارك وتعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى" (7376).

3 - أخرج الشيخان واللفظ لمسلم عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (4685). وفي صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب رحمة الناس والبهائم (6011). وقد تقدم في الدرس 21.

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ هذه صفتهم يكثرون الصلوات رغبة فيما عند الله تبارك وتعالى ﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ وهو نور وبياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ هذا مثلهم في التوراة أنهم سيماهم في وجوههم من أثر السجود وذلك ليس هو التراب الذي يتركه بعض المنافقين في وجوههم ليعرف أنهم صلوا، بل نور في وجه المصلي، من يصلي بالليل إذا رأيته في النهار تجده حسن الوجه، من يبيت يشرب الخمر ويعصي الله، ومن يبيت يصلي إذا نظرت إليهم تميزهم حالا بهذه السيما. يقول قتادة: من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار[1]. وكان يسند حديثا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى صالح من الصالحين طاووس أمامه فقال

---

1 - جاء في سنن ابن ماجه: حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحي حدثنا ثابت بن موسى أبو يزيد عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها/باب ما جاء في قيام الليل (1323). قال السندي في شرحه: قوله (حسن وجهه بالنهار) أي يظهر في وجهه نور العبادة وبهاء القبول قال الله تعالى: "سيماهم في وجوههم من أثر السجود" وكثير منهم يعرف المتهجدين بما في وجوههم من النور وبالجملة فمعنى الحديث ثابت بموافقة القرآن وشهادة التجربة لكن الحفاظ على أن الحديث بهذا اللفظ غير ثابت قال الحاكم دخل ثابت بن موسى على شريك بن عبد الله القاضي والمستعمل بين يديه وشريك يقول حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر المتن فلما نظر إلى ثابت بن موسى قال من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقصد به ثابتا فظن أنه متن إلا وسرقه منه جماعة ضعفاء اهـ وأخرج البيهقي في الشعب عن محمد بن عبد الرحمن بن كامل قال قلت لمحمد بن عبد الله بن نمير ما تقول في ثابت بن موسى قال شيخ له فضل وإسلام ودين وصلاح وعبادة قلت ما تقول في هذا الحديث قال غلط من الشيخ وأما غير ذلك فلا يتوهم عليه وقد تواردت أقوال الأئمة على عد هذا الحديث في الموضوع على سبيل الغلط لا التعمد وخالفهم القضاعي في مسند الشهاب فمال في الحديث إلى ثبوته وقد سقت كلامه في اللآلي المصنوعة.

سبحان الله من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار فظن بعض من لا يد له في الحديث أن هذا حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا السند وليس كذلك، هذا من كلام قتادة ليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. ولكنه صحيح أن من يبيت يصلي يناجي الله طول ليله إذا نظرت إلى وجهه تجد عليه سيما الخير وتجد نورا وبهجة هذا ذكره التوراة عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أما صفة أمة محمد في الإنجيل فهي كما يأتي: كمثل زرع «أَخْرَجَ شَطْأَهُ» أي فراخه «فَآزَرَهُ» قواه وأعانه «فَاسْتَغْلَظَ» حتى غلظت القصبة «فَاسْتَوَى» قوي واستقام «عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ» أي زراعه لحسنه. هذا مثل الصحابة بدأوا في قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه. منهم من يقول: "أخرج شطأه" بأبي بكر "فآزره" بعمر، "فاستغلظ" بعثمان، "فاستوى على سوقه" بعلي بن أبي طالب[1]، "يعجب الزراع" ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ هذا صفتهم في الإنجيل. بدأوا ضعفاء غرباء وانتصروا وقهروا في مدة قصيرة ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ من الصحابة ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة وهما لمن بعدهم أيضا.

---

1 – نقل النسفي في تفسيره عن عكرمة: "أخرج شطأه" بأبي بكر، "فآزره" بعمر، "فاستغلظ" بعثمان، "فاستوى على سوقه" بعلي، رضوان الله عليهم. تفسير النسفي ج160/4 وللبغوي في تفسيره مثله ج206/4 .

سورة الحجرات

مدنية ثمان عشرة آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد، لما أسلم بنو تميم فأتوا وكان الرسول كلما أسلم قوم ولى فيهم أميرا نائبا عن النبي صلى الله عليه وسلم، أتى هؤلاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر: أمر عليهم الأقرع بن حابس، وقال عمر: بل القعقاع بن معبد. قال أبو بكر: ما تريد إلا خلافي قال: لا أريد خلافك، قال: تريد خلافي، قال: لا أريد خلافك حتى ارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية. قال: كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر[1] تجادلا في محضر النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُقَدِّمُواْ﴾ لا تتقدموا بقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم

---

1 – أخرج البخاري في صحيحه عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر، لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت "يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إلى قوله عظيم" قال ابن أبي مليكة: قال ابن الزبير: فكان عمر بعد ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر، إذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه. صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع لقوله تعالى: "يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق" (7302).

﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلكم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيءِ﴾ إذا نطق ﴿وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا ناجيتموه ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك إجلالا له ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ خوف أن تحبط أعمالكم، من رفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم حبط عمله ﴿وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ فلما نزل صار عمر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وسأله عما قال من شدة خفض صوته فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ اختبر الله قلوبهم، فوجدها ممتلئة بالتقوى ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ الجنة. وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم في موته كحرمته في حياته. وحرمة القرآن والحديث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كحرمته في مماته كذلك من يتكلم عند تلاوة القرآن أو يرفع صوته عند حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في هذا النهي. نزل في بني تميم[1] جاءوا وقت الظهيرة يريدون لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محتجب وقت القيلولة في إحدى حجرات نسائه فصاروا ينادونه يا محمد اخرج تكلمنا، نحن الشعراء، نحن الشعراء خف من ألسنتنا اخرج إلينا، لنا حاجة فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَّاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم ﴿أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ فيما فعلوه، لو عرفوا درجتك الرفيعة وما يناسبها من التعظيم لما فعلوا هذا ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة، عقبة

---

1 – نقل الطبري عن مجاهد قوله: "إن الذين ينادونك من وراء الحجرات": أعراب بني تميم. تفسير الطبري عند تفسير الآية.

بن أبي معيط عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولده الوليد أسلم وكان من جملة المسلمين، فنزلت آية الزكاة فدفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يذهب إلى بني خزاعة ويقرأ لهم آية الصدقة ويأخذ زكاهم فلما خرج خاف من الوصول إليهم لترة كانت بينه وبينهم، كان قتل منهم قتيلا فخاف أن يأتيهم فيقتلوه، فرجع وقال للرسول صلى الله عليه وسلم أتيتهم فمنعوا الزكاة وامتنعوا من قبول الآية وأرادوا أن يقتلوني فهمّ النبي صلى الله عليه وسلم أن يجهز إليهم جيشا ليقاتلهم، من منع الزكاة لابد أن يقاتل فسمعوا بخبر الزكاة فجمعوا زكاهم وأتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: ما حملك على هذا؟ قال والله الجبن فقط، كنت أخشى إذا أتيتهم أن يقتلوني فجئت وزورت عليهم هذا الكلام فنزلت[1] «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُواْ» صدقه

---

1 – جاء في مسند أحمد أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به فدعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته فيرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول فلم يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله، فدعا بسروات قومه فقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق فرجع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه إذ استقبل البعث وفصل من المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول

من كذبه ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا﴾ خشية ذلك ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ جاهلين ﴿فَتُصْبِحُواْ﴾ تصيروا ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطإ ﴿نَادِمِينَ﴾ سماه القرآن فاسقا، وهو في ذلك الوقت مسلم حسن الإسلام وقد طرده الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك من المدينة، فاسترده عثمان في خلافته لأنه أخوه لأم. فولاه عثمان أميرا في بلد فصار يشرب الخمر سرا، ويوما صلى بهم الصبح فصلى أربع ركعات والتفت إليهم وقال: إن شئتم أزيدكم، هو سكران، تبين ما قال القرآن فيه[1]، هو والد عبد الملك بن مروان بن الوليد فلهذا أولاده لما ملكوا في زمانهم قال خالد القولة لعبد الملك لما قال له يا خالد لست في العير ولا في النفير. خالد واحد من أبناء عمهم من بني أمية، ودخل على عبد الملك قال له يا أمير المؤمنين ولدك مروان – هو ابنه ولي عهد المسلمين – مر به أخي سليمان فاستهزأ به وسخر منه وآلى أن يقتله، هذا ليس بحسن. قال له عبد الملك: "إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة

الله صلى الله عليه وسلم كان بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولي، قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله. قال: فنزلت الحجرات "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين إلى هذا المكان فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم". مسند أحمد: مسند الكوفيين/ حديث الحارث بن أبي ضرار الخزاعي (17731).

1 – جاء في سير أعلام النبلاء نقلا عن حضير بن المنذر أنه قال: صلى الوليد بالناس الفجر أربعا وهو سكران، ثم التفت، وقال: أزيدكم؟ فبلغ عثمان، فطلبه وحدّه، وهذا مما نقموا على عثمان أن عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة وولى هذا. سير أعلام النبلاء ج511/2: كتاب ومن صغار الصحابة/ ترجمة الوليد بن عقبة، وفيها أنه أخو أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه لأم، وأن عثمان رضي الله عنه ولاه الكوفة.

أهلها أذلة وكذلك يفعلون" قال خالد: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا" قال: أفي سليمان أخيك تكلمني هذا الكلام وهو دخل علي وما قوّم لسانه من اللحن. قال له: إن كان سليمان يلحن فولدك يلحن وهو ولي عهد المسلمين. قال: ولدي إن كان يلحن فأبوه لا يلحن، قال: سليمان إن كان يلحن فأخوه خالد لا يلحن. فقال له: لست في العير ولا في النفير. قال له: ويلك يا أمير المؤمنين من العير والنفير غيري: جدي عتبة صاحب النفير، وجدي أبو سفيان صاحب العير، ولكن أنت لو قلت عُقيلات وجُميلات وغنيمات والطائف ويرحم الله عثمان لقلتُ صدقت. يشير له أن الوليد طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم واسترده عثمان ويرحم الله عثمان[1]. لما طرده النبي سار إلى الطائف يرعى الغنم والإبل هناك بالإجارة. قال أنت لو قلت جميلات وغنيمات والطائف ويرحم الله عثمان لقلت صدقت. والقولة التي قالت عائشة بالأمس أيضا «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت في صلبه»[2] ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره في الحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ أطاعكم ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع

---

1 - محاورة عبد الملك وخالد بن يزيد وما جاء فيها من أخبار الوليد بن عقبة وردت مفصلة في إكمال تحفة الألباب ج52/3-53.

2 - قال النسفي في تفسيره: وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه قبل إسلامه، ويشهد لبطلانه كتاب معاوية إلى مروان ليأمر الناس بالبيعة ليزيد فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لأبنائكم؟ فقال مروان: يا أيها الناس هذا الذي قال الله تعالى فيه والذي قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة رضي الله عنها فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن أباك وأنت في صلبه فأنت فضض من لعنة الله أي قطعة. تفسير النسفي ج4/ 139. وقد تقدم في الدرس46.

﴿لَعَنتُّمْ﴾ لأثمتم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ﴾ حسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أصحاب الرسول ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ حبب إليكم الإيمان الإيمان وحده وزينه في قلوبكم، وفي الجملة الثانية كره إليكم الكفر، الكفر معه الفسوق والعصيان ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنعامه ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ نزلت في قضية هي أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا ومر على عبد الله بن أبي بن سلول فبال حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة لبول حمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا من مسكك، فغضب فكان بين الجماعتين تقاول وتضارب بالأيدي وبالنعال والسعف حتى قام قتال بين الطائفتين فنزلت ﴿وَإِنْ﴾ اقتتلت ﴿طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ﴾ تعدت ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ﴾ ترجع ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ الحق ﴿فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُواْ﴾ أعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا[1] ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جعل الله المسلمين كلا أسرة واحدة، إخوة كلهم من أب واحد وأم واحدة، كان بلال يقول:

---

1 – أخرج البخاري في صحيحه أن أنسا رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار منهم والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم[1]

هذه هي الأخوة الحقيقية. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ﴾ نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين عمار وصهيب حقروهم[2]، قالوا يا رسول الله أبعد عنك هؤلاء الفقراء إذا أردت مجالسة الكبراء، هؤلاء نتنُ لباسِهم وحقارةُ وجوهِهم لا تنبغي للكبراء مجالستهم، قال الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ﴾ السخرية الازدراء والاحتقار ﴿قَومٌ﴾ رجال منكم ﴿مِن قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَّكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ربما كانت السخرية من شخص لشخص خير منه ﴿وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾ نزلت في عائشة تخاصمت مع صفية فقالت لها يا يهودية، فبكت وأتت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له: قالت لي عائشة يا يهودية. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، أنت بنت هارون نبي الله عمك موسى نبي الله وزوجك محمد رسول الله[3] وقال لعائشة: لقد مزحت بكلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته[1]. فقال

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. صحيح البخاري: كتاب الصلح/ باب "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما" فسماهم المؤمنين (2691).

1 – ورد في روح المعاني ج107/19 دون عزو.

2 – نقله القرطبي ج325/16، والبغوي ج214/4، كلاهما عن الضحاك. وفي الدر المنثور عن مقاتل ج563/7.

3 – أخرج الترمذي في سننه: حدثنا كنانة قال حدثتنا صفية بنت حيي قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام فذكرت ذلك له، فقال: ألا قلت فكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون وعمي موسى؟ وكان الذي بلغها أنهم قالوا نحن أكرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وقالوا نحن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبنات عمه. سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (3827).

﴿وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَّكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ لا تعيبوا بعضكم، جعل القرآن المجتمع الإسلامي شخصا واحدا فنحن جماعة كأننا واحد حتى أن من عاب أحدا منا فقد عاب نفسه. الشخص الواحد كل ما وقع في بعضه وقع في الشخص، هذا كما فسره (المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)[2] إن كان هكذا فمن منا تكلم في صاحبه فقد تكلم في نفسه، لم يقل ولا تلمزوا إخوانكم قال «ولا تلمزوا أنفسكم» ﴿وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَابِ﴾ لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه كانوا يتنابزون: يا فاسق، يا كافر، فنهوا عن ذلك ﴿بِئْسَ الاِسْمُ﴾ المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ الظن كثير منه إثم ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ موثم وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلاف الفساق منهم فلا إثم فيه. الإنسان يجتنب أن يعيب إخوانه وأن يسيئ الظن بهم، خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير: حسن الظن بالله وحسن الظن بالناس، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: سوء الظن بالله وسوء الظن بالناس ﴿وَلاَ تَجَسَّسُواْ﴾ لا تتبعوا عورات

---

1 – قال القرطبي في الجامع: روى الترمذي عن عائشة قالت حكيت للنبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال: ما يسرني أني حكيت رجلا وأن لي كذا وكذا، قالت: فقلت يا رسول الله إن صفية امرأة – وقالت بيدها هكذا – تعني أنها قصيرة، فقال: (لقد مزحت بكلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته) تفسير القرطبي ج326/16.

2 – أخرج الشيخان عن النعمان بن بشير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى. صحيح البخاري: كتاب الأدب/ باب رحمة الناس والبهائم (6011). صحيح مسلم: كتاب البر والصلة والآداب/ باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم (4685). وقد تقدم في الدرس21.

المسلمين ومعايبهم بالبحث فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (من تتبع عورات إخوانه تتبع الله عوراته يوم القيامة ومن فضح أخاه فضحه الله وفضح بنيه من بعده)[1] ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ لا، ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته. وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول أيضا، قالوا يا رسول الله نجد أقواما من بيننا فساقا، قال: اذكروا الفاسق بما فيه حتى يجتنبه الناس[2]، من خلع جلباب الحياء فلا غيبة له[3] قالوا: من يصلي بالليل كثيرا وفي النهار يؤذي المسلمين بلسانه ويده، قال: اذكروه بما فيه حتى يعرفه الناس ومنه

---

1 - أخرج الترمذي في سننه عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله. قال ونظر ابن عمر يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. سنن الترمذي: كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في تعظيم المؤمن (1955).

وفي رواية أبي داود عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته). سنن أبي داود: كتاب الأدب/ باب في الغيبة (4236).

2 - أخرجه البيهقي في سننه عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله : «أترعون عن ذكر الفاجر، اذكروه بما فيه كي يعرفه الناس ويحذره الناس». سنن البيهقي: كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز/ باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث (21379).

3 - أخرج البيهقي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له). سنن البيهقي الكبرى: كتاب جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز.../ باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول كفوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع أو أنه لا يبصر الفتيا (21381) وقد تقدم في الدرس 13 تخريجه من الجامع الصغير رقم 8525.

الجرح والتعديل الذي يقع للمحدثين ليس فيه غيبة، تبصير الشريعة المحمدية ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ هم ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ﴾ نزلت هذه الآية في فتح مكة لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة وكسر آلهتهم ودفن هبل تحت باب السلام الذي يدخل منه الحجاج ليطئوا بأقدامهم أكبر إله لقريش هبل الذي كان يقول أبو سفيان يوم أحد اعل هبل اعل هبل، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: الله أعلى وأجل. فكسر الآلهة ثلاثمائة وستين إلها ولكن هبل دفنه خصوصا في باب السلام كي يطأه كل حاج بقدميه. لما فعل ذلك وأسلمت قريش أمر الرسول بلالا فصعد الكعبة فأذن في الناس وكان في القوم بقية جاهلية فصاروا يقولون هذا الغراب الأسود، ما وجد رسول الله من يأمره بالأذان إلا هذا الغراب الأسود؟ ليتنا متنا قبل هذا اليوم، سعد فلان الذي مات ولم يحضر هذا اليوم تحقيرا منهم للون الأسود[1] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ أي طبقات النسب ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي دون الشعوب، الشعب فالعمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة، خزيمة شعب، كنانة قبيلة، قريش عمارة، قصي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة. هذا مثال ﴿لِتَعَارَفُواْ﴾ لتعرف من هو الأقرب فالأقرب حتى تصل رحمك فقط ولكن لا للتفاخر بعلو النسب وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

1 – نقل المراغي في تفسيره بسند عن أبي مليكة قال لما كان يوم فتح مكة رقى بلال فأذن على ظهر الكعبة فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا؟ وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئا يغيره. فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله الآية زجرا عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء وبين أن الفضل بالتقوى. تفسير المراغي ج143/26 ومثله في تفسير البغوي 217/4 وعند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن 341/16 .

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سئل عيسى: هذا نسب فلان وهذا نسب فلان أيهما أفضل؟ فأخذ تبنتين من الأرض وقال أي هاتين أفضل؟[1] كلكم من آدم وآدم من تراب. إنما الكرم بالتقوى، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول (إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى خيركم عند الله أتقاكم)[2] الفخر بالتقوى، الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)[3] لا فخر لي بالسيادة، إنما فخري بالعبودية، افتخر بعبوديته لله لا بسيادته على ولد آدم ويوم القيامة ينادي مناد: طالما تكلمتم وسكتّ فاليوم تسكتون وأتكلم، رفعتم نسبكم ووضعتم نسبي، فقلت "إن أكرمكم عند الله أتقاكم" فأبيتم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان بن فلان، فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم، أين رجال "لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله" أين رجال

---

1 – انظره في روح البيان ج91/9.

2 – جزء من خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أيام التشريق ومنها كما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي نضرة قال: حدثني من سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق فقال: يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام ثم قال: أي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام، قال ثم قال: أي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام، قال: فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم قال ولا أدري قال أو أعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغت قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليبلغ الشاهد الغائب. مسند أحمد: مسند الأنصار/ باب حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (22391).

3 – أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري. سنن الترمذي: كتاب المناقب/ باب في فضل النبي صلى الله عليه وسلم (3548). تقدم في الدرس7.

"تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا" فيؤمر بهم إلى الجنة[1]. كان في خراسان شريف من آل علي قريب النسب لفاطمة البتول وهو مع ذلك فاسق متجاهر بالكبائر وبجواره شيخ كان عبدا مملوكا أسود، أسود الشفتين المشافر فأحسن طاعة الله تبارك وتعالى حتى أعتقه سيده فصار من عباد الله الصالحين وتبعه خلق كثير إذا خرج تبعه الناس يتبركون به فخرج يوما الشريف خرج من بيته سكران والناس يتبركون بهذا الأسود المولى والشريف الفاطمي يريد أن يأتي لهذا الشيخ فزجره الناس وطردوه وضربوه أوجعوه ضربا، فأبى إلا أن يأتي إلى الشيخ فقبله الشيخ قال اتركوه فجاء وانتهر الشيخ. أنت أسود ابن كافر، أسود المشافر، أنا جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت جدك كافر، أنت تُعظم وتجل وأنا أُذم وأهان؟ هذا لا ينبغي، قال له الشيخ نعم، أنا ابن الكافر كما قلت أسود كما قلت، ولكن بيضت قلبي بالإيمان بالله تبارك وتعالى وتقوى الله فلما رأى الناس بياض قلبي علا سوادَ وجهي أحبوني، وأنا ابن الكافر، ولكن تركتُ طريقة أبي وسلكتُ طريقة أبيك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت تركت طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلكتَ طريقة أبي وسودت قلبك بالفسق والعصيان

---

1 – أخرج الحاكم في مستدركه: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه، ورفعتم أنسابكم، فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون أين المتقون "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"» . قال الحاكم: هذا حديث عال غريب الإسناد والمتن ولم يخرجاه. وله شاهد من حديث طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة: رضي الله عنه أنه تلا قول الله عز وجل: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، فقال: إن الله يقول يوم القيامة: يا أيها الناس إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا، فجعلت أكرمكم أتقاكم، وأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان أكرم من فلان ابن فلان، وإني اليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم، أين المتقون أين المتقون؟. الحاكم في المستدرك : كتاب التفسير/ باب تفسير سورة الحجرات (3771 و3772). تقدم في الدرس40.

فلما رأى الناس سواد قلبك علا بياضَ خدك أبغضوك ورأوك على طريقة أبي وجعلوني أنا ابنا لأبيك لما كنت على طريقة أبيك وجعلوك أنت ابنا لأبي لأنك على طريقته، وتلك الضربات عفوت عمن ضربك لأنه يلزمك الحد أنت سكران، وسوء أدبك معفو عنك لحرمة جدك[1]. هذا هو الصحيح، إن من أراد أن يكون ابنا للرسول صلى الله عليه وسلم يتبع طريقته إذا كان ابن الرسول حقا وسلك طريقته نعم هذا نور على نور، وإذا لم يكن إلا مجرد البنوة فهذا قليل الجدوى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُلْ﴾ هم ﴿لَمْ تُؤْمِنُواْ وَلَكِن قُولُواْ أَسْلَمْنَا﴾ انقدنا ظاهرا، الانقياد ظاهرا والإيمان متباينان ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إلى الآن ﴿وَإِن تُطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان ﴿لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الصادقون في إيمانهم ﴿الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجهادهم يظهر صدق إيمانهم ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ لا غير ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ تقولون آمنا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ونزلت في جماعة كانوا يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم إسلامهم ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتال منهم ﴿قُل لاَّ تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلاَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن كان الإيمان حقا فالمنة من الله تبارك

---

1 – انظر روح المعاني ج166/26.

وتعالى والمن له جل جلاله عليكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يخفى عليه شيء.

سورة المجيد

مكية إلا "ولقد خلقنا السماوات والأرض" الآية فمدنية خمس وأربعون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قٓ﴾ الله أعلم بمراده. الحروف المقطعة في أوائل السور ما نعرف معانيها والحكمة في ذلك أن الله كلفنا عملا قلبيا وعملا باللسان وعملا بالجوارح، الإسلام إقرار باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وفي كل هذه الأقسام الأعمال البدنية فيها أشياء نفعلها تعبدا فقط لا نفهم حكمة الله فيها ولكن ننقاد لأمر الله، كمثل رمي الجمار في الحج مثلا لا نعلم لم يأمرنا الله بأن نرمي هذه الجمار، والسعي بين الجبلين، هذا في عبادة الجوارح. وفي عبادة القلب آمنا بالله لنا دليل أن الله موجود وهو ربنا ويستحق العبادة علينا وآمنا بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنا دليل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن إيماننا بالصراط هذا الجسر الممدود على النار الأحدّ من السيف الأرق من الشعر لو لم يخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لما صدقناه، صدقناه تبعا فقط. لما وقع هذا في عمل البدن وفي عمل القلب لا باس أن يقع في عمل اللسان أيضا، نقرأ القرآن ونجد آيات حسانا حلوة عندنا ونقرأ شيئا لا نعلمه، تعبدا، القرآن إذا قرأناه وفهمنا الكلام نجده حلوا حسنا ولاسيما "فاغفر لنا وارحمنا" هذا يوافقنا جدا، هذا قسم وقسْم حروف مقطعة لا نعلم ما يريد الله بها. وهي وقعت في القرآن في ثمان وعشرين سورة، ووقع القسَم بالأشياء في المحكم في أربع عشرة سورة نصف القسم

بالحروف إن قلنا إنها قسم. جاء القسَم في الخبر الواضح "والنجم إذا هوى" "والعصر إن الإنسان لفي خسر" أقسم مرة واحدة فأتى الجواب، وجاء حرف واحد "ص"، "ق"، "ن"؛ حرف واحد، وأقسم مرتين "والضحى والليل إذا سجى"، "والسماء والطارق" أقسم مرتين، وجاءت الحروف كذلك على حرفين "حم" "طه" "يس" "طس" وأقسم ثلاث مرات "والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا" وأتى بثلاثة حروف "الم"، "الر"، "طسم"، وأقسم أربع مرات "والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا" "والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود" أقسم أربع مرات قبل الجواب وجاء أربعة حروف "المص" "المر" وأقسم خمس مرات لا أكثر "والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور" "والنازعات غرقا والناشطات نشطا فالسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا"، "والمرسلات عرفا ..." كل هذه أقسم الجليل خمس مرات، وأتى بخمسة حروف "كهيعص" "حم عسق" والقسم بالحروف اشتمل على جميع القرآن من أول القرآن إلى آخره "الم" ابتدأنا الكتاب ب "الم". في كل جزء من القرآن أتى القسم بهذه الحروف، والقسم بالأشياء ما أتى إلا في الجزء الأخير بل في السبع الأخير فقط باستثناء "والصافات" الذي وقع في غير المفصل، كل ما سوى ذلك القسم بالأشياء "والذاريات، والطور، والنجم، والمرسلات، والنازعات، والفجر، والعصر، والليل كل هذا في السبُع الأخير. وجاء القسم بالحروف في ثمان وعشرين سورة وفق الحروف وجاء القسم بالأشياء على النصف من ذلك لأن القسم بالأشياء وقع في داخل السور، في أثناء الكلام "والليل وما وسق والقمر إذا اتسق" في سورة المدثر وقع القسم في داخل السور بالأشياء، والقسم بالحروف في داخل السور محال لأن

كلاما لا يفهم معناه بداخل الكلام هذا لا يستحسن. والقسم بالحروف لم يكن إلا في أوائل السور والقسم بالأشياء أتى في أوائل السور وفي أثناء السور، فلهذا قل عدد القسم بالأشياء فجاء بنصف العدد من القسم بالحروف ﴿قٓ﴾ الله أعلم بمراده، قالوا: قدير أو قل يا محمد والقرآن المجيد، ولكن الصحيح الله أعلم بمراده. هذه سورة «ق» كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم في العيد[1] لأنها سورة تخبر بأحوال الحشر وإذا خرج الناس يوم العيد بزينة وفرح ينبغي أن يذكّروا باليوم الذي لا فرح فيه لغير المطيعين ﴿وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُواْ أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ الإنذار ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ في غاية البعد، نكون ترابا مختلطة مع التراب ونحيى بعد ذلك؟ هذا ما يمكن ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ﴾ ما تأكل ﴿مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة، الإنسان تأكل الأرض جسده كلا إلا عجب الذنب منه يبعث[2] إلا الأنبياء فإن الأرض لا تأكل أجسادهم. أربعة لا تأكل الأرض أجسادهم: الأنبياء، والشهداء وحملة

---

1 – أخرج مسلم في صحيحه عن أبي واقد الليثي قال سألني عمر بن الخطاب عما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم العيد فقلت باقتربت الساعة و ق والقرآن المجيد. صحيح مسلم: كتاب صلاة العيدين/ باب ما يقرأ به في صلاة العيدين (1478).

2 – أخرج الشيخان واللفظ هنا لمسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب. صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة/ باب ما بين النفختين (5254)، صحيح البخاري: تفسير القرآن/ باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا زمرا (4935).

الشريعة المحمدية، والمؤذن لله سبعة أعوام[1] ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مضطرب، قالوا مرة ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُواْ﴾ بعيوهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث، ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ من خلق هذه السماء بلا عمد وزينها بالكواكب وليس فيها شقوق من أول الزمن إلى يومنا هذا ﴿وَالْأَرْضَ﴾ كذلك كيف ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ على وجه الماء ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالا تثبتها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً﴾ فعلنا ذلك تبصيرا منا ﴿وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ الإنسان ينظر في هذه الأرض فوق بحر محيط لا حد له، ولو تركها الله تبارك وتعالى وحالها لتحركت كما تتحرك السفن في البحر، ولكن الله أثبتها وأنبت فيها من أنواع النباتات كل زوج بهيج. هذا يذكر العبد أن القادر على هذا قادر على إحياء الموتى. والله خلق في كل شيء صغرا وشبابا وهرما، النبات يخرج، ينبت صغيرا، وبعد ذلك يكون قصبة فيها السنابل، بعد ذلك يحصد يصير غثاء، والإنسان يولد صغيرا، ثم يكون شابا قويا، ثم يهرم ويموت، وكل عمل إذا شرعت فيه في البداية تدخل نشطا، وبعد ذلك فتور، وبعد ذلك إعياء. حتى العام، أول العام

---

1 - قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج17/ 4: " ثبت أن الأنبياء والأولياء والشهداء لا تأكل الأرض أجسادهم". ونظمهم الإمام التتائي في شرح الرسالة قال:

لا تأكل الأرض جسما للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقـــارئ قرآن و محـــتسب أذانه لإلـــه مجري الفلك.

من شرح العلامة ميارة على المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر. ص59 مكتبة المنار - تونس. وقد تقدم في الدرسين 14 و44.

يكون بمنزلة الصغار، ثم بمنزلة الشبان، ثم بمنزلة الشيوخ، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ كثير البركة ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِۦ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿الْحَصِيدِ﴾ المحصود ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طوالا ﴿لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ متراكب ﴿رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل هذا الإحياء ﴿الْخُرُوجُ﴾ من القبور فكيف تنكرونه ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ﴾ بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان ﴿وَثَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الغيضة قوم شعيب كلهم تقدم قصصهم مرارا ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك اليمن الذي أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه، فمر بالمدينة وبقي علماؤه العشرة في المدينة ينتظرون النبي فهم ولدوا الأوس والخزرج الذين جاءوا هم الأنصار بعد، والذي استودع عنده كتاب تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جد أبي أيوب الأنصاري الذي نزل الرسول صلى الله عليه وسلم في بيته رأسا[1]. أبو أيوب هذا الذي ما زال قبره محروسا في القسطنطينية بالترك ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ وجب نزول العذاب على الجميع ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ لم نعي به ولا نعيى بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ﴾ تحدث ﴿بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم قال المفسر ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الإنسان خلقه الله ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد، العلماء يقولون المعية بالعلم، والعارفون يقولون المعية بالذات وهو الحق، أو المعية الذات. أهل المشاهدة لا يشاهدون المعية، يشاهدون الذات

1 – تقدم ذكر خبر تبع ونص كتابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه في الدرس 46.

فقط فتحجبهم عن المعية. إذا المعية بالذات لا بالعلم، وإذا كانت المعية بالعلم كما يقول العلماء والعلم صفة من صفات الله، فالصفة لا تفارق الموصوف. أقول إن الصفة إن فارقت الموصوف فسدت الصفة وفسد الموصوف. علم الله صفة من صفاته، والقرآن يقول "فلنقصن عليهم بعلم" هذا نص بالعلم "وما كنا غائبين" ما نفعل بهذه الجملة؟ "ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" لو كان بالعلم لقال ولكن لا تعلمون. البصر لا تعلق له إلا بالذات. فالمعية حقا بالذات أو المعية الذات لا أدري ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ قاعدان الملكان الموكلان بالإنسان، كل ما يعمل من خير وشر يثبتانه في ديوانه، أحدهما على اليمين والآخر على الشمال ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ما يلفظ الإنسان من قول أو عمل إلا ورقيب حافظ لذلك وعتيد حاضر، واحد منهما اسمه رقيب والآخر اسمه عتيد، ورقيب هو الملك الأمير على عتيد وهو الذي يكتب الحسنات. إذا هممت بسيئة فلم تعملها لم يكتبها عليك وإذا هممت بحسنة فلم تعملها كتبت لك، وإن عملتها مرة كتبت عشر مرات، وإن هممت بسيئة فلم تعملها لم تكتب عليك[1]، وإذا عملتها انتظرك ست ساعات إن لم تستغفر الله أثبتها

1 - أخرج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل قال قال إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب من هم بحسنة أو سيئة (6491). صحيح مسلم: كتاب الإيمان/ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (187). تقدم في الدرس38.

مرة واحدة[1]. قال الرسول (ويل لمن غلبت آحاده أعشاره)[2] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ بعد هذا يأتي الموت فترى المنكر عيانا لذلك ﴿ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ما كان الإنسان يهرب منه هو الموت لابد أن يحضر، الإنسان لابد أن يموت أحب أم كره فأهل الله رجعوا إلى الله فصاروا لا يكرهون الموت لأنه لقاء الله. ومن أعرض عن الله وغفل عنه وعن ذكره وعبادته وأقبل على الدنيا لا شك يكره الموت سيأتيه الموت وهو يكرهه، من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[3] ولابد لكل منا أن يموت، ولو كان الموت موتا فقط لكان الخطب سهلا، ولكن ليس موتا فقط إنما هو الرجوع إلى الله تبارك وتعالى فيحاسبك على الجليل والحقير ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ﴾ النفخ ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ وإذا مات كل الخلائق أمر الله إسرافيل أن ينفخ في الصور فيبعثون جميعا ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ

---

1 – أخرج السيوطي في الجامع الصغير: (إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها وإلا كتبت واحدة) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة. الجامع الصغير ج1/ رقم2291. تقدم في الدرس38.

2 – قال في عون المعبود بشرح سنن أبي داود : وقال ابن عباس في رواية أبي صالح عنه : لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين مشقة شديدة، وقالوا يا رسول الله وأينا من لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء؟ قال : منه ما يكون في الدنيا، فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات، ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشر حسناته وبقيت له تسع حسنات، فويل لمن غلبت آحاده أعشاره. عون المعبود/ شرح الحديث رقم (2689) من سنن أبي داود: كتاب الجنائز/ باب عيادة النساء. وقد تقدم في الدروس 16و17و38.

3 – أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. صحيح البخاري: كتاب الرقاق/ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (6508). وفي صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (4848). تقدم في الدرس32.

نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بعملها وهي الأيدي والأرجل وغيرها. ويقال للكافر ﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ حاد تدرك به ما أنكرته في الدنيا ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ الملك الموكل به ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ هذا عمل الرجل حاضر عندي فعل كذا وكذا وكذا وكذا هاهو في الديوان، فيقال لمالك خازن النار ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ألقيا معناه ألق ألق تأكيد، أو ألقيا جريا على عادة العرب، العرب تخاطب صاحبين دائما، لأن عادة العرب الإنسان يسافر معه صاحبان له، صاحب فرسه وصاحب خدمته، الألف تثنية على هذا التأويل وبدل من التأكيد على التأويل الآخر، ألق ألق أو القين بنون التوكيد فجعل الألف في محل النون الخفيفة[1]. ألق ألق جاء القيا، أو ألقين جاء القيا. أو القيا يا صاحبا الرجل في جهنم كل كفار عنيد ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك في الدين ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ ما أضللته ﴿وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ فدعوته فاستجاب لي وقال هو أطغاني بدعائه لي ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا فلا بد منه ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾ يغير ﴿الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَا أَنَاْ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعذبهم بغير جرم "لا ظلم اليوم" ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ تبارك وتعالى ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ﴾ كلما حشر أمة من الكفار

---

1 - قال النسفي في تفسيره ج4/173: يقول الله تعالى " ألقيا" والخطاب للسائق والشهيد أو لمالك وكان الأصل الق الق فناب "القيا" عن الق الق لأن الفاعل كالجزء من الفعل، فكانت تثنية الفاعل نائبة عن تكرار الفعل. وقيل أصله القين والألف بدل من النون إجراء للوصل مجرى الوقف دليله قراءة الحسن القين.

وألقيت في جهنم تبتلعها سريعا فيقول الله «هَلِ امْتَلَأْتِ» ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ كان أمريكي ينتقد القرآن، تَعَلم العربية مع صاحب له عربي حتى تعلم الألفية وصار يعرف العربية. كلمه قال له: أنت على اعتقاد المسلمين أن القرآن معجز؛ قال له نعم وهو الواقع. قال له: لا كلام عربي فصيح فقط، كل أحد يقدر أن يقول ما يحاكي القرآن. قال له إذا نشرع في شيء يشبه القرآن، نصف أنا وأنت جهنم: جهنم خلق عظيم واسع يسع كثيرا من خلق الله. نصفه نحن بعباراتنا فكتب الأمريكي: جهنم خلق واسع يأكل كذا من الملايين. جهنم خلق كذا، كتبوا كثيرا من العبارات إلى عشر عبارات، قال له أين هذا من قوله تعالى «يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد» أسلم الأمريكي وقال إن القرآن معجز حقا ما قدرنا أن نقول شيئا يقارب هذا. إن الله تبارك وتعالى خلق جهنم ووعدها أن يملأها من الجبابرة والملوك، وخلق الجنة ووعدها أن يملأها من الضعفاء. اشتكت الجنة قالت: ملأتني بالضعفاء قال أنتِ رحمتي أرحم بك وجهنم عذابي أعذب به، وكلتاكما لها ما يملؤها، فلا تزال جهنم هكذا كلما ألقي فيها فوج يقول الجليل «هل امتلأت وتقول هل من مزيد» حتى يضع الجبار قدمه على جهنم فتقول قط قط قط معناه كفى[1] ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ قربت فيرونها ﴿هَذَا مَا

---

1 – أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اختصمت الجنة والنار إلى ربهما فقالت الجنة يا رب ما لها لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار يعني أوثرت بالمتكبرين، فقال الله تعالى للجنة أنت رحمتي وقال للنار أنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها قال فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثا حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى بعض وتقول قط قط قط. صحيح البخاري: كتاب التوحيد/ باب ما جاء في قول الله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين (7449).

﴿تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظ لحدوده ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ خافه و لم يره ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ مقبل على طاعته، ويقال للمتقين ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أي سالمين من كل مخوف أو مع سلام، أسلموا وادخلوا ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ الدوام في الجنة ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُواْ﴾ فتشوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ مهرب لهم من الموت فلم يجدوه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَى﴾ عظة ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر القلب. ذلك هو الذي ينتفع به ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ قال اليهود إن الله لما والى ستة أيام على هذا العمل الشاق تعب واضطجع ووضع يديه على بطنه، هم مجسمون، فقال «وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ»[1] تعب هذا كذب، من يتعب في العمل هو الذي يعمل بقوته

صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها/ باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (5082).

1 - أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الله الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب، فهذه أربعة فقال عز وجل: أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس،

وبالآلات، أما نحن فنقول كن فيكون ﴿فَاصْبِرْ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صل حامدا ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ صل العشاءين ﴿وَإِدْبَارَ السُّجُودِ﴾ صل بعد الفرائض هذه النوافل، لأن النوافل يكمل الله بها ما نقص من الفرائض[1] ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب قولي ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي﴾ هو إسرافيل ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من السماء وهو صخرة بيت المقدس، يقف على صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء[2] ينهض كل أحد من قبره ﴿يَوْمَ

وفي الثالثة آدم أسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة» ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد، قال: «ثم استوى على العرش» قالوا: قد أصبت لو أتممت قالوا: ثم استراح قال: فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزلت: "ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون". المستدرك: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين/ باب بيان خلق السموات والأرض وآدم (4044).

1 – شاهده حديث أبي هريرة كما عند النسائي قال: (أول ما يحاسب به العبد صلاته فإن كان أكملها وإلا قال الله عز وجل انظروا لعبدي من تطوع فإن وجد له تطوع قال أكملوا به الفريضة). سنن النسائي: كتاب الصلاة / المحاسبة على الصلاة (463) وقد تقدم ذكر الحديث في الدرس30.

2 – أخرج ابن عساكر والواسطي في فضائل بيت المقدس عن يزيد بن جابر في قوله واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب قال يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصور فيقول: يا أيتها العظام النخرة والجلود المتمزقة والأشعار المتقطعة إن الله يأمرك أن تجتمعي لفصل الحساب. وأخرج ابن جرير عن كعب في قوله "واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب" قال: ملك قائم على صخرة بيت القدس ينادي يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. الدر المنثور ج611/7.

﴿يَسْمَعُونَ﴾ الخلق كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل ﴿ذَلِكَ﴾ يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور إلى المحشر ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ﴾ إن الله تبارك وتعالى هو المحيي وهو المميت ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ كلنا راجع إليه إما اختيارا وإما قهرا ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ تتشقق ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ هين على الله تبارك وتعالى ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَّخَافُ وَعِيدِ﴾ وهم المؤمنون.

سورة الذاريات

مكية ستون آية

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أقسم الجليل بهذه الأشياء ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذَرْوًا﴾ تذريه ذريا تهب به ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وِقْرًا﴾ ثقلا ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا﴾ بسهولة أي ميسرة ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد. العرب إذا أقسموا ويكون الجواب مثبتا يكون في رأس الجواب إن ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ أقسم الجليل بهذه الأشياء لشرفها عنده تبارك وتعالى وجواب القسم أن هذا الذي وعد الله به وهو البعث لوعد صادق ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ جمع حبيكة كطريقة وطرق ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ اختلفتم حقا، قيل شاعر، ساحر، كاهن، شعر سحر كهانة. أي هذا هو

الحق؟ ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ عن الهداية. إن الله تبارك وتعالى إذا لم يرد بالعبد هدايته يصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ لعن الكذابون أصحاب القول المختلف ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾ جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ متى مجيئه، وجوابهم يجيئ ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ يعذبون فيها، ويقال لهم حين التعذيب ﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَذَا﴾ التعذيب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ بساتين وعيون تجري فيها ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يقبلون عطاء الله تبارك وتعالى لهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ﴾ دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا ﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ هذه صفتهم كانوا لا ينامون من الليل إلا قليلا، يقومون الليل ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يقولون اغفر لنا. إن الله تبارك وتعالى من أحبه خلا به، وعلامة المحبة معروفة، علامة المحبة محبة الخلوة بالحبيب، كل من أحب شيئا محبوبا يحب أن يخلو به ويدنو منه. بيداء الليل صلوات الخلوات يا أحبتي إذا جن الليل ونام كل نائم وقف رجال الله يناجونه، ستروا عملهم في دجى الظلام فستر الله جزاءهم "فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء" لما أخفوا عملهم أخفى الله جزاءهم، لا يفُتْك مدح "تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا" وإلا فلا أقل من "والمستغفرين بالأسحار" قالوا: كن نجما إن قدرت وإلا فكن قمرا وإلا فكن شمسا. كن نجما النجم يعمل الليل كله يبيت يسري، وإن لم تقدر فكن قمرا القمر يعمل في جزء من الليل، وإلا فلا أقل من أن

تكون شمسا تعمل في النهار على الأقل[1]. في الليل أهل المناجاة يخلون بربهم، مزامر القرآن مدامة المناجاة، كؤوس المناجاة، وأنت غافل نومان ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ وصفهم بأنهم يحيون الليل بالمناجاة، ووصفهم أيضا بكرم الأخلاق أنهم يعطون من سألهم ومن كان فقيرا ولو لم يسأل ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿ءَايَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته ﴿لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ آيات أيضا من مبدإ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب وقد أوضحنا بعض ما يتعلق بخلق الإنسان ﴿أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ ما تنظرون في ذاوتكم وما فيها من العجائب فتستدلون به على صانعه وقدرته «أفلا تبصرون» ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من المعاد والثواب والعقاب مكتوب في السماء ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾. قال واحد من الصحابة: سبحان الله من أحوجَ الكريم إلى القسَم؟ من أحوج الكريم إلى القسم؟ من أحوج الكريم إلى القسم؟ الله وعد بالرزق فشك فيه الناس حتى أقسم «فورب السماء والأرض إنه لحق» الناس جاءهم الشك في خبر الرزق، وكل الآفات تنشأ من همّ الرزق والخوف من الخلق، هاتان خصلتان من نجا منهما تقرب إلى الله تبارك وتعالى ووصل إليه. والرزق مضمون قال الرسول صلى الله عليه وسلم: لو فر أحدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه موته[2]. من أين جاء

---

1 - روح البيان ج34/1.

2 - عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو فر أحدكم من رزقه أدركه كما يدركه الموت). رواه الطبراني في الأوسط والصغير. مجمع الزوائد للهيثمي: كتاب البيوع/ باب

الشك؟ لأن الله غيب عنا الأوقات، ضمن لنا الرزق ولو عرّفنا كل وقت ما نجد فيه لحصلت لنا الطمأنينة على ذلك ولكن غيب عنا الأوقات وبقي غير أهل اليقين في شك حتى أقسم الجليل برب السماء والأرض أن هذا الرزق الذي ضمن صحيح حق ستجده، قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه[1]. أمر الرزق فرغ منه. الإنسان لا يبلغ من الجد والاجتهاد مبلغا يزيد شيئا من رزقه ولا يعجز من العجز حتى ينقص شيئا من رزقه، رفعت الأقلام وجفت الصحف[2]. المعطي واحد هو الله، وقد قسم في الأزل، وما مضى فات وغير الله لا يعطي شيئا، والله لا يعطي إلا ما أعطى في الأزل، من أطاعه وخدمه أعطاه رزقه وأعطاه الثواب والدرجة العليا، ومن اشتغل بالدنيا حتى ترك طاعة الله تبارك وتعالى، أتعبه الله تبارك وتعالى ملأ يديه شغلا وقلبه هما ولا يجد من الزرق إلا ما كتب له ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هل تعرف خبر ضيف إبراهيم ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة على كل حال منهم جبريل ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَمًا﴾ سلمنا عليك سلاما ﴿قَالَ﴾ عليكم ﴿سَلاَمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا نعرفكم ﴿فَرَاغَ﴾

الاقتصاد في طلب الرزق والإجمال (7926)، وأخرج السيوطي في الجامع الكبير لابن عساكر عن أبي الدرداء: (لو أن عبدا هرب من رزقه لطلبه رزقه كما يطلبه الموت). الجامع الكبير ج662/1.

1 - نقل الطبري في تفسيره عن الحسن في قوله تعالى: "فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون" قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه). تفسير الطبري ج206/26.

2 - (رفعت الأقلام وجفت الصحف) طرف من حديث عبد الله بن عباس، رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع/ (2440) وقد تقدم في الدروس 15، 18، 20 ، 26 و34.

مال ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾ سرا ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ كان مكرما للضيف فأتى بعجل سمين وفي سورة هود "بعجل حنيذ" أي مشوي ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ فلم يأكلوا ﴿قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ﴾ عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا. هذا عجل إبراهيم من جملة الحيوانات العشرة التي تدخل الجنة. يدخل الجنة من الحيوانات عشرة فقط: براق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ناقة صالح نبي الله، وكبش هابيل، وعجل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وحوت موسى وحوت يونس، وحمار عزير، وكلب أهل الكهف، وهدهد سليمان، ونملته[1] ما سوى هذه العشرة يكون ترابا، هذه عشرة من الحيوانات كلها خدمت في ذات الله تبارك وتعالى «فقربه إليهم قال ألا تأكلون» ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ﴾ إنا رسل ربك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾ ذي علم كثير هو إسحاق كما ذكر في هود ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ صيحة جاءت صائحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة أو مائة وعشرون سنة كيف نلد؟ ﴿قَالُواْ كَذَلِكِ﴾ مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾ هكذا قال الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلقه.

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم.

---

1 – قال في نزهة المجالس ومنتخب النفائس: قال النسفي ويدخل معهم الجنة يعني كلب أهل الكهف وكذلك ناقة صالح وعجل إبراهيم وكبش إسماعيل وهو الذي قربه هابيل وبقرة بني إسرائيل وحوت يونس ونملة سليمان وهدهد بلقيس وناقة محمد صلى الله عليه وسلم وحمار عزير عليه السلام وزاد غيره وذئب يعقوب. من كتاب نزهة المجالس ومنتخب النفائس للصفوري ص75 في ذكر الحيوانات التي تدخل الجنة. تقدم في الدرس 37.

فهرست الجزء الخامس

انتهى طبع هذا الكتاب بعون الله تعالى
بمطابع مجمع اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع – تونس
جانفي 2010